الإسلام والأديان

دراسة مقارنة

د. مصطفى حلمي

الأستاذ بكلية دار العلوم/ جامعة القاهرة

دار الدعوة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام والأديان

دراسة مقارنة

الطبعة ~~الثالثة~~ الثانية

١٤٢٢ هـ -٢٠٠٢م

ر قم الايداع القانونى

١٧٢٣ / ١٩٩١م

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

المركز الرئيسى :٢ش منشا – محرم بك – الإسكندرية

تليفاكس : ٠٣/٣٩٠١٩١٤ – ت: ٠٣/٣٩٠٧٩٩٨

قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذي أَرْسَل رسُولَهُ بالْهُدَىٰ ودينِ الْحقِّ ليُظْهِرهُ علَى الدِّين كُلِّه ولَوْ كرِه الْمُشْرِكُون ﴾

[التوبة : ٣٣، الصف : ٩]

﴿ هُوَ الَّذي أَرْسَل رسُولَهُ بالْهُدَىٰ ودينِ الْحقِّ ليُظْهِرهُ علَى الدِّين كُلِّه وكَفَىٰ باللَّه شهِيدًا ﴾

[الفتح : ٢٨]

﴿ فأَقمْ وجْهك للدِّين حنيفًا فطْرت اللَّه الَّتي فطر النَّاس علَيْها لا تبْديل لخلْق اللَّه ذلك الدِّينُ الْقيِّمُ ولَكنَّ أَكْثر النَّاس لا يعْلمُون ﴾

[الروم : ٣٠]

﴿ الْيوْم أَكْملْتُ لكُمْ دينكُمْ وأَتْممْتُ علَيْكُمْ نعْمتي ورضيتُ لكُمُ الإِسْلام دينًا ﴾

[المائدة : من الآية ٣]

وقال الرسول ﷺ :

«مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا، فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين».

[رواه مسلم عن أبي هريرة]

* * *

← يقول الرئيس علي بيجوفيتش رحمه الله تعالى:

[أن العودة إلى الدين أصبحت ظاهرة عالمية في كل مكان خضع فيه الشيوعيون الدين لمدى خمسين إلى سبعين سنة..

نعم هناك أسلمة في البوسنة.. وهي صحوة إسلامية بقدر ما فيها من صحوة أرثوذكسية وكاثوليكية، ولكن الغرب هو أن عودة المسيحيين إلى دينهم لم تلفت انتباه أوروبا المسيحية وهو أمر أفهمه ولا ألوم عليه، أما عودة المسلمين إلى دينهم فقد اعتبرته أمرًا مفزعًا].

المختار الإسلامي - القاهرة ربيع الأول ١٤٢٥ هـ - مايو ٢٠٠٤م ص٩٥

مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا، من يهده الله فهو المهتدى ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد.

فنحمد الله، بعد مرور نحو عشر سنوات على إصدار الطبعة الأولى للكتاب، تغيرت أمور كثيرة، منها تفكك الاتحاد السوفيتي وتهافت الماركسية، فلسفيًا وسياسيًا واقتصاديًا، وعلى أثرها ظهر القطب الواحد للسيطرة على العالم وإخضاعه للعولمة - أو الأمركة - ويتصل بصميم موضوع الكتاب عودة الدين إلى مركز الصدارة، ثقافيًا وسياسيًا ومنقذاً للحضارة، وربما أصبح سببًا للصراع بين الحضارات كما يتنبأ هنتجتون المنظّر الأمريكي.

كذلك صدرت مؤلفات وبحوث لا تكاد تُحصى بتسجيل هذا الحدث الذى فاجأ العلمانيين وجاء على غير توقع، فكان سببًا للارتباك، فحصره البعض فى (الأصولية) ولو كان البعض قد أنصت للتفسير الدينى للتاريخ والحضارات (كما فعل توينبى) لما اضطر أمام هذه الظاهرة للتمحّك تعليلاً وتفسيراً لهول الصدمة التى جاءت كالثورة كما وصفتها كارين آرمسترونج، إذ تبين أن التفسيرات العلمانية للدين التى احتلت المكانة الأولى فى الثقافة الغربية لعشرات السنين، كانت غطاءً مؤقتًا لحقائق ثابتة، كالمياه الجوفية تحت سطح الأرض، ثم اندفعت بقوة لكى تقيم ميزان الاعتدال فى الصّراع الذى كان محتدمًا بين المنطق العقلانى والمنطق الروحى.

وسنرى كيف استردت الكنيسة سلطتها فى إدارة دفّة الأمور السياسية، وكذلك كيف ظل اليهود طوال تاريخهم الملىء بالهجرات والتشتت فى أنحاد العالم يعملون لذلك اليوم الموعود - أى العودة إلى القدس، فى سرية وصمت، ثم أعلنوا ذلك جهاراً عندما وجدوا أن العالم مهيأ لقبول أهدافهم.

أما الإسلام فبعد أن كانت دولته عالمية فى ظل الخلافة، انحسر نفوذه السياسى العالمى لأسباب ذاتية وقصور فى الأمة الإسلامية، مع هجمات أعدائه التى لم تهدأ أبداً منذ بعثة الرسول ﷺ.

ويشتمل الكتاب فى طبعته الثانية على مدخل للدراسة وثمانية فصول، خصصنا لكل فصل دراسة ديانة من الأديان بإجمال، وهى على التوالى: البرهمية أو الهندوكية، البوذية، الزرادشتية أو المجوسية، اليهودية، النصرانية، وتناولنا فى الفصل السابع الحديث عن إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ بطريقين، أحدهما بما ورد فى (الكتاب المقدس)، والثانى بالدليل العقلى المحض.

وجاء الفصل الأخير لإتمام الدراسة فى قالب مقارنة مجملة لبيان ظهور الإسلام بالحجة والبرهان.

والله تعالى أسأل أن يحقق هذا الكتاب غرضه فى الدعوة إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يرسّخ الإيمان ويثبتّه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصطفى بن محمد حلمى

الإسكندرية فى ٧ ربيع الثانى سنة ١٤٢٢هـ
٣٠ يونيـــــو سنة ٢٠٠١م



مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدى ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن هذه الصفحات تتضمن محاضرات فى علم مقارنة الأديان، ألقيتها على طلاب الدراسات العليا بقسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة أثناء العامين ١٤٠٩ و ١٤١٠هـ، وقد التزمت فيها اختصار المادة العلمية مكتفياً بالمسائل الرئيسية، مع الإحالة إلى المراجع والمصادر المختصة، والعناية بإجراء الموازنات بعد عرض الآراء المختلفة فى تعريف الدين والترجيح بينها، مستنداً إلى الدراسة المستوعبة لأصولها وفروعها للدكتور محمد عبد الله دراز -رحمه الله تعالى- فى كتابه (الدين).

وإزاء سيل الكتب التى تصدرها المطابع بلا انقطاع عن موضوع الدين وما يتصل به من قضايا رئيسية أو فرعية، فإن التساؤلات المطروحة دائماً وتحتاج إلى عناية خاصة هى:

١- بأى منهج يدرس أصحاب هذه الكتب قضايا الدين؟

٢- ثم، هل يستطيع المؤلف التخلص من عقيدته عندما يكتب عن دينه؟

٣- ويبقى استفسار أخير عن مفهوم الدين فى تصورات الكتاب والمؤلفين، ذلك لأن الدين (مفاهيم مختلفة فى أذهان الناس، ففى الغرب يعنى الدين بصورة رئيسية نظام إيمان وعبادة يتميز عن الولاء الوطنى والسياسى... أما بالنسبة للمسلمين فالدين يعنى أكثر من ذلك بكثير، فالإسلام يشمل فى معناه ما نعنيه فى الغرب كلمة الحضارة المسيحية والدين المسيحى مجتمعين)(١).

---

(١) ص٣٢ من كتاب الغرب والشرق الأوسط -برنارد لويس -ترجمة نبيل صبحى- كتاب المختار -بدون تاريخ- سلسلة: نحو طلائع إسلامية واعية.

ونفهم من هذا التعريف -على إيجازه- أحد سمات الكمال للإسلام.

وليس يعنى ذلك أننا ندافع عن الإسلام، فهو غنى عن ذلك، ولكن إذا استندنا إلى الأصول المشتركة بين الأديان، وعرضناها بمنهاجية علمية مقارنة تلتزم بتوثيق المصادر ومخاطبة العقل واستخدام أساليب الجدل المنطقى، إذا فعلنا ذلك سيظهر الترجيح الذى لا يقبل المكابرة.

بمثل هذه الرؤية الواضحة نرى أن لافتة (الحيدة العلمية) لم تعد تقنع أحداً عند البحث فى الأديان، فما من باحث إلا وهو حامل عقيدته التى لا يستطيع التخلى عنها مهما زعم ارتداء ثوب (الحيدة).

يقول الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق:

«إن الواقع يشهد بأن حرية الرأى مسألة ظاهرية أكثر منها حقيقية، وأن الإنسان ليس حر التفكير على الإطلاق كما يشاء فى مسائل معينة... ثم إن التعصب الموروث لدى المسيحيين ضد الإسلام وأتباعه قد عاش فيهم دهوراً طويلة، حتى أصبح جزءاً من كيانهم»[1].

ومع هذا فإذا أردنا البحث عن أفضل الطرق لتحييد المواقف بقدر الإمكان، فيجب علينا إقامة بحوثنا على عناصر محايدة -كالأرقام الرياضية- معترف بها فى دائرة مصطلحات الأديان وعلى ضوء مفاهيم علمائها ورجالها، فما من دين إلا وله كتاب ونبى (يختلف بشأنه فى الأديان الوضعية) ومعتقدات وعبادات وشرائع ونظام للقيم وتصور للحياة والنفس الإنسانية.

فتعالوا إلى التعرف على ما يتميز به الإسلام بأدلة عقلية مجردة.

● القرآن كلام الله المنزل، لم يكتبه بشر ولم تتدخل الأيدى لنسخه وتبديل معانيه وتغييرها حسب الأهواء.

● إثبات خصائص النبوة والرسالة لمحمد -ﷺ- إذا قورنت بالأنبياء والرسل جميعاً (وهو القياس الذى التزمه هرقل ملك الروم كما سيأتى). ويبقى ملزماً لأهل

---

(١) أوروبا والإسلام ص١٣٥ -طبعة دار الشعب بالقاهرة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

الكتاب لإيمانهم بالرسل والأنبياء قبله، فهو لا يخرج فى أخلاقه وأعماله ودعوته عما فعله الرسل السابقون عليه.

- عقيدة التوحيد -وهى ميزة الإسلام الكبرى وغايته القصوى- لا تشوبها شائبة من عبادة مخلوق أيا كان- سواء فى السماء كالشمس والقمر والكواكب، أو فى الأرض من أوثان أو كهنة أو رجال دين.

- إن شريعته بالمقارنة بغيرها تجمع بين الفضل والعدل.

- وقيمه الخلقية البالغة فى الرقى حداً لا يجارى، إذ لو لم نقرأ عمن طبقها وما زلنا نعيش مع من يفعل -لظننا أنها مجرد مثل عليا تصلح لكائن آخر غير الإنسان.

- بيان حقيقة الإنسان ودوره فى القيام (بالخلافة) بشروطها، والهداية إلى طريق الحياة الطيبة فى الدنيا الموصل إلى السعادة فى الآخرة.

وعلى الإجمال فإن الإسلام يشخص الإنسان بذاتيته المتفردة، فلا هو كائن (حيوانى) بحت، ولا هو كائن (ملائكى) نورانى بحت، بل أصله من طين ثم نفخ فيه الروح[1].

والإنسان يظل منذ ولادته فموته ثم بعثه، مستقلاً بذاته لا يفنى فى (الكل) خلافًا لعقائد الهنادكة والبوذية.

وهو حر الإرادة مسئول عن أفعاله ولا يتحمل أخطاء غيره أو يولد حاملاً للخطايا كما يعتقد النصارى.

والناس فى الإسلام سواسية كأسنان المشط، ولكن يتفاضلون بالإيمان والتقوى والعمل الصالح، خلافًا لليهود الذين يتوهمون أنهم وحدهم (شعب الله المختار).

---

(١) يقول نجم الدين البغدادى: «إن العالم على ثلاثة أضرب: عقل محض كالملائكة، وشهوة محضة كالبهائم، ومركب من الأمرين، وهما الثقلان. فالطرفان لا مشقة عليهم؛ أما الملائكة فلعدم الشهوة المعارضة لعقولهم، وأما البهائم فلعدم التكليف. والثقلان (الجن والإنس) واسطة عليهما المشقة لتنازع العقل والشهوة فى مراديهما. فيبعث الإنسان بينهما كالمخلص بين متخاصمين». ص٢٠٤ من كتاب الانتصارات الإسلامية فى علم مقارنة الأديان -نجم الدين البغدادى الطوفى (٧١٦ هـ) - تحقيق د. أحمد حجازى السقا -مطبعة دار البيان بمصر ١٩٨٣م.

ويحذرنا الإسلام من إبليس العدو اللدود وأعوانه ويعرفنا بطرق محاربته ويضعه في حجمه الحقيقي تصحيحاً لعقائد المجوس[1]، والنصارى .

● أمته بتاريخها –وأكثر صفحاته ناصعة البياض فلا تجاريها أمة أخرى في جهادها وتضحياتها وبذلها الأنفس والنفائس لا لغرض إلا لتكون كلمة الله هي العليا، آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر –لا للسيطرة أو الاستعمار أو استعباد الشعوب وقهرها وسلب خيراتها والاستعلاء عليها .

وربما يندهش ويتعجب الباحثون والمراقبون من غير المسلمين، ولكننا لا نفعل[2]، إنهم لم يتنبهوا إلى أن الأمة الإسلامية هي ثمرة الإسلام، كانت تقود حضارة العالم في حالة قوتها وازدهارها، وظل الإسلام هو درعها، تقاوم أعداءها وهي في حالات الضعف وتكالب الأمم عليها، وآية ذلك انتصار المجاهدين الأفغان الدال على أن عرق الأمة ما زال –بالرغم من ضعفها– ينبض بقوة ليطرد عنها الأعداء .

وحري بالعالم الإسلامي أن يواصل دعمه لهذا الجهاد العظيم ويستفيد من آثاره لتقوية حركة الصحوة وامتدادها إلى الجمهوريات الإسلامية الواقعة تحت نير الاستعمار الروسي، لأن حركة المقاومة قد بدأت ولابد من استمرارها، إذ لا يخفى أن حملات القمع تشتد، لأن أهلها مسلمون، وأكد كبيرهم ذلك عندما صرح بأن معضلاته اثنتان : الإسلام والأزمة الاقتصادية .

● كذلك يعطينا الإسلام التصورات الكاملة عن الحياة الآخرة لأنها الحياة الحقيقية ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ [العنكبوت : ٦٤]، فاقتضت طبيعتها وصفها وصفًا دقيقًا كاملاً لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وعرَّفنا بها، ترغيباً في حياة النعيم المقيم، وتحذيراً من الجحيم .

* * *

---

(١) وتذكر أرمسترونغ أن الشيطان في المسيحية كائن ذو شر قاهر على حين أنه حتى في الإسلام كائن يمكن ترويضه والتغلب عليه . ولكنها أخطأت بقولها (حتى إن القرآن الكريم يومئ أنه حتى الشيطان يمكن أن يتلقى المغفرة في اليوم الآخر) ص٤٥٠ من كتابها (معارك في سبيل الله) ترجمة د. فاطمة نصر و د. محمد عناني، ط كتاب الطور سنة ٢٠٠٠م.

(٢) ينظر كتابنا (الصحوة الإسلامية : عودة إلى الذات) دار الدعوة بالإسكندرية.

والشيطان بموجب خطيئة آدم أصبح يملك إماتة الإنسان، حيث وفق (الإله) ما كان الشيطان عاجزاً لا يستطيع أن يستبد بالإنسان أو يخلصه من بين يديه (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) ص ١٨٩ من كتاب الحقيقة المطلقة.. الله والدين والإنسان للدكتور محمد الحسيني إسماعيل ط ١ الأهرام ١٩٩٩م

وإننا لعلى يقين من أن أى باحث يستخدم العقل المجرد والضمير الحى فى مراجعة ما قررناه بالأدلة، فسيسهل عليه رؤية الحق والإذعان له.

وإذا كانت الأديان هى موضوع دراستنا، فإن واقع العصر الذى نعيشه الآن، يفرض علينا تناول بعض الظواهر البارزة بالعرض والتحليل:

سقطت أقنعة المذاهب والأيديولوجيات[١]، وظهرت الوجوه سافرة، فلم يعد يخفى على المتابع للأحداث العالمية الأخيرة عودة العقائد الدينية مرة أخرى شرقًا وغربًا وراء التصريحات والتحركات والقرارات السياسية، وتحول الصراع من مجال المذاهب إلى مجال الدين.

إن هذه الظواهر الطارئة على العصر فى السنوات الأخيرة -وما زالت تتوالى- لا تكاد تخفى على أحد، منها: استرداد الكنيسة لسلطانها الذى فقدته منذ بدء النهضة وقيادتها لمجريات الأمور السياسية[٢]، ومحاولة استرداد دورها الذى فقدته منذ الثورة الفرنسية، وحملات التبشير[٣] ونشاط الاستشراق كطلائع للغزو العسكرى فى البداية، ثم استمراره فى تغذية الغزو الثقافى والحرب الفكرية، والكتابات العدائية المغرضة ضد الإسلام والرسول -ﷺ-[٤] وتحريك العملاء

---

(١) ومن مظاهر تهاوى المذاهب والنظريات أننا رأينا الماركسية يكيل لها أتباعها الطعنات فى مواطن قائلة، وعلى رأسها إباحة تعدد الأحزاب وإقامة السوق الحر، والسماح للكنائس بأداء دورها والانفتاح على الغرب.. ونتساءل: أين القوميات الآن وفى مقدمتها (العربية) التى استخدمت طوال سنوات لطعن الوحدة الإسلامية وضرب الإسفين بين الأمة الواحدة؟ وأين الحياد الإيجابى وهناك فى كشمير يذبح المسلمون ويقتل أبناؤهم وتنتهك أعراض نسائهم على أيدى الهندوكيين، وتتسرب أيضًا أنباء مفجعة عن اضطهاد المسلمين فى الصين.

وفى أوروبا المتحضرة التى ترفع شعار الحريات وحقوق الإنسان كشفت عن نفسها حيث كانت تعنى (الإنسان الغربى وحده) وها هى مذعورة ترفع رايات التحذير من الإسلام والمسلمين، لا لسبب إلا بدافع الحقد المتوارث من الحروب الصليبية!

(٢) أمر بابا الفاتيكان فى أواخر أبريل ١٩٩٠م بعقد اجتماع غير عادى لكبار الأساقفة فى روما لبحث الموقف فى أوروبا الشرقية، وصرح بأنه يجب على الكنيسة أن تسعى لملء هذا الفراغ على المستوى الرسمى. (مجلة المختار الإسلامى العدد ٩١ المحرم ١٤١١هـ- أغسطس ١٩٩٠م ص٧٥).

(٣) كتب (رايتى دافيد) على أثر اعتناقه للإسلام يقول: (كانت المدارس والمعاهد التى درست بها تحارب الإسلام وتحاول صدنا عن سبيله) ص٩١، وعرف التبشير ببلاده أنه (التعرض للمبادئ الإسلامية والتنكر للقرآن). أى أن نشاط المعاهد التبشيرية لم يقتصر على البلدان الإسلامية بل كان دأبها فى أوروبا السيطرة على العقول. ص٩٧ من كتاب (الإسلام يتحدى المذاهب والأديان) محمود حمدى الجريسى ط دار التراث العربى ١٩٧٦م.

(٤) ويؤسفنا أن هيئة اليونسكو انضمت إلى زمرة المهاجمين للإسلام، وخانت بذلك رسالتها. (انظر =

(وبعض النصارى [الآن] يعلى من شأن الشيطان بحيث يعتقدون أنه نال من مشيئة الله - تعالى - ويسمونه فى الكتاب المقدس المسيحى - أى العهد الجديد - «رئيس هذا العالم» (يوحنا ١٦: ١١) كأنه صاحب الكلمة النافذة والحاكم الذى يقضى فى هذه الحياة الدنيا. ص ١١٦ تعليق محمد مختار، مترجم كتاب (ديدات يواجه [illegible] الكنيسة فى السويد) المختار الإسلامى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م

وتشجيع الأقلام الحاقدة لتنفث سمومها لإجهاض حركة اليقظة الإسلامية، والتحام المذهب البروتستنتى فى النصرانية مع الصهيونية لإنشاء وتدعيم إسرائيل على أساس عقيدة دينية تغذيها أحلام توراتية يشترك فى الإيمان بها كل من اليهود والنصارى البروتستانت ومعظمهم من الأمريكيين(١). ويأتى التطور الأخير غير المتوقع من قبل- أى زوال العداء بين المعسكرين الشيوعى والغربى، والتكتل العدائى نحو الأمة الإسلامية الذى بلغ أشده فى هذه الأيام.

كذلك لم يعد بمقدور أحد أن يشكك فى تحول اليهودية إلى دين سياسى

= التفاصيل بكتاب: مفتريات اليونسكو على الإسلام -محمد عبد الله السمان- المختار الإسلامى ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م).

(١) وهناك أيضًا نحو أربعين مليون أمريكى يؤمنون بعقيدة معينة تسمى (عقيدة العصر الألفى السعيد) وخلاصتها أن الله قد وعد بنى إسرائيل أن تقوم لهم فى آخر الزمان دولة، وهم يؤمنون أن يوم القيامة سيأتى، ومن الخير أن يأتى يوم القيامة سريعًا. بعده، ستقوم معركة بين قوى الخير وقوى الشر. وأن المسيحيين سيبتهجون عندما تنتصر قوى الخير، وتتم إبادة كل اليهود، وتسود المسيحية. ص٦٧-٦٨ من كتاب (العرب وإسرائيل -شقاق أم وفاق) للأستاذ أحمد ديدات وترجمة على الجوهرى- ط دار الفضيلة بمصر ودبى ١٩٩٠م.

وإذا تتبعنا مواضع التحام المذهب البروتستانتى بالصهيونية، فسنلاحظ أنه أثمر الخطوات السياسية المتدرجة نحو إنشاء إسرائيل وتدعيمها، وكان معظم الزعماء السياسيين المسئولين عن ذلك فى بريطانيا وأمريكا من البروتستانت.

وآية ذلك أن مارتن لوثر مؤسس الحركة قد وصف بأنه (شبه يهودى) أو نصف يهودى، واعتبرت المبادئ البروتستانتية فى القرن السادس عشر بمثابة بعث (دعوى) أو يهودى. وحتى عندما تغير موقف لوثر من اليهود كتب يقول: «من الذى يحول دون اليهود وعودتهم إلى أرضهم فى يهودا؟ لا أحد. إننا سنزودهم بكل ما يحتاجون لرحلتهم لا لشىء إلا لنتخلص منهم. إنهم عبء ثقيل علينا وهم بلاء وجودنا».

وفى ظل الاستعمار البريطانى لبلدان العالم العربى والإسلامى، كان مارك سايكس -الذى تحول للصهيونية وأحد مساعدى لويد جورج- القوة المحركة للسياسة البريطانية الخاصة بفلسطين والتى أدت إلى وعد بلفور، ثم أعطت معاهدة سايكس بيكو فلسطين هوية جغرافية لأول مرة فى التاريخ الحديث.

كذلك فإن التعليل الصحيح لانحياز أمريكا لإسرائيل لا يقتصر على (اللوبى) الصهيونى، ولكن يرجع إلى تغلغل الأفكار العريضة للصهيونية فى التفكير الأمريكى، فأثمرت شخصيات لعبت دورها بدافع عقائدى -أمثال ترومان وكارتر الذى كانت خلفيته البروتستانتية وآراؤه الدينية مرتبطة بسياسته-.

ينظر كتاب (الصهيونية غير اليهودية -جذورها فى التارخ الغربى) تأليف ريجينا الشريف وترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز -سلسلة عالم المعرفة- ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م الكويت (٩٦) صفحات ١٨-١٩-٤٥-٤٧-١٦٩-١٧٠-٢٠٤-٢٧٥.

وقد كتبت فى مقدمة بحثها تقول: «وحتى نضع الأمور فى نصابها، سنبين كيف أصبح التيار الخفى للحضارة والثقافة الغربية ملوثا بالأساطير الصهيونية الملوثة، سواء الدينية منها أو العلمانية» ص١٨.

يغذى الإسرائيليين بأحلام إقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، واتخاذ بروتوكولات حكماء صهيون دليلاً للعمل، ووضع محتويات العهد القديم والتلمود موضع التنفيذ للسيطرة على العالم، فإن هذه البروتوكولات «موجودة فى المعابد اليهودية فى كل أنحاء العالم بما فى ذلك مصر، وأن حاخامات المعابد يحفظونها عن ظهر قلب، ولأنها بروتوكولات سياسية فإن الحاخام يشرح الكثير منها فى أيام السبت دون أن يذكر أن هذه هى البروتوكولات»[1].

هذا، وإذا كان الإسلام فى غير حاجة للدفاع عنه كما أسلفنا، فإننا سنلتزم -كأحد طرق الاستدلال- بالموازنة بينه وبين غيره من الأديان، سواء أكانت وضعية أو سماوية، وعندئذ ستظهر مزاياه تباعًا كلما انتقلنا من مبحث إلى آخر، وستتضح بجلاء الإشعاعات المضيئة للآية الكريمة: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴾ [الفتح: ٢٨].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصطفى بن محمد حلمى

الإسكندرية فى ٧ من المحرم سنة ١٤١١هـ
٢٨ من يوليو سنة ١٩٩٠م

* * *

(١) الإرهابيون الأوائل -جيراننا الجدد ص١٨، وجيه أبو ذكرى - المكتب المصرى الحديث بالقاهرة ١٩٨٧م، وقد جاء هذا التصريح على لسان طبيب أسنان يهودى مقيم فى مصر ورفض الهجرة إلى إسرائيل.

تمهيـــد

« الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد ».

فإن ظاهرة (التدين) قد اجتذبت الكثير من العلماء والباحثين فى مجال العلوم الإنسانية، لتحليلها وتأصيلها، وبيان أوجه الاختلاف بين العقائد والأديان، إما بمنهج تاريخى، أو بمنهج مقارن، أو بمنهج تحليلى لبيان النشأة والتطور. وعلاقة العقائد بينها وبين بعض بالتأثير والتأثر.

ولا شك أن علم (مقارنة الأديان) قد حقق نتائج باهرة تجعلنا فى موقف أفضل من أهل القرون السابقة، حيث ظهرت كثير من الأبحاث والدراسات والمخطوطات المحققة كلها تجعلنا أكثر دقة فى الحكم، وأكثر اقترابًا من فهم ما يدور حول العقائد والأديان، لعل فى مقدمتها التساؤل عن أى العقائد والأديان أحق بالاتباع؟. وتزداد أهمية السؤال إذا عرفنا أننا نعيش عصر العقائد الدينية بعد فشل الأيديولوجيات.

وإذا ثبت إخفاق الأيديولوجيات[1] بسبب عدم تلبيتها لحاجات النفس الإنسانية، أو تحقيقها للسعادة المرجوة على مستوى الجماعات والأمم وفشلها فى تحقيق النتائج المنتظرة عندما نبتت فى أذهان أصحابها، بعد ذلك كله يحق للعقيدة الدينية أن تتربع على عرش القلوب، وأن تتخذ منهاجًا لتحقيق الحياة الطيبة للأفراد والمجتمعات، فى عصر حضارة متأزمة تضخمت بالمشاكل وأصبح أهلها يضجون بالشكوى. فأى دين أحق أن يتبع ليحقق السعادة المرجوة؟

لنتفق أولاً على التعريف المتكامل للدين فى ضوء الدراسات التى أجراها العلماء المتخصصون فى هذا الميدان.

يعرّف الدكتور محمد عبد الله دراز الدين بأنه (الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة) –هذا من حيث هو حالة نفسية. ومن حيث حقيقة خارجية،

---

(١) يُنظر كتابنا (الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة) ص٧٠ / ٧٤– ط دار الدعوة بالإسكندرية –١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.

فهو (جملة النواميس النظرية التى تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التى ترسم طريق عبادتها[1]).

والدين الحق بهذا التعريف لا تجده متحققًا إلا فى الإسلام، ونضيف القول بأنه ليس مجرد فكرة أو فلسفة، وليس طقوسًا وعبادات روحية منقطعة الصلة بطبيعة الإنسان، ومكوناته العاطفية، وغرائزه ووجدانه، ولكنه يجمع فى إطاره الكامل عقيدة التوحيد إلى جانب تنظيم أنشطة الإنسان فى ميادينها المختلفة فى الأسرة والمجتمع والدولة، وباقى الأمم فى علاقته بغيره فى شئون الاقتصاد والمال وقواعد الحكم السياسية، ومبادئ السلوك والأخلاق فى العلاقات الإنسانية كلها، مع تعريفه بالسنن الإلهية، وحكمة خلقه كإنسان له مكانته وهدفه ومصيره بالمقارنة بباقى المخلوقات التى تشاركه حياته الدنيوية لأنه أكرمها.

أضف إلى ذلك تصويب نظرة الإنسان إلى نفسه ومكوناته الروحية والجسدية وتعريفه بالحياة الدنيا وطبيعتها والغرض منها كدار ابتلاء، ومعبر للحياة الآخرة الخالدة، وضم كل هذا كتاب ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾، ونفذت تعاليمه وأحكامه وتشريعاته بواسطة خاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]. كما قامت طائفة من أمته – وستظل إلى قيام الساعة– ظاهرة على الحق لا تنحرف عنه ولا تغير ولا تبدل فى أصوله وأحكامه أو تعاليمه.

وسنرى بمشيئة الله تعالى أن دراستنا ستجيب على التساؤلات التى تدور فى خلد الإنسان، وهى كثيرة ومتشعبة مثل: (ما هو مبدأ هذا الكون ومصيره؟) هل هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة؟ فإن كانت فما هى طبيعتها؟ وما هى تعليماتها ووصاياها فى هذه الحياة؟. ثم ما هى مكانة هذا الكون من حيث المجموع ومن الذى يدبره بمثل هذه الدقة والنظام والحكمة البالغة الشاملة والقانون المحكم المتين، وما هى صفاته وصلته بالإنسان وماذا ينبغى للإنسان أن تكون علاقته به؟ وهل هناك قانون خلقى عدا قوانين الطبيعة الدائرة فى العالم، فإن كان فما هى تفاصيله،

---

(١) د. دراز الدين ص٢٥ (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) – دار القلم – الكويت ١٣٩٠ هـ– ١٩٧٠م.

وما هى مكانة الإنسان الصحيحة ومنصبه فى هذا الكون؟ هل هو حر طليق لا يتقيد بقيود وأحكام أم هو تابع محكوم؟ هل هو مسئول أمام أى قوة ومحكمة أخرى، أم أنه حر طليق لا مسئولية عليه؟ ثم ما هو أسمى مطلوبه؟(١)

ومن معالم منهجنا أيضًا التحقق من حقيقة (التطور) الذى يردده الغربيون عن حضارتهم باعتبارها تعبر عن أرقى الحضارات وأكثرها تطوراً، حيث نرى أن التطور الصحيح لا يقتصر على التقدم العلمى التكنولوجى فحسب، بل ينبغى أن يصاحبه أيضًا (تطوراً) عقائديًا وأخلاقيًا. وإذا بحثنا فى عقائد القوم نراها قد ثبتت على عقائد الشرك والوثنية للأديان المحرفة أو الوضعية، أو بمعنى أدق هى امتداد لها، ومن ثم فإن العقائد قد انتكست من (التوحيد) الذى أتى به الأنبياء والرسل عليهم السلام. ولا سبيل للتطور الإنسانى الحقيقى إلا بالعودة إلى (الارتقاء) إلى العقائد الموحى بها من الله عز وجل.

إن عالم اليوم يعيش فى (ردة) حقيقية عن الدين الإلهى الصحيح، إذ خضع الإنسان بإرادته إلى مذلة وهوان عبادة غيره من الكائنات، بينما فى الأصل هى مسخرة ومذللة له، ولنلقى نظرة إلى القارة الآسيوية أيضًا ذات الكثافة السكانية الهائلة، وفى مقدمتها اليابان المتقدمة علميًا وتكنوبوجيا، (فقد عبد اليابانيون مظاهر الطبيعة والأسلاف وما (الشنتوية) إلا مزيج من عبادة الشمس ومظاهر الطبيعة وعبادة الأسلاف وعبادة الإمبراطور المسمى (ابن السماء)(٢).

والبوذية التى تعمل على جذب الكثيرين من الأوروبيين والأمريكيين بحثًا عن غذاء للروح فى الشرق، هذه البوذية عبارة عن ديانة هندية انتقلت إلى الصين، ونعجب للإنسان المتحضر المعاصر الذى ينزل إلى درك عبادة صنم، إذ من المعروف أن فى (لاسا) معبد بوذى فيه تمثال بوذا من الذهب الخالص والمعبد محلى بأغلى الجواهر، ويعبد هذا الصنم ويحج إليه من قبل من يعبدونه(٣).

---

(١) أبو الحسن الندوى : بين الدين والمدنية ص٩ -مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) الديانات والعقائد فى مختلف العصور، أحمد عبد الغفار عطار -ج١ ص١٨٥ - ط مكة المكرمة ١٤٠١ هـ/١٩٨١م.

(٣) نفسه ص١٧٥ / ١٨٢.

وما دامت ظاهرة التدين بهذه الأهمية التى استرعت انتباه الدارسين من العلماء والفلاسفة بالنظر للإنسان (كمخلوق متديّن)، والتديّن من خصائصه الجوهرية، جاز لنا استعراض مناهج البحث فى نشأة الدين، وتتبع آراء واضعيها.

اتفق العلماء إذن على أن ظاهرة التديّن أصيلة فى النفس البشرية ولكنهم اختلفوا فى الاجابة عن السؤال الآتى: ما هى عوامل إيقاظها فى النفس؟ وهنا ظهرت وجهات النظر المختلفة التى تجيب عن هذا السؤال: أجملها الدكتور محمد عبد الله دراز – رحمه الله – فى ستة مناهج سنوجزها فى الصفحات التالية، مع حرصنا على توجيه نظر الباحثين بخاصة والقرّاء بعامة إلى ضرورة الرجوع إلى الأصل – أى كتاب (الدين) له، لأنه يعد من أفضل – بل ربما أفضل – ما كتب فى العربية فى العصر الحديث عن الدين ومناهج بحث نشأته. كما أن الدكتور دراز لفت نظرنا – ربما لأول مرة أيضًا – إلى وجه جديد من أوجه إعجاز القرآن الكريم حيث يثبت عالمنا الكبير أن القرآن جمع بين هذه المناهج جميعًا. قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

١– منهج المذاهب الكونية والطبيعية: (العادية والشاذة العنيفة)

يرى فريق من العلماء – ومنهم العالم الألمانى ميلز – أن العامل الأول فى إثارة الفكرة الدينية هو النظر فى مشاهدة الطبيعة لاسيما الأفلاك والعناصر، ذلك أن التأمل فى هذا المجال غير المتناهى يجعل الإنسان يشعر بأنه محوط من كل جانب بقوة ساحقة غلابة، قوة مستقلة عن إرادة البشر يخضع الجميع لتأثيرها، فينتقل الفكر من الكائن إلى المكون، إذ الإعجاب ببدائع الملكوت يحمل الإنسان بفطرته إلى التساؤل عن المبدع ويحفزه إلى التوجه بفكرته إليه، فيتحول إلى مناجاة مبدعه والإفضاء إليه بعبارات التبجيل العميق، والتقديس البليغ، أى العبادة، وهذه المناجاة تنطوى على عنصرين:

١– أن الشيء الذى تتوجه إليه أهل لأن يستقبل حديث من يناجيه.

٢– أنه أسمى مقامًا وأكمل صفة من الإنسان لأنه يستطيع ما لا يستطيع الإنسان[1].

---

(١) د. دراز، الدين ص ١١٤.

ولكن يُعترض على هذه النظرية بأن استمرار الظواهر الكونية على نسق واحد يجعلها أمرا مألوفًا، فظهر من العلماء من يرى أن إيقاظ التأمل فى النفس يرجع إلى أن الحوادث الأرضية المفاجئة والعوارض السماوية النادرة كالبرق والرعد والعواصف والصواعق والخسوف والطوفان والزلازل، هذه الحوادث لها تأثيرها على المشاعر كتأثير دق الجرس، فى تنبيه الغافل وإيقاظ الوسنان، فتحفز بنى آدم إلى السؤال عن مصدرها، وإذا كان لا يرى سببًا ظاهرًا اضطر عقليًا أن ينسبها إلى سبب خفى ذى قوة هائلة.

هذا هو رأى العالم الإنجليزى جيفونس إذ يعلل التديّن بشعور الرهبة والخشية لأنه أسبق فى النفس من شعور الإعجاب.

ولكن العالم الفرنسى ساباتييه يرى أن شعور الرهبة والخوف من القوة العلوية لا يكفى وحده لتفسير الفكرة الدينية، ذلك أن الخوف إذا استأثر بالنفس سحق الإرادة وشل الحركة وولّد اليأس، فلابد من شعور آخر يوازنه ويلطفه من حدته وهو الأمل والرجاء اللذان يبعثان على الدعاء والتضرع، وهذه هى حقيقة الدين[1].

٢- منهج المذاهب الروحية: (أو الحيوية)

ويقصد بالروح الخاصة الإنسانية بكيان مستقل عن الروح المشترك بين الإنسان والحيوان.

أن مبدأ الحياة والتفكير والإرادة المنظمة والعاطفة والضمير، والدليل على ذلك أننا نرى النائم والمغمى عليه والمصروع يتنفسون ويتغذون ويمشون فهم أحياء بالحياة الحيوانية ليس غير، حتى تعود إليهم تلك القوة الخاصة فيعود إليهم شعورهم المنظم، المذهب الروحى إذن بعكس المذهب الطبيعى، فبدلاً من استنتاج الكائن الغيبى من مطابقة الآثار العظمى فى عالم المادة، يشتق المذهب الروحى صفاءه من جنس عمله نفسه، ومن نوع التجارب التى دلت عليه فهو لا ريب روح عظيم ذلك الذى يصنع الأسرار والعجائب الروحية، وهو لا شك عقل خلاق، ذلك الذى يمد العقول بمزيد من النور أو يكف عن إمدادها[2].

---

(١) نفس المصدر ص ١٢٥.

(٢) نفس المصدر ص ١٣١ والتعبيرات ترجمة عن أصحاب المذهب ولا نتفق معهم إسلاميًا (كالقول بالعقل الخلاق).

٣- منهج المذاهب النفسية:

يستمد أصحاب هذه المذاهب من التجارب النفسية فى حياة الإنسان العادية المألوفة له، دليلاً على أنها توجه النظر إلى الحقيقة العليا، فيحلل ساباتييه شعور الطفل بما فيه من مناقضة جوهرية بين حساسيته وإرادته، وتنتهى التجارب النفسية إلى أن تصبح النفس مدرِكة ومُدْرَكة وحاكمة ومحكومة معًا، وتفسير هذه التجارب ونتائجها أن رغبة العلم تنتهى بالاعتراف بالجهل، ورغبة الاستمتاع تنتهى بالتقزز، والإسراف على السعادة، يذهب براحة الطمأنينة كأنها تحمل فى نفسها جرثومة فنائها، فإلى أين المفر؟

إن العلم ليس سبيلاً للسعادة فى الصراع بين قانونى الطبيعة والأخلاق فكيف السبيل من الخروج من هذا المأزق؟ لا مفر من اتخاذ الدين سبيلاً لحل هذه الأزمة. ولكن برجسون يستخلص من الشعور بالواجبات الاجتماعية نشأة العقيدة الإلهية إذ لما كان نظام المجتمع وتماسكه يتطلب من الفرد انخلاعه عن بعض رغباته وتضحيته بجانب من حريته، كان لابد من قوة أخرى دافعة لهذه التضحيات أى العقيدة الدينية كذلك فإن الحياة اليومية والحوادث المستقبلة مليئة بالنماذج المعبرة عن تطلع النفس البشرية إلى من يحقق أملها، فالتاجر الآمل فى الربح والمريض المنتظر الشفاء والزارع الدائب العمل فى حقله مؤملاً الحصاد، وكل ذى حاجة يسعى لاشباعها، كل هؤلاء لهم آمال تبعثها تصوراتهم أمام النفس، إرادة خفية يركن إليها القلب ويعتمد عليها، تلك هى إرادة الله (الإله المستعان).

أما (ديكارت) فإن أحد الطرق عنده فى إثبات وجود الله تعالى مستمد من فكرة الكمال إذ إنها أسبق فى الفطرة من فكرة النقص، فإن من لا يعرف الشيء لا يفتقده فيقول (إذن كيف أعرف أننى ناقص لو لم تكن عندى فكرة كائن كامل أكمل منى؟).

٤- منهج المذهب الأخلاقى:

وصاحب هذا المذهب هو الفيلسوف الألمانى (كانط) وله دعائمه فى إثبات صحة ما يذهب إليه، ومنها أن كل إنسان - حتى الطفل المميز - يجد فى نفسه استحسانًا لبعض الأفعال واستهجانًا لبعضها ويدرك بنفسه أن بعضها يجب أن

يفعل وبعضها يجب أن يجتنب. وهذا هو أقصر الطرق- في رأى الدكتور دراز - لشرح مذهبه إذ يمكن عند سرد هذا المثال الانتقال مباشرة من القانون الأخلاقى المجمل الذى تخضع له إلى واضع هذا القانون وغارسه فى النفوس(١).

ولكانط تفسيرات أخرى نضرب صفحًا عنها لبعدها عن غرضنا فى التبسيط والإيجاز.

٥- منهج المذهب الاجتماعى:

وينسب إلى (دور كايم) الذى يرى أن التديّن وليد أسباب اجتماعية .. ويعلل ذلك بأن خير وسيلة لتفسير ظاهرة معقدة كالظاهرة الدينية أن تدرس فى بداية نشاطها قبل أن تخالطها عناصر غريبة عنها، وأن ذلك إنما يكون ببيئات الأمم البدائية وهى فى نظره تلك الأمم التى لا تتميز فيها الأسر الخاصة بخاصة مستقلة، بل تقوم على نظام القبائل لا الأسر.

واستخلص (دور كايم) من اجتماعات القبائل واحتفالاتهم دليلاً لمذهبه، إذ رأى أن من طبيعة الاجتماعات أن تنسلخ النفوس فيها عن مشخصاتها الفردية وتنمحى وتذوب كلها فى شخصية واحدة هى شخصية الجماعة.

وهكذا يكون الاجتماع هو مبدأ التدين وغايته وتكون الجماعة إنما تعبد نفسها من حيث لا تشعر(٢).

ولا يسلم هذا المذهب من انتقادات عديدة تأتى عليه وتنقضه من أساسه منها:

١- أن تحديد الدين بهذه الطريقة (أى دراسة الظاهرة الدينية فى أقدم عصورها) يعد عملاً مجافيًا لقانون المنطق السليم إذ لا يحق لنا أن نحدد حقيقة الإنسانية من النظر فى أول أطوار الجنين.

٢- تقوم بعض الأدلة الأثرية والتاريخية على عكس افتراضه، فالآثار الباقية من عهد القبائل الآرية والسامية يثبت منها أنها كانت قائمة على النظام الأسرى.

---

(١) كتاب الدين ص ١٤٦.

(٢) نفس المصدر ص ١٥٣.

٣- كذلك قام أحد الباحثين (روبرت شمت) بدراسة دقيقه فى أستراليا فأثبت أن قبائل أستراليا الوسطى أحدث القبائل هناك وأكثرها تقدماً، عندهم عقيدة (الإله الأعلى) .

٤- يعترف (كونت) بأن عدداً من قبائل أستراليا قد وصلوا إلى فكرة (الإله الأعلى) أو (الإله الأحد) وأنه كائن أزلى أبدى، تسير الشمس والقمر والنجوم بأمره، وأنه هو الذى يثير البرق ويرسل الصواعق وإليه يتوجه فى الاستسقاء وفى طلب الرزق وهو الذى خلق الحيوان والنبات وصنع الإنسان من الطين ونفخ فيه من الروح، هو الذى علم الإنسان البيان وألهمه الصناعات وشرع له العبادات وهو الذى يقضى فى الناس بعد الموت فيميز بين المحسن والمسيء . ولكنه يعمد إلى تجاهل ذلك ويعمد إلى ضرب من اللهو الخليع الذى يأتيه بعض القبائل فى حفلات تضم كل شيء إلا الدين والعبادة .

٦- منهج المذهب التعليمى أو مذهب الوحى[١] :

وهذا المذهب يقرر أن الأديان لم يسر إليها الإنسان، بل سارت هى إليه وأن الناس لم يعرفوا ربهم بنور العقل بل بنور الوحى .

هذه النظرية التى أخذت بها طوال القرون الوسطى أوروبا وأيدها بعض علماء التاريخ حتى فى القرن التاسع عشر لا تزال هى المذهب السائد عند كبار رجال الدين عندهم، كما أننا نجد فى الكتب السماوية مصدراً فى الجانب الإيجابى منها[٢] .

****

من هذه النظرة الجامعة لمناهج العلماء فى بحث منشأ العقيدة الإلهية يستنتج الدكتور/ محمد عبد الله دراز أن (مطلب الألوهية مطلب توافرت عليه الفلسفات والنبوات، وأن دلائله البرهانية ماثلة فى الأنفس والآفاق، وأن بواعثه النفسية مركزة فى الوجدانات غير أن الناس ليسوا على درجة فى سرعة الاقتناع بكل هذه الدلائل) . ومع اختلاف الناس فى وسائل الاقتناع، تنوعت فى القرآن وسائل الدعوة إلى الله عز وجل .

---

(١) كتاب الدين ص ١٥٧ .

(٢) نفس المصدر ص ١٦٤ .

وها هي النماذج القرآنية على الترتيب :

١- ففي المنهج الطبيعي مثل قول الله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [ق :٧] وقوله ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ [الانعام :٩٦] وقوله ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ﴾ [القصص :٧١]. ويلفت القرآن الأنظار إلى عنصر الاختلاف بين المتشابهات اختلافًا لم يتهيأ للعلم البشرى معرفة أسبابه ولا التحكم فى عوامله مع اتخاذ البيئة والعوامل الطبيعية الظاهرة فينبه على موضع العبرة فى مثل قوله تعالى ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ﴾ [الرعد :٤] وقوله ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾ [الروم :٢٢].

كما ينبّه القرآن – فى الشق الثانى من المنهج الطبيعى – إلى الحوادث المروعة فى قوله ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ ﴾ [الرعد :١٣] ويضيف إلى ذلك الإنذار بالأحداث المتوقعة أو المحتملة فيقول ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ۝ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الاعراف :٩٧].

٢- ونرى عناصر المنهج الروحى مبثوثة أيضًا فى كثير من الآتى لبيان استقلال الروح البشرى وانفصاله عن الجسم وبقائه بعد الموت فى حالة برزخية بين الدنيا والآخرة فى مثل قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [الأنعام :٦٠] وقوله ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر :٤٢] وقوله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران :١٦٩].

٣- ويشير القرآن إلى ما لاحظناه فى المذاهب النفسية من حيث قصور الإرادات الإنسانية عن بلوغ أهدافها وإلى عجز الإنسان أمام المقادير العليا وضرورة استسلامه

لها في قوله تعالى ﴿أم للإنسان ما تمنىٰ (٢٤) فلله الآخرة والأولىٰ﴾ [النجم: ٢٤، ٢٥] كما يضيف القرآن عنصرًا آخر عظيم الدلالة على الألوهية وهو تحول الإرادات وتحولها من الكراهية إلى المحبة وعدولها إلى الألفة من غير تدخل الأسباب الطبيعية في قوله تعالى ﴿واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقوله ﴿أنزل الله سكينته علىٰ رسوله وعلى المؤمنين﴾ [التوبة: ٢٦] ويجمع الله تعالى ذلك كله في قوله سبحانه ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ [الأنفال: ٢٤].

٤- حتى المذهب الأخلاقي نجد لبه وجوهره في القرآن حيث يقول الله تعالى ﴿ونفس وما سواها (٧) فألهمها فجورها وتقواها﴾ [الشمس: ٧، ٨].

٥- بل المذهب الاجتماعي نفسه إذا عدنا إلى أساسه الصحيح وهو تقرير ما للبيئة والوراثة من سلطان بليغ على الأفراد فنجد القرآن يسجله في مثل قوله تعالى ﴿بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ [البقرة: ١٧٠]. ﴿إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمة وإنا علىٰ آثارهم مهتدون﴾ [الزخرف: ٢٢] إلا أن تقرير ذلك جاء في موضع الذم، والتقريع فينفي هبوط الإنسان عن عرش كرامته الإنسانية وهبوطه إلى مستوى القطعان من الماشية ﴿أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون﴾ [البقرة: ١٧٠].

ونراه يهيب بالناس أن يميزوا بين الطيب والخبيث ﴿فبشر عباد (١٧) الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

ويرسم القرآن الحكيم طريق تحرر العقول من الأسر الاجتماعي القاهر بالدعوة إلى التفكير الفردي الهادئ المتحرر من كل القيود إلا قيد البداهة والمنطق السليم ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنىٰ وفرادىٰ ثم تتفكروا﴾ [سبأ: ٤٦].

٦- وأخيرًا ترى المذهب التعليمي ساريًا في القرآن كله مع التوجه المستمر إلى الآيات الواضحة، بالإضافة إلى إرسال الرسل ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [النساء: ١٦٥] ﴿أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ [الأعراف: ١٧٢]. هكذا يلتقي في محيط القرآن. ما تشعب عند العلماء. وإزاء هذا كله لا يسع الباحث المنصف من الإقرار بأن القرآن ليس صورة

لنفسية ولا مرآة لعقلية شعب ولا سجلاً لتاريخ عصر وإنما هو كتاب الإنسانية المفتوح مهمًا تباعدت الأقطار والعصور أو تعددت الأجناس واللغات والألوان إذ سيجد فيه كل طالب للحق سبيلاً مهما يهديه إلى الله على بصيرة وبيّنة ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾[القمر: ١٧][(١)].

إن مثل هذه الدراسة المقارنة التي تفرد بها الدكتور محمد عبد الله دراز - رحمه الله تعالى وجزاه عن المسلمين خير الجزاء - لدليل جديد تفرد بابرازه بعد دراسته العميقة المقارنة، نقول: إنه دليل جديد يضاف إلى غيره من الأدلة على إعجاز القرآن، وإنه كلام الله عز وجل.

******

(١) ينظر كتاب (الدين) للدكتور محمد عبد الله دراز (مصدر سابق).



أولاً: من معالم العصر

(أ) العودة إلى الدين بعد انحسار الأيدولوچيات

(ب) بحث آثار التغريب فى دراسة الإسلام طبقًا للاتجاه العلمانى والمذهب الوضعى

ثانيًا: حملات تشويه الإسلام بأقلام المستشرقين وأبواق أجهزة الإعلام الغربية



أولاً: من معالم العصر

(أ) عودة الدين بعد انحسار الأيديولوجيات:

عندما أرّخ الدكتور حامد ربيع للدور الذى عاد الدين ليؤديه فى العصر الحديث حدّد عام ١٨٩١م كبداية إذ أعلن البابا الكاثوليكى ليون الثالث عشر عن « الأشياء الجديدة » ومؤدّاها التعبير عن إرادة الكنيسة فى التدخل فى الأحداث وتأدية وظيفتها التاريخية بأساليب جديدة، وإعلان رأيها بإيمان وثقة فى مشاكل المجتمع، وبعدها بعدّة أعوام برزت مفاهيم الصهيونية السياسية وهى تعبير عن اليهودية غلّفت نفسها بمنطق لغة السياسة وأساليب الوصول إلى الحكم، مع إضفاء الطابع الدينى على الوجود السياسى الذى ميّز الدولة العبرية(١).

يقول د. حامد ربيع:

« الكنيسة تعلن صراحة عن أنها تؤمن بأن عليها وظيفة سياسية لابد وأن تؤديها من خلال منطلقات الصراع اليومى بل والجسدى. الحاخام اليهودى يعلن أن وظيفته أساسًا وظيفة سياسية بل وإن منطلق تلك الوظيفة هو القيادة الجماهيرية. الجيوش العصرية تعرف أيضًا رجال الكهنوت، مسيحيين كانوا أم يهودًا، الذين يرافقون قواتهم دفاعًا عن مبادئهم القومية ودون أن يعنى ذلك سوى تأكيد للارتباط بين الدين والسلطة »(٢).

أما الشعار الذى رفعه العلمانيون لإبعاد الدين عن النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بمقولة « دع مالقيصر لقيصر وما لله لله » - فقد رفعته الثورة الفرنسية ولم يدم طويلاً أو يستقر تنفيذاً وعملاً، إذ بمتابعة تاريخ هذه الثورة اتضح أنها عندما قامت على أساس الشعار العلمانى - أى تقييد نطاق الدلالة السياسية لكل

---

(١) باختصار من كتاب (سلوك المالك فى تدبير الممالك) جـ١ ص ٤١ / ٤٢ تاليف ابن أبى الربيع وتحقيق د/ حامد ربيع - دار الشعب بالقاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

أما عن أدوات الكنيسة التى تباشر وظيفتها فهى:

١- الأحزاب الكاثوليكية.
٢- النقابات الكاثوليكية.
٣- الجمعيات الكاثوليكية.
٤- الجامعات الكاثوليكية.

وهى تملك استقلالاً حركيًا مع اتفاقها مع الكنيسة فى أهداف مشتركة ص ٤٢.

(٢) د. حامد ربيع: سلوك المالك فى تدبير الممالك جـ١ ص ٤٥.

ما له صلة بالمفاهيم والأوضاع الدينية (فإن مثل هذا التصور إنما يعبر عن وضع استثنائي وفترة مقيدة من حيث دلالتها عندما نتذكر حقيقة ما سبقها وما حقها من أحداث) .

ومن هذا الحيز الضيق الاستثنائي يسجل رد الفعل الخاطئ في منطقتنا العربية، فيقول مستطرداً (الثورة الفرنسية أحدثت القطيعة التي لم تعرفها التقاليد العربية إلا فقط خلال القرن العشرين، وهي في حقيقتها رد فعل فاشل لفهم خاطئ لحقيقة العلاقة بين القيم الدينية والقيم السياسية)(١) .

ويذكر الأستاذ الدكتور حامد ربيع في دراسته السياسية الموسوعية، أن الدين كأحد متغيرات الوجود السياسي يفرض علينا ثلاث ملاحظات :

أولاً : ما يسمى بنهاية أو فشل الأيديولوجية السياسية كما أعلن ذلك علماء التحليل السياسي، فالديمقراطية لم تستطع أن تؤصل إطارها الفكري في مذهب متكامل : النازية أثبتت الفشل الكلي والشامل . النقابية : لم يقدر لها بعد التطبيق . الماركسية والشيوعية اختلطت كل منهما بالأخرى وانتهت بدورها بدرجة أو بأخرى بأن تعلن عن إفلاسها، وبصفة خاصة في المجتمعات المتخلفة والجديدة التي تمثل أكثر من ثلثي العالم .

ثانياً : إزاء فشل الأيديولوجيات القائمة ما كان يتسطيع الفرد إلا أن يتجه إلى (الأديان) .

ثالثًا : باستعراض دور الدين على خريطة العالم المعاصر، يتبين أن الفاتيكان يمثل اليوم إحدى القوى الضاغطة الدولية التي تكاد تسيطر على جميع مسارات التعامل في النطاق الدولي .. الصهيونية في حقيقة الأمر لا تجد قوة حقيقية تساندها سوى النفوذ الكهنوتي والتي تتعاطف معها قوى الكنيسة في جميع أجزاء العالم .

وعند البحث عن دور (الإسلام)، يستند الدكتور حامد ربيع إلى التقرير المشهور لمعهد هوفر الأمريكي والمتعلق بتخطيط السياسة العالمية ابتداء من نهاية القرن العشرين . هذا التقرير يحدثنا عن تطور معين في المجتمع الأمريكي نحو تضخم العنصر الأسود المسلم وزيادة قوته في نطاق القيادات، ويقابل ذلك تطور

---

(١) سلوك المالك في تدبير الممالك جـ١ ص ٣٩ .

مماثل في المجتمع الروسى. بشكل أقوى[١]

ثم توالت البحوث والدراسات حول هذه التقلبات المفاجئة المثيرة فى أحشاء الغرب الدينى والسياسى.

فنرى كارين آرمسترونج - أستاذ الأديان المقارنة بجامعة أكسفورد - تقرّر أن الدين أصبح من جديد قوة يُعمل لها حساب وانتشرت صحوة دينية واسعة لم تكن تدر بخلد الكثيرين فى الخمسينات والستينات، إذ كان العلمانيون يفترضون أن الدين خرافة تجاوزها الإنسان المتحضر العقلانى، وأنه على أحسن الفروض مجرد نشاط فردى عاجز عن التأثير فى الأحداث العالمية.

ولكن ثبت الآن كذب تلك النبوءة، ففى الاتحاد السوفيتى عاد الرجال والنساء إلى المطالبة بحقهم فى ممارسة شعائرهم الدينية، وأصبح الناس فى الغرب يظهرون وعيًا جديدًا بالحياة الروحية[٢]، ثم تمضى فى وصف التغييرات الجديدة فى الحياة الدينية **بأنها أشبه بالثورة**، فتقول:

(فربما هجرنا إلى الأبد أسلوب النظر القديم إلى ديننا وثقافتنا أو أديان الآخرين وثقافاتهم. ولقد شبّه بعضهم التأثير المرجح لذلك بالثورة التى أحدثها العلم فى نظرة الرجال والنساء إلى الدنيا على امتداد العالم بأسره)[٣].

(ب) بحث آثار التغريب فى دراسة الإسلام

طبقًا للاتجاه العلمانى والمذهب الوضعى

موقف الاتجاه العلمانى من الدين:

يعرّف أستاذنا الدكتور محمد على أبو ريان - يرحمه الله - الاتجاه العلمانى بأنه الاتجاه الذى (يستبعد الدين من مجال التربية والتعليم وشئون السياسة والاجتماع والاقتصاد وغير ذلك من الأمور العامة ....)[٤].

---

(١) الدكتور حامد ربيع: سلوك المالك فى تبدير الممالك، لشهاب الدين أبى الربيع، تحقيق ودراسة - مطابع دار الشعب بالقاهرة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. تنظر تعليقاته المستفيضة بالجزء الأول ص ١٨٣ و١٨٤ واقتراحاته للإعداد للمد الإسلامى المنتظر.

(٢) محمد ﷺ ص ١٥. ترجمة د. فاطمة نصر ود/ محمد عنانى - ط سطور سنة١٩٩٨م.

(٣) نفسه ص ١٧.

(٤) كتاب (أسلمة المعرفة: العلوم الإنسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية) د. محمد على أبو ريان - دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية سنة ١٩٩٧م ص ٨٤ ويلفت نظرنا إلى أن البعثات التى أرسلتها فرنسا علمانية سميث باسم البعثة العلمانية الفرنسية وهو الاسم الذى تحمله مدارس الليسيه اليوم فى مصر Mission laique francaise - ويقصد من وراء laique أى بمعزل عن الدين.

وبعد بيان نشأته فى أوروبا بعد الثورة الفرنسية، للأسباب التى أشرنا إليها.
يعود فيوضحَ أن الشريعة فى الإسلام منزلَة (لحسن تسيير شئون الدنيا فى ظل أصول وقواعد إسلامية بحتة .. فقد كفل الإسلام للمسلمين تغطية أمور معاشهم الدنيوية والأخروية عن طريق الشريعة المنزلة من عند الله. ولهذا فإن روح الإسلام وطابعه إنما يتطلبان أن نرسخ دعائم هذا المبدأ القائل بأن الإسلام دين ودولة .. فلا علمانية فى الإسلام ولا تربية حقة بدون الإسلام .. ولا علم ولا سياسة بدون الدين)[1].

وبالنظر لعلاقة العلمانية بالإسلام، فإن أقل ما توصف به أنها نظرة قاصرة، ناشئة عن تقليد الثقافة الغربية، وإخضاع الثقافة الإسلامية. مع خصوصيتها المميزّة، عقائديًا وتاريخيًا، للملابسات التى مرّ بها تاريخ أوروبا الدينى والسياسى.

أضف إلى ذلك أن المنحازين للعلمانية فى عالمنا الإسلامى قد تجمدّوا عند مرحلة ما قبل العصر الحديث - فى أوروبا وأمريكا - إذ تخطت العلمانية هنالك الحواجز، وتضاءلت تحت ضربات النفوذ الدينى المتنامى لكل من رجال الكنيسة. بمذاهبها كلها - من روسيا الأرثوذكسية شرقًا، إلى أوروبا بغالبيتها الكاثوليكية وأمريكا بغالبيتها البروتستنتية غربًا، تكاتفًا مع حاخامات اليهود أيضًا كما أشرنا سلفًا.

الخلط بين العلمانية والعلم:

والفكرة الأخيرة التى يجب مناقشتها عند الحديث عن العلمانية، هى صلة الإسلام بالعلم، لأن فكرة العلمانية تُطرح علينا بشكل ملّح، بمفهوم أنها تعنى الاهتمام بالعلم كطريق للتقدم الحضارى سواء الطبيعى أو الإنسانى (ويقع الكثيرون ممن يطلق عليهم عادة اسم المثقفين فى هذا الخلط، فما بالنا بالأفراد العاديين؟، وقد سارع (العلمانيون) إلى استغلال الالتباس ليوحوا بأن دعوتهم هى صنو العلم والمعرفة، وغير ذلك من القيم الإيجابية، وأن من يعارضهم هم دعاة الجهل والتخلف)[2].

---

(١) نفسه ص ٨٦.

(٢) د.محمد يحيى : فى الرد على العلمانيين ص١٢ (ورقة ثقافية : الزهراء للإعلام العربى بالقاهرة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

وأن بابا الفاتيكان قد صرح بالمطالبة بمواجهة العلمانية حيث قال (أوروبا بحاجة للقيام بجهود جديدة لمواجهة تحرك العلمانية، ليصبح المسيحي الحقيقي متعلقاً بدينه وتعاليمه، وليست بأفكار أخرى من شأنها عزل الدين عن الدولة، واقتصار دوره على دور العبادة فقط) مجلة البيان رجب ١٤٢٤هـ - سبتمبر ٢٠٠٣م ص٥٦

وفات هؤلاء أن العلمانية تعبر عن واقع تاريخي ومرحلة مرت بها الحياة الدينية والثقافية الأوروبية على أثر الأزمات التى أحدثها رجال الكنيسة فى وجه النظريات العلمية المنبثقة من الملاحظة والتجربة، والتى كانت مخالفة لتفسيرات الكتاب المقدس، إذ يصف لنا توينبى ذلك بالتفصيل فيقول (فما برح العلم خلال مائتى عام ينتزع من الكنيسة مجالاتها، مجالاً بعد آخر، من ذلك أن العلم قد قبض على ناصية علوم: الفلك، أصل الكون، التاريخ، الأحياء، الطبيعة، النفس .. وأعاد العلم صياغتها على قواعد لا تتمشى مع التعاليم الدينية المقررة)[1].

ولم تظهر قط مثل هذه الأزمة فى تاريخ الإسلام الحضارى حيث استوعب الإسلام النظريات العلمية التى اكتشفها العلماء من واقع الملاحظات والتجارب، وسيظل الأمر كذلك. قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت:٥٣].

إن من يقرأ كتاب الله عز وجل يقف أمام العديد من الآيات الكونية، وأمام الآيات القرآنية التى تصف (الآيات) فى الطبيعة. تقول كارين أرمسترونج – أستاذ الأديان المقارنة بجامعة أكسفورد– :

ويحثّ القرآن المسلمين على بذل الجهد فى مخيلتهم وفى أذهانهم على النظر إلى العالم من حولهم نظرة رمزية:

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٦٤].

وجاء ضمن تعليقها على موجبات هذه الآية، وغيرها فى القرآن الكريم:

... إن القرآن لا يطلب من المسلمين أن يتخلوا عن العقل. فالآيات موجهة إلى «قوم يعقلون» و«لقوم يعلمون» والقرآن يحث المسلمين على أن «ينظروا» إلى الآيات فى العالم الطبيعى وأن يتدبروها بعناية. وقد ساعد هذا الاتجاه على تنمية

(١) توينبى: مختصر دراسة التاريخ جـ٤ ص ١٧٨/ ١٧٩.

عادة التأمل والاستطلاع الذكي التي مكنت المسلمين من إرساء وتصوير تراث رائع في العلوم الطبيعية والرياضيات. **ولم ينشأ في يوم من الأيام أي صراع بين البحث العلمي العقلاني وبين الدين في التراث الإسلامي**(١).

ولم يثر موضوع الخصومة بين الدين والعلم إذن لدى المسلمين قبل انتقال عدوى الفلسفة الأوروبية إليهم. فكان العلم عند المسلمين بمعناه العام ثمرة العقل والوحي، واقتصر التمييز فقط بينهما حول أهمية العلوم بحسب ثمرتها ووثاقة دلالتها، كالمقارنة مثلاً بين علوم الدين وعلم الطب، فإن ثمرة علوم الدين الوصول إلى الحياة الأبدية وثمرة علم الطب الوصول إلى الحياة الدنيوية. أو أن علوم الدين أصولها مأخوذة عن الوحي، والطب أكثر أصوله من التجارب.

كذلك وضعت العلوم غير المتصلة بالعقيدة والفقه والأصول موضع المقارنة بينها وبين غيرها من العلوم: كالطب مع الحساب مثلاً، فللطب شرف الثمرة إذ هو يفيد صحة البدن، وللحساب وثاقة دلالة إذ كان العلم به ضرورياً غير مفتقر إلى التجربة. وهكذا اتسع ميدان المعرفة أمامهم ولم يتعسفوا في الفصل بين الدين والعلم كما فعل أتباع العلمانية، وكانت همة علماء الإسلام منصرفة إبان عصور حضارتهم في طلب أنواع العلوم والإقبال عليها بجدية وحرص ونهم، أياً كانت طبيعتها، فنرى الراغب الأصفهاني يقرر أنه ينبغي ألا نترك شيئاً من العلوم أمكننا النظر فيه واتسع العمر له إلا ونسعى لطلبه، فإن ساعدنا القدر على التزود منه فبها ونعمت، وإلا عاديناه بسبب جهلنا به، فالناس أعداء ما جهلوا. ويروى عن بعض الفضلاء أنه رؤي بعد ما طعن في السن وهو يتعلم أشكال الهندسة، فسئل فأجاب (وجدته علماً نافعاً، فكرهت أن أكون لجهلي به معادياً له) ثم ينصح كل عاقل ألا ينبغي الاستهانة بشيء من العلوم، بل يجعل لكل حظه الذي يستحقه ومنزله الذي يستوجبه، ويشكر من هداه لفهمه وصار سبباً لعلمه(٢).

هذه هي حقيقة حضارتنا، تشكل فيها العلوم بأنواعها باقة من الزهور اليانعة، ولا يُسمح بقطع أغصانها والفصل بين فروعها.

---

(١) كارين أرمسترونغ (محمد ﷺ) ص ١٥٣ / ١٥٤ ترجمة د. فاطمة نصر و د. محمد عناني، ط٢ سطور سنة ١٩٩٨م بالقاهرة.

(٢) الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ١١١ / ١١٣.

ولكن لما انتقلت عدوى الصراع بين الدين والعلم إلى العالم الإسلامى كأحد نتائج الغزو الثقافى، وحاولت إبعاد العقيدة الدينية والتخلى عنها بحجة إحلال العلم وحده بديلا لها، اضطر علماء الإسلام للتصدى لهذه الدعوى فأثبتوا أن العلم فى محيط الحقل التجريبى لا يغنى عن العقيدة الدينية شيئًا، إذ نجح العلم الحديث حقًا فى الإبانة عن كثير من الأشياء التى لم نكن على معرفة بها. ولكن الدين جواب لأسئلة أخرى، فمهما حقق لنا العلم من وسائل الراحة، وقدم لنا من مخترعات تيسر سبل الحياة وتذلل العقبات أمام الجهد الإنسانى، فلا يمكن إهمال الأسئلة الدائرة بخلدنا مثل من أين، وإلى أين؟ ولم؟ ومتى؟ وكيف؟ أو مشاكل الحياة والموت، والخير والشر إلى غير ذلك مما تشكل استفسارات عجز العلم - وسيظل - عاجزًا عن تقديم الإجابة عنها، بل إنه تخلى عنها طواعية لأنها خارجة عن نطاق بحثه[١].

المذهب الوضعى:

يُنسب هذا المذهب إلى أوجست كونت الذى افترض ما يسمَى بقانون الحالات الثلاث التى مرّت بها البشرية، فبدأت بمرحلة التفكير اللاهوتى أو الخرافى، ثم مرحلة الميتافيزيقا المجردة وأخيرًا الحالة العلمية أو الوضعية[٢].

وقد تعرضت فلسفة كونت الوضعية لكثير من سهام النقد والمعارضة، استهدفت قانون الأطوار الثلاثة الذى قسم به تاريخ الإنسانية فى تعسف واضح، إذ ثبت أن الصناعات اخترعت فى عصر ما قبل التاريخ وبدء العصر التاريخى، كما وجدت مشاهدات فلكية وأنواع من العلوم، كهندسة إقليدس وطب أبقراط وطبيعيات أرسطو فى الدور الذى عدّه فلسفيًا، فإذا انتقلنا إلى الطور الوضعى وهو العصر الحديث، فإننا نعثر على كثير من دعاة الدين والأخلاق والتأمل الميتافيزيقى بخلاف ما كان يظن كونت[٣].

كذلك قام الدكتور دراز بقلب قانون كونت المفترض رأسًا على عقب، إذ يقول

---

(١) وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى ص ٣١ ترجمة د.عبد الصبور شاهين.

(٢) ليفى بريل (فلسفة أوجست كونت) ص ٣١ ترجمة د.محمود قاسم ود. السيد بدوى - مكتبة الأنجلو - بدون تاريخ.

(٣) د. توفيق الطويل .. أسس الفلسفة ص ١٨٠ / ١٨١ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٥م.

(إن النظرة الواقعية تقع فى البداية وتمثل مرحلة الطفولة النفسية لأن مبعثها الحاجة العاجلة وصورة الحياة اليومية، وإنها وظيفة الحس - لا العقل، ثم تنبثق بعدها نظرة التعليل بالمعانى العامة، وهى مرحلة النضج والكمال، وتأتى بعد المرحلة الأولى.

أما النظرة الروحية أو الدينية التى تخيّل كونت أنها فى أول المراحل فهى فى الواقع تأتى فى آخرها حيث لا تولد فى النفس إلا بعد اتساع أفقها، حيث تتجاوز ظاهر الكون إلى ما وراءه.

وهكذا ينقلب ترتيب كونت الخيالى رأساً على عقب، لأن الأوضاع الطبيعية للحاجات النفسية تترتب - لا كما تصوره فى مخيلته - ولكن كالآتى :

حاجة الحس فحاجة العقل فحاجة الروح.

ويستطرد الدكتور دراز ليقوض دعائم الافتراض الكونتى بقوله (على أن الذى يعنينا هنا ليس هو الوضع التقويمى لكل واحدة من هذه النزعات، وإنما هو دخولها جميعاً فى كيان النفس الإنسانية، فكما أننا لا نجد إمارة واحدة تدل على قرب زوال النزعة الاستقرائية أو النزعة التعليلية، كذلك لا نرى إمارة واحدة تشير إلى أن فكرة التدين ستزول عن الأرض قبل أن يزول الإنسان)(١).

وصدق تنبؤ الشيخ دراز، إذ تشير الدراسات الأخيرة المعاصرة أن الدين بعامة يؤدى دوره فى تغيير المجتمعات الإنسانية وقيادة حركتها، ويتميز الإسلام بصفة خاصة بدوره الذى أثار العلماء والفلاسفة فى الشرق والغرب لفاعليته وإيجابيته.

يقول الدكتور حامد ربيع (يمكن القول بصفة عامة إن الإطار الدولى المعاصر يملك مجموعة من العناصر جميعاً تدفع لخلق مناخ معين يسمح للإسلام بالإيناع الحقيقى بحيث يمكن القول بأن هذا الإطار هو تربة صالحة لاستقبال الإسلام ولتحقيق عملية إخصاب لم يقدّر للإنسانية فى تاريخها الحديث من قبل أن تعاصر مثيلاً لها)(٢).

كذلك لم يدر بخلد كونت وهو يتخيل قانونه أن الحضارة الإسلامية لها

---

(١) د. محمد عبد الله دراز - الدين ص ٨٩ - دار القلم بالكويت ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

(٢) حامد ربيع - الإسلام والقوى الدولية ص ٣٣ - ط دار الموقف العربى - القاهرة ١٩٨١م.

تاريخها ومقوماتها المنبثقة من العقيدة، وأن ذروتها تحققت أيام السلف الصالح وفى الأزمنة التى ارتفع فيها المسلمون إلى مستوى هذا السلف، فهل يحق لنا إذن أن نصف الآخذين بقانونه فى مجال الدراسات الإسلامية بأنهم مقلدون بل إنهم - فى ضوء حقائق العصر الذى نعيشه - رجعيون؟!.

لقد كانت فلسفة كونت موقوتة بظهور النزاع فى الغرب حول فصل الدين عن مجالات النشاط الإنسانى ومقوماته، فى ميادين العلم والأخلاق والاقتصاد والسياسة وغيرها، بسبب ظروف وأوضاع خاصة، منها سلطان رجال الكنيسة وتدخلهم للوقوف فى وجه الاكتشافات العلمية المخالفة لتفسيرات الكتاب المقدس، وربما كان هذا هو السبب الذى أدى بأوجست كونت فيلسوف الاجتماع إلى القول بأن المسيحية انقضى زمنها ولا بد من الاستعاضة عنها بديانة أخرى، وظلت فكرته مصاحبة للجمهورية الفرنسية الثالثة التى فصلت بين الدين والدولة، ومن ثم فقد اعتقد أنه تم تحلل أجزاء الديانات من الوجهة العقلية، أى أنها لا تصمد أمام النظر العقلى.

ولكن مرد الخطأ هنا أنه إذا كانت هذه الظاهرة صادقة فيما يتعلق بالديانة المسيحية بأوروبا، فهى ليست كذلك بحال من الأحوال فيما يتعلق بتاريخ التفكير الإسلامى[١] فمن الواضح لكل دارس محايد للتاريخ، أن المسلمين أقاموا صرح حضارتهم فى دولتهم العظيمة التى امتدت على عجل من الأندلس إلى قلب القارة الآسيوية مارة بشمال أفريقيا كلها، تم بناء على فهمهم الصحيح للإسلام واتباعهم لمنهج أسلافهم فهمًا وتطبيقًا[٢]، فإن الإسلام ليس مظاهر كهنوتية أو حياة منعزلة عن الواقع، بل هو نظام كامل للحياة يوجه الإنسان لكى يحقق كمالاته التى استحق بها خلافة الله تعالى فى الأرض، أى يحصل لنفسه وللجماعة الإنسانية أيضًا (أسمى درجة من الكمال الإنسانى فى الروح والخلق والمادة والعقل، وينظم علاقته بربه عز وجل وعلاقته بأخيه الإنسان فى كل مظاهر الحياة)[٣].

---

(١) د. محمود قاسم - كتاب مبادئ علم الاجتماع لروجيه باستيد ص ٣٣٨ ط ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.

(٢) جوستاف لوبون - سر تطور الأمم ص ٩٤ ترجمة احمد فتحى زغلول باشا - مطبعة المعارف بمصر ١٣٣١هـ - ١٩١٣م.

(٣) د. محمود عبد الله - موقف الإسلام من المعرفة والتقدم الفكرى ص ٣٠ (كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة).

وأخيراً، يأتى القول الفصل والقرار النهائى من أوجست كونت نفسه حيث أصابته أزمة نفسية فى نهاية عمره.

يصفه الدكتور رشدى فكار فى هذه المرحلة بقوله (وبدأ يقلب يميناً وشمالاً وكان رائعاً أن يرشح فى النهاية دين الإسلام كدين وضعى للحالة الوضعية، وقال إنه لا يمكن لدين أن يتمشى مع الحالة الوضعية إلا الإسلام لأنه دين عار من الحماقات، يتميز ببساطته وعقلنته، وبقدرته على إشباع رغبة البحث عن الإله)(١).

ويضيف إلى ذلك أيضاً أن كونت يرى أنه إن كان هناك دين يتمشى مع الحالة العلمية الموضوعية فهو الإسلام، فحينما يسود العلم، فسوف يبحث عن الإسلام وها هى العقول القادرة الآن فى الثمانينات تتساءل حول الإسلام، وسوف يتبلور هذا الأمر بصورة أكبر مع بداية القرن الواحد والعشرين مع شدة تأزم الإنسان(٢).

---

(١) د. رشدى فكار فى حوار متواصل حول مشاكل العصر، ص ٥٩، خميس البكرى - مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(٢) نفسه ص ٤٥.

ثانيا: حملات تشويه الإسلام بأقلام المستشرقين وأبــواق أجهــزة الإعــلام الغربيــة

حمــلات تشــويه الإســلام:

إن ظاهرة العداء للإسلام بخاصة من خارج عالمه لا تخفى على أحد، وهو الدين الوحيد دون غيره من الأديان الموضوع فى قفص الاتهام، الموصوف بأسوأ الصفات. من أناس أعماهم الحقد، ووضعوا على أعينهم غشاوة فأعمت أبصارهم.

وتجرى عملية تشويه الإسلام على قدم وساق فى أجهزة الإعلام فى الغرب استمرارًا للعداء المتوارث منذ الحروب الصليبية. تقول كارين أرمسترونج (وفى يومنا هذا تلهو الكتب وبرامج التليفزيون بإبراز عناوين مثل «حنق الإسلام» و«سيف الإسلام» و«الحنق المقدس» و«الرعب المقدس» لكن هذا تشويه للحقيقة)[1].

ويأتى هذا التعليق فى موضعه تمامًا بعد إبداء دهشتها من تلقيب الإسلام فى الغرب بدين السيف منذ العصور الوسطى (رغم أن المسيحيين كانوا يشنون حروبهم المقدسة الخاصة فى الشرق الأوسط فى ذلك الوقت)[2].

وقد وقف المدافعون عن الإسلام لإزالة الشبهات ورد كيد الكائدين إلى نحورهم:

فمنهم الأستاذ العقاد الذى كتب منذ الستينيات فى القرن الماضى مبديًا استياءه من تحامل كتاب الغرب - المستشرقين وغيرهم - على الإسلام، وكأنّ (علم مقارنة الأديان) أصبح عندهم هو إفراز لنفوس حاقدة عجزت عن اتخاذ الموضوعية منهجًا للبحث والدراسة.

وللإنصاف يصف بعض الباحثين فى الغرب من طلاب العقيدة الذين داخلهم الشك فى عقائدهم التى ولدوا عليها وغلب عليهم الإيمان بأن الشرق هو مصدر الأديان. ومنهم من وقعت الجفوة بينه وبين رؤساء دينه فاصطنعت أقواله عن

---

(١) محمد ﷺ ص ٢٤٧.   (٢) نفسه.

الإسلام وتاريخ الأمم الإسلامية بحماسة تشبه حماسة المؤمن بدينه وإن لم يبلغ به الأمر مبلغ التدين بالعقائد الإسلامية[١].

وفيما عداهم، يندر الإخلاص فى مؤلفات القوم، فمنهم (سماسرة التبشير) الذين يتخذون تشويه الإسلام صناعة يستدرون بها الرزق ويتوسلون بها إلى جاه الرئاسة وسمعة الصلاح والتقوى بين المتعصبين والجهلاء فى البلاد الأوربية والأمريكية [٢].

ومنهم المحترفون المهرة فى فنون الدعاية وتموية الواقع وتلبيس الحق بالباطل (ولا نبالغ فى التقدير إذا قلنا إن تسعة أعشار المبشرين المحترفين فى العصر الحاضر من هذا القبيل)[٣]. معللاً ذلك بقول الدكتور جونسون (إنه الديانة الوحيدة التى تعد على الدوام « تحديًا » أو مناجزة لجهود التبشير والمبشرين) وتتخطى رؤية العقاد عصره عندما يتنبأ منذ نحو أربعين سنة بما نعانى منه الآن بوصف الإسلام بالخطر عليهم، معللاً ذلك بدعاية كل من الطائفتين: طائفة الصهيونية وطائفة الاستعمار[٤].

ويسجل طابع التفرقة العنصرية لحضارة أوربا بقوله: (فقد لوحظ أن مستشفيات الصليب الأحمر كانت تهمل الجرحى المسلمين أثناء حملة فلسطين وتميز عليهم جرحى اليهود، ويحدث هذا فى المستشفى الواحد بغير مبالاة ولا محاولة للاعتذار عن هذا التمييز[٥].

ثم جاء الدكتور عبد الرحمن بدوى فى عام ١٩٩٣ ليسجل نفس الظاهرة التى لوحظ أنها استفحلت واتسع نطاقها فلم يفلت القرآن والرسول ﷺ والشريعة والتاريخ والحضارة، من الهجوم العدائى السافر المتبجّح.

لقد استقرأ الدكتور عبد الرحمن بدوى من مؤلفات كتّاب الغرب مواقفهم المعادية للإسلام وفق منهج وثائقى موضوعى، وكان هدفه (كشف القناع عن

(١، ٢، ٣، ٤) العقاد (ما يُقال عن الإسلام.... صفحات ٨، ٩، ٥٢، ١٢). ط دار الهلال سنة ١٩٧٠م.
(٥) العقاد... نفسه ص ٦٤.

العلماء المزعومين الذين قدموا الضلال والخداع لشعب أوروبا ولغيره من الشعوب الأخرى)[١].

ويقول فى كتابه (دفاع عن محمد ﷺ ضد منتقصى قدره) [.. فى الواقع إن دعوى الموضوعية عندهم تبدو فى أبهى صورها جزئية ومنهجهم الذى يسمونه نقديًا علميًا يتكشف عن سراب خادع]، وقد أصدر هذا الحكم بعد اطلاعه على الأعمال التى كُتبت لأهداف دفاعية خاصة بإثبات عقائد النصارى، أو أعمال من سمّاهم بالموتورين ..

ويقول فى كتابه (دفاع عن القرآن ضد منتقديه) : [.. فإنه بداية من منتصف القرن التاسع عشر يبذل هؤلاء المستشرقون كل ما فى وسعهم ليبدوا موضوعيين فى كتاباتهم وفى جعل كتاباتهم أكثر دلالة وأكثر جدية وموضوعية، وأكثر تدقيقًا فى المنهج اللغوى، لكن دون فائدة، ذلك لأن الدوافع الداخلية التى تضطرم بالحقد فى قلوبهم ضد الإسلام وكتاب الإسلام المقدس ونبىّ الإسلام ﷺ ظلت كما هى بل زادت تأججًا].

ويأتى تسجيل هذا الواقع المؤسف أيضًا من عالمة مقارنة الأديان أرمسترونج فتصف أفكار الغربيين بأنها كانت، وما زالت، فجّة ورافضة، وتبدى دهشتها من تناقضهم بين الالتزام المعلن بالتسامح والتراحم وبين الواقع، وتعلل ذلك بضعف أساسى للحضارة الغربية وللمسيحية فى العالم الحديث يتمثل فى (عدم القدرة على الاعتراف بأنهم يقتسمون الكوكب، ليس مع من هم أدنى منهم، بل مع أنداد لهم)[٢].

ولكن رُبّ ضارة نافعة، إذ يرى الدكتور جمال حمدان أن حملات التشويه والإساءة للإسلام دال على الاعتراف بأن العالم الإسلامى (ليس جثة هامدة أو كمًا مهملا) آملاً ارتفاعه إلى مستوى التحدى واستثارته ليثبت ذاته وندّيته (ويفرض احترامه والاحترام المتبادل والمساواة المتبادلة ليبدأ سلام الشجعان وصلح الفرسان، وربما تكون هذه العداوة هى مفجّر الفرصة والنجاح)[٣].

---

(١) ص ٨ الدفاع عن القرآن ضد منتقديه. (٢) محمد ﷺ ص ٣٩٣. سبق بيانه.

(٣) د. جمال حمدان : « صفحات من أوراقه الخاصة » ص ١١٦، ط دار الغد العربى سنة ١٩٩٦م إعداد وتقديم د. عبد الحميد صالح حمدان. ويقول ص ١٣٩ (كان الغرب يتحدث عن الخطر الأحمر أى الشيوعية، فابتكر الآن تعبير – الخطر الأخضر – إشارة إلى خطر الإسلام، ويتوقع د. مصطفى محمود أن السنين القادمة هى ملحمة الإسلام فى ظهوره الثانى، وما نرى الآن من أحداث هى بشائر ولوائح وعلامات (سقوط اليسار ص ١٠٨) دار المعارف سنة ١٩٩١م.

الفصل الأول

منهجنا فى البحث

تبيّن لنا أن السّاعين لدراسة الإسلام من منظور غربى علمانى، أو بمنطق الفلسفة الوضعية، سيؤدى إلى خلط المفاهيم، ومن ثمَّ سيتعذّر التقييم الحق للإسلام ومعرفته المعرفة الحقّة كدين خاتم، دعامته الوحى الإلهى المحفوظ بالقرآن الكريم وسنّة الرسول ﷺ، ومحافظته على الحضارة الإسلامية طيلة نحو أربعة عشر قرناً من الزمان.

كما تبين أيضًا أن حضارة العصر كابدت الأهوال عندما ألقت بالدين وراء ظهرها، واستبدلته إما بالروحانيات العلمانية - كما تسميّها آرمسترونج - أو بالأيدولوجيات - وخاصة الماركسية، ففى فشلهما الدليل الساطع على قصور العقل البشرى عن وضع الأنظمة للحياة الإنسانية.

وبتحليل أكثر بيانًا لم تفلح اختراعات العلمانية فى الاستغناء عن الدين. فقد أخذ الأفراد فى الغرب - كما تذكر آرمسترونج - يطورون روحانية علمانية ويسعون عن طريق الأدب والفن، أو الممارسات الجنسية والتحليل النفسى والمخدرات، أو حتى الرياضة وراء حسٍّ بمعنى متسام يُضفى على حياتهم القيمة ويصلهم بتيارات أعمق للوجود كان من عادة الديانات السماوية أن تكشفها(١).

ولكن خابت الآمال فى شغل الفراغ الذى كان يشغله الدين، بل كانت النتائج وخيمة لأن التعليم العقلانى لم يقض على البربرية، إذ لقى سبعون مليون شخص فى أوروبا والاتحاد السوفيتى حتفهم، فيما بين عامى ١٩١٤ و١٩٤٥م، كما فُجرَت أول القنابل الذريّة فى هيروشيما وناجازاكى باليابان، فاتضحت القوة المرعبة للعلم (والجرثومة العدمية التى تتواجد فى قلب الحضارة الحديثة)(٢).

ونخلص من هذا أن بنى آدم فى حاجة إلى مصدر آخر للمعرفة، ونظم الحياة خارج نطاق العقل الإنسانى وأسمى منه، وهذا ما نعنيه بالوحى الذى أتى به

(١، ٢) معارك فى سبيل الإله «الأصولية فى اليهودية والمسيحية والإسلام» ص ٣١٦ - ٣١٨، كارين آرمسترونج - ترجمة د. فاطمة نصر و د. محمد عنانى . ط كتاب سطور ٢٠٠٠م.

الأنبياء والرسل عليهم السلام[1].

وربما نحتاج إلى وقفة لنميزَ بين (الفلسفة) أيًا كانت مذاهبها كنتاج إنسانى كان ثمرة الفكر اليونانى القديم والأوروبى الحديث، وبين (الاستدلال العقلى) الذى يعتمد على البديهيات والأوليات المنطقية، ويستخدمه المسلم المعاصر متحرراً من آصار الفكر الفلسفى الذى فرض علينا فرضًا عقب الاستعمار الأوروبى.

أجل فقد فرضت أوروبا المنتصرة أرسطو (أستاذًا للفكر الإنسانى) إلى يومنا هذا دون أن يتنبه أحد إلى أن تعاليم (الأستاذ) أو (المعلم الأول) لم تنجب إلا جنرالاً فاتحًا مستعمراً وغازيًا وإمبراطورية قامت على أنقاض الاستقلال وحرية وإرادة الشعوب.. إلا أن هذا العمى لم يكن عن غفلة وإنما لكى يُتَّبَع وهو أيضًا الذى صاغ جوهر الفكر الغربى ومفاهيم الحضارة الغربية عن الخير والشر والإنسان وحقوق الإنسان.. فالحرية والتحرر والعدل.. إلخ لا تتعارض فى المفهوم الغربى منذ أرسطو إلى اليوم مع غزو واسترقاق أو حتى إبادة البرابرة (أى شعوب الشرق) ومن يومها والحضارة الغربية تؤمن بأن رسالتها الإنسانية، ونشر الحضارة يتطلب إدخال (المتخلفين) عنوة تحت سيطرة هذه الحضارة. فقد كان حلم الإسكندر كما يؤرخه الغربيون إلى اليوم، وعلى سبيل الفخر ومدح الإسكندر بأنه كان (أول زعيم عالمى يأمل أن يتوحد العالم يومًا تحت حكومة واحدة)[2].

فهل تحقق حلم الإسكندر فيما نعيشه الآن تحت مظلّة (النظام العالمى الجديد)؟

أمّا فلسفة أرسطو فقد تركت أثرًا لا يُنكر فى الفكر الدينى هناك، لاسيما فى الأب توما الأكوينى (١٢٢٥ / ١٢٧٤م)، وهو أعظم الفلاسفة المدرسيين جميعًا، ففلسفته تُدرّس فى جميع المعاهد التعليمية الكاثوليكية التى تعلّم الفلسفة.. وهو فى معظم الموضوعات يأخذ برأى أرسطو أخذًا أمينًا[3].

---

(١) يعرف اسبينوزا النبوة بقوله: (النبوة أو الوحى هى المعرفة اليقينية التى يوحى الله بها إلى البشر عن شىء ما) ص١٢٣ ونحن لا نقره على آرائه الأخرى عن الأنبياء، ولكن يكفينا إقراره بأن الوحى معرفة يقينية، وبذلك يختلف عن (الظن) عند الفلاسفة. كتاب (رسالة فى اللاهوت والسياسة) ترجمة وتقديم د.حسن حنفى –ومراجعة د. فؤاد زكريا –المطبعة الثقافية ١٩٧١م.

(٢) مقال بعنوان (المواجهة الأبدية بين الإسلام والغرب)، محمد جلال كشك مجلة (رسالة التوحيد) ص١١ ربيع ثان ١٤٠٦ هـ القاهرة.

(١) رسل: تاريخ الفلسفة الغربية جـ٢ ص ٢٣٤.

كبّل المسلمين لعدة أجيال، ومن ثم يصبح هدفنا الأول هو التحرر الحقيقى بالعودة إلى الذات، ومعرفة حقيقة أمتنا ورسالتها بناء على المعرفة الصحيحة لعقائدنا بالمقارنة بغيرها[1].

ولتحقيق هذا الهدف فأمامنا طريقان:

الأول: الخضوع لحقائق الوحى والعمل على ضوئه بدل الفكر الفلسفى بقصوره وضعفه وأهوائه الذى فُرض على مناهجنا التعليمية وأقحم على ثقافتنا أيام الهيمنة الاستعمارية.

الثانى: إتباع المنهج العلمى الصحيح لمقارنة الأديان الذى خطه علماؤنا، وسبقوا به غيرهم فاعتمدوا على حقائق الوحى الإلهى فحافظوا عليه وصانوه بأدق مناهج علمية عرفتها البشرية وميزوا بين الدين الحق وغيره –فإننا– كما يحدد ابن حزم– (لا نصدق فى ديننا بشىء أصلاً إلا ما جاء فى القرآن وما صح بإسناد الثقاة، ثقة عن ثقة، حتى يبلغ إلى رسول الله ﷺ فقط، وما عدا هذا فنحن نشهد أنه باطل)[2].

وأتى ابن الجوزى (٥٩٧ هـ) بعد ابن حزم ليؤكد ضرورة الاستناد إلى الأدلة فى البحث عن الدين الحق –لا على مجرد العادات وتقليد الآباء، فبالدليل نميزّ فى الشرائع بين ما يصح ومالا يصح، وإذا أثبتنا الإله، فينبغى أن نعرف بالدليل ما يجوز عليه مما لا يجوز[3].

---

(١) هذا، وقد عمّت البلوى فأصبح أغلب مثقفينا يدرسون الدين والتاريخ والحضارات وعلوم النفس والتربية والسياسة والاجتماع بمناهج الغرب. بل لم تسلم اللغة والأدب أيضاً، مما دفع بالدكتور عبد العزيز حمودة عند الحديث عن مفردات الحداثة الغربية إلى القول (وإذا كنا ننشد الأصالة فقد كان الأحرى بنا أن ننحت مصطلحنا الخاص بنا، النابع من واقعنا بكل مكوناته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، لأن الهوة بين الواقعين الغربى والعربى واسعة سحيقة، لا يكفى الادعاء الأجوف بإقامة جسور فوقها لأن ينسينا إدراك الاختلاف، وحينما ننسى ذلك الشعور بالاختلاف نقع فى المحظور، لأننا نتناسى مجموعة من المحاذير التى تجىء مع هذا الإحساس بالاختلاف).

ص ٣٤ من كتابه (المرايا المحدّبة – من البنيوية إلى التفكيك) سلسلة كتاب (عالم المعرفة – الكويت) رقم ٢٣٢ ذو الحجة سنة ١٤١٨هـ – أبريل سنة ١٩٩٨م.

(٢) الفصل ج١ ص٢٢٤ مكتبة المثنى بغداد.

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزى ص٢٤٩ تحقيق عبد القادر عطا مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٧٩م.

ومن المتفق عليه عند أمثال ابن حزم وابن الجوزى والعامرى وابن تيمية وغيرهم أن الأدلة الشرعية كافية بذاتها فى مخاطبة العقول، ولم يلجؤوا إلى طلب العون من الفكر الفلسفى كما حدث فى التاريخ الدينى لأوروبا، فقد احتل الوحى الدرجة العليا عندهم مصدراً ومنهجاً. يقول ابن تيمية (..بل إن غاية ما يذكره المتكلمون والفلاسفة قد جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه) موافقة صحيح المنقول..جـ١ص١٤

قلنا إن فشل الأيديولوجيات يعني أن الفكر البشرى -الذى أثمر الماركسية والوطنية والديمقراطية والقومية وغيرها -عاجز عن تحقيق الحياة المحققة للإنسان سعادته، ولا سيما بعد أن أخذت هذه الأيديولوجيات أشكالاً جديدة فى النصف الأخير من هذا القرن كما يصفها الدكتور رشدى فكار.

وما دامت التجارب التى استغرقت عدة أجيال قد باءت بالفشل، فقد عادت البشرية إلى العقائد الدينية من جديد، وأصبحنا نعيش فى ظل (اليقظة الدينية)، حيث تتطلع المجتمعات الإنسانية إلى ما هو خارج عن نطاق العقل والتجارب التى خضعت للأهواء والمصالح، ولم تعد تعبر عن قيم ومعنويات. ويذكر الدكتور رشدى فكّار: (أن الأيديولوجيات أخذت تتجه أكثر فأكثر فى الدولة المتقدمة إلى (المصلحية)، بمعنى أنه لم يعد لها هدف قيمى إنسانى بقدر ما هى مجرد تبرير لمصلحة أى نفع استهلاكى أو ربح إنتاجى) ويقول: (لنتدبر ونعمق النظر فى المجتمعات الصناعية الكبرى.. تجرى الانتخابات تلو الانتخابات وتنتصر شعارات على شعارات وحقائق المجتمع هى هى.. المحافظون والعمال فى انجلترا الديمقراطيون والجمهوريون فى الولايات المتحدة، وحتى فى المجتمعات التى تزاول ما يسمى بالديمقراطية المباشرة فى ظل النظم الموجهة نجد أيضًا أن الأيديولوجيات تبريرية مصلحية) وهكذا، إلى أن يوضح فى النهاية أن القضية تحولت إلى مجرد شعارات. ويختتم عبارته بقوله: (ومستودعات الشعارات موجودة تخرج منها الشعار المناسب للوقت المناسب)[1].

وإذا كان الدين هو الذى يتقدم فى العصر الحاضر لكى ينقذ البشرية من أزماتها، فأى دين يحمل الرسالة الصحيحة المحققة لأهداف الإنسان فى هذه الحياة وما بعدها؟

إننا نحتكم إلى العقل وأحكامه فى إثبات الوحى والنبوة، وما يتصل بهما من

(١) د. رشدى فكار: الشباب وحرية الاختيار ص٩ (كتاب المختار) بدون تاريخ رقم (٤) سلسلة (نحو طلائع إسلامية واعية).

بناء عقائدى وأخلاقى يرتقى بالإنسان إلى المكانة اللائقة به، ويضع له الأنظمة فى مسالك حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الكفيلة بتحقيق الحياة الطيبة فى هذه الدنيا.

ولنصل إلى نتائج فى هذا الغرض علينا أن نتدرج فى تقديم البراهين واضعين نصب أعيننا اجتياز المراحل الثلاث الآتية:

١ - نظرية المعرفة ووسائل الإدراك الإنسانى:

إذا كانت المعارف والعلوم الدنيوية تحتاج إلى التجارب القائمة على الحس والمشاهدة والعقل، فهل تسرى على الحقائق الدينية نفس الوسائل؟

تتطلب الإجابة عن هذا السؤال تشخيص وسائل الإدراك الإنسانى لكى نقتنع بأن القضايا الدينية تسمو بحقائقها ووسائل إدراكها الأرقى والأوثق من الحس والمشاهدة والعقل.

ومن المقرر بين العلماء أن علم الإنسان (جزئى: زمنى فإنه حادث لم يكن من قبل فإنه لا يدون ولا يبقى، بل يزول بأضداده، وبآفات مثل بطلان الحاسة والنسيان. وجزئى فى البعد والمسافة، لا يرى ولا يسمع إلا من قريب ولا يرى إلا المقابل. وجزئى من حيث المتعلق، لا يعلم الإنسان إلا بالصورة والمثال)(١).

هذا فيما يتعلق بوسائل الإدراك، أما عن المصدر فإن الله تعالى هو خالق الإنسان، وهو سبحانه الذى علمه ما لم يعلم. يقول الأستاذ جار الله فى تفسير قوله ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] أن علم الإنسان وعلم الملك بالأسامى فقط، أما الحقائق فلا يعلمها لا بشر ولا ملك، لأن التعليم والإنباء لم يتعلق إلا بالأسامى فى الآية الكريمة(٢).

---

(١) موسى جار الله: الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة -ص١٠٢ :١٣ / ط لاهور- باكستان ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
ويقول ابن خلدون (واعلم أن الوجود عند كل مدرك فى بادئ رأيه منحصر فى مداركه لا يعدوها والأمر فى نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه) ثم يضرب أمثلة بالأصم والأعمى وينتهى إلى تقرير أن إدراكاتنا مخلوقة محدثة وخلق الله أكبر من خلق الناس والحصر مجهول والوجود أوسع نطاقًا من ذلك والله من ورائهم محيط...) الفصل العاشر -فى علم الكلام.

(٢) موسى جار الله: الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة-ص٩.
علم الملك: (نوع من الإدراك وليس المقصود به الأسماء).
يُنظر أيضًا كتاب (السموات السبع) للدكتور. محمد جمال الدين الفندى حيث يقول: (إذا لم تعد الغيبيات التى نعبر عنها بعالم ما وراء الطبيعة من الأشياء المنبوذة علميًا أو التى يمجها العلماء كما =

وما دامت وسائل الإنسان قاصرة عن معرفة الحقائق، وفى قمتها عالم الغيب فلابد من وسائل أخرى للمعرفة، بما يدخل فى نطاق عالم الغيب.

ثم جاء العلم الحديث ليدعم فكرة قصور وسائل الإدراك فى الإنسان مما ينبثق عنه ضرورة وجود عالم آخر، ومن ثم فقد المحتجون بالعلم إنكار عالم الغيب أمضى أسلحتهم، إذ لا يستندون إلى دليل (علمى).

ويقرر وحيد الدين خان أن مقولة أنه لا إيمان إلا بالمشاهدة مقولة مجردة من النظرة العلمية، ثم يستطرد فيرى أن (القول بأننا لن نؤمن بالآخرة والوحى والإله ما لم نشاهدها بأعيننا فى وضح النهار.. أن كل ذلك مخالف للعلم الحديث، فإنه لأول مرة فى التاريخ المعلوم حدث أن العلم الإنسانى أثبت بنفسه أن (علم الإنسان محدود)، وأنه سيظل (محدوداً).

ثم يبين أثر ذلك على الإيمان الدينى حيث يريد الإنسان الوقوف على حقيقة الكون، ولكنه يعجز بسبب محدودية إدراكه، مما يدل على أن الإنسان يحتاج إلى مرشد أعلى (وبتعبير آخر: إن هذا الاعتراف الذى أثبته العلم أكد ضرورة الرسل والرسالات السماوية للإنسانية كلها[1]، وذلك كما رأيننا بسبب قصور وسائل الإدراك الإنسانى.

ونحن نرى أن الإقرار بهذه النتيجة الواقعية الملموسة لا يتعلق بعصر دون آخر، ولا بأمة دون أخرى، بل هى ثابتة فى تاريخ الإنسان قديمًا، وثابتة فى واقعه المعاصر، كذلك فإنها تتعلق بالإنسان بما هو إنسان، أى خارج حدود الأوطان والقوميات والحضارات مهما ارتقت وتقدمت فى العلوم والمعارف.

ولابد هنا من التنويه بالدراسة العلمية الموثّقة للدكتور مهندس محمد الحسينى إسماعيل، حيث استخلص من بحثه للمراحل التى تبلورت فيها العقيدة المسيحية فى شكلها النهائى الحالى عبر المجامع الكنسية، متخذاً من هذه المجامع التى حضرها آلاف المشتركين من أساقفة ورجال دين ورجال فكر وفلاسفة شاهد الصدق

= كان الحال من قبل خصوصا وأن العلم يعجز عن الوصول إلى الحقيقة المطلقة وعن كشف اللثام عن أصل الأشياء وكنهها) ص٩ / ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

(١) وحيد الدين خان: قضية البعث الإسلامى -المنهج والشروط ص١٤٩ دار الصحوة- ترجمة محسن عثمان الندوى - ومراجعة د. عبد الحليم عويس -١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

التاريخي، على قصور الفكر البشرى تجاه الدين، وكان من عناية الله عز وجل ألا يترك أمراً من أمور الدين للإنسان حتى لا يضل ولا يضلل (ولهذا كان قوله تعالى عن القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] أى لا اجتهادات متروكة للإنسان تجاه النص الإلهى، كما لا توجد أدنى مسئولية تقع على عاتق الإنسان، لا فى صياغة النص الإلهى ولا فى حفظه، فقد تكفل الله سبحانه وتعالى بهذا وذاك)(١).

وله دراسة ثانية بنفس المنهج بكتابه: (الدين والعلم وقصور الفكر البشرى)، إذ نوّع فيه الأدلة متسلحاً بمخزون من النظريات العلمية الفيزيقية والرياضية، مع اطلاع عميق للمذاهب الفلسفية اليونانية والحديثة والمعاصرة، فضلاً عن استيعاب تعاليم الديانات الأخرى من مصادرها وتتبّع تطوراتها التاريخية.

والكتابان جديران بعناية الباحثين فى علم مقارنة الأديان وخلاصتهما تمثلان فتحاً جديداً فى دراسة الأديان بالمنهج العلمى الدقيق.

وما دام تاريخ البشرية المدون قد أثبت وجود الرسل والأنبياء بالتواتر وآخرهم موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم، فإن المصدر الأصلى للدين الصحيح هو الوحى، وليس خيالات الفلاسفة الزاعمين التلقى عن طريق الإشراق أو الاتصال بالعقل الفعال، ولا تنبؤات الكهنة الذين أفسدوا العقائد والأديان.

وإذا اتضح ضرورة الوحى كمصدر للعقائد الدينية الصحيحة ومتعلقاتها من معارف يقينية، وأوامر ونواهى إلهية لتقويم الإنسانية، فما هى عوامل الانحراف عن الدين الصحيح، وأشكاله التى نراها فى المجتمعات؟

٢- بعض عوامل انحراف الأديان وأشكاله:

إن ما يثير التأمل عند الحديث عن الكهنة (أو رجال الدين الزاعمين بأنهم وسطاء بين الله والناس) أن بعض الانحرافات فى العقائد الدينية أفسدت بسبب هؤلاء.

---

(١) الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان، دكتور مهندس محمد الحسينى إسماعيل ص ٢٥١/٢٥٢. مطابع الأهرام سنة ١٩٩٥م.

أ- فقد قالوا العبارة المشهورة: (الكاهن نائب الله، والملك ظل الله فى أرضه)، والأمثلة على ذلك نلاحظها فى الهند حيث كان الإله تحت اسم (برهما)، ولكن انحدرت العقيدة هنالك إلى الظن بأن (برهما) حل فى (الرهماثان)، وهو رئيس الكهنة حلولاً وراثياً يتوارثه بعد الكاهن الأعظم من يحل محله. وبتوالى الأجيال أصبحت هذه الطبقة أعلى من غيرها، ثم اخترعوا نظام الطبقات.

ولما جاء (بوذا) ليحارب نظام الطبقات ثم مات، ظهر الكائن الذى ينوب عنه (ولم يقف الأمر عند هذا الحد أيضاً، بل أقيمت لبوذا تماثيل وأصنام تعد بالآلاف ، وطبعاً حلت روح بوذا- ليس فى الكاهن فقط- وإنما فى الكاهن والصنم)[١].

ب- ومن فكرة الحلول انبثقت عقيدة تناسخ الأرواح والشرك فى آن واحد حيث تحل روح الميت المقرب للكهنة -وهو مقرب بالضرورة للآلهة -فى جسد نقى طاهر، (بعكس الأشرار الذين ليسوا بكهنة وأبناء كهنة، فإن أولئك يتقمصون أجساد الحيوانات)[٢].

كذلك نرى تجسيد تميز طبقة دينية على غيرها سلطاناً ونفوذاً، نراه فى النظام الكنسى الذى يوسط رجال الدين بين الله والعباد حيث جاء الإسلام بإبطاله. يقول جارودى: (لقد استبعد القرآن على سبيل المثال ملكية الحق الإلهى الاستبدادى، بالمعنى الغربى للكلمة لأنه لا يوجد فى الإسلام كهنة ولا كنيسة مؤهلة قانونياً بالتكلم وبالحكم باسم الله)[٣].

---

(١) الدين والفلسفة والعلم -السيد محمود أبو الفيض المنوفى ص١٠١ ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة (بدون تاريخ).

(٢) المرجع نفسه ص١٠٢.

(٣) جارودى: الإسلام دين المستقبل ص٨٤ -ترجمة عبد المجيد بارودى- دار الإيمان- بيروت / دمشق ١٩٨٣م.

ويقول المهتدى إلى الإسلام احمد سامى عبد الله: (ولقد تركت الركوع للمسيح وبعض البشر من الكهنة والأساقفة والبطاركة والقمامصة الزاعمين أنهم أكثر قرابة إلى الله وأنهم الوسطاء فى مغفرة ذنوب البشر..) ص٢٧ من كتابه (لماذا وكيف أسلمت) ط. رابطة العالم الإسلامى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

وينظر ص١٤٤ الكهنة والعامة -التحليل والتحريم بين البشر.

جـ- ويلحق بالكهنة أيضا المتنبئين الكذبة(١) وهم أحد منابع الفساد في الأديان، حيث يزعمون أنهم كالأنبياء، وأنهم يأتون بالخوارق والمعجزات ويفتنون الأتباع بأعمال السحر وخوارق العادات.

وكان ذلك دافعا لعلماء الإسلام من تحذير المسلمين من فتنتهم، ونذكر منهم على سبيل المثال ابن تيمية الذى أوضح بإسهاب الفروق بين الأنبياء وبين الكهان والسحرة وغيرهم من أصحاب الشعوذة، شارحًا الفروق المميزة بين الأنبياء الصادقين وغيرهم، نجملها باختصار فيما يلى:

أولاً: يخبر الأنبياء بالصدق ولكن الكهان يكذبون.

ثانيًا: أن الأنبياء لا تأمر إلا بالعدل ولا تفعل إلا العدل، وهؤلاء المخالفون لابد لهم من الظلم.

ثالثًا: تأتى آيات الأنبياء دالة على خبر الله تعالى وأمره على حكمة فتدل على أنهم أنبياء، وعلى صدق من أخبر بنبوتهم سواء كانوا هم المخبرون أو غيرهم، ولكن السحر والشعوذة التى يأتى بها الكهان أمر معتاد لغير الأنبياء.

رابعًا: لو افترضنا جدلاً أن آيات الأنبياء والنبوة تنال بالاكتساب فإنما تنال بعبادة الله تعالى وطاعته، وهى مستلزمة لالتزام الصدق والعدل، بينما تحصل الخوارق لمخالفيهم مع الكذب والإثم.

خامسًا: إن أفعال الكهان والمشركين أمور مقدورة للإنس والجن، وآيات الأنبياء لا يقدر على مثلها لا الإنس ولا الجن، كما قال تعالى: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ**

---

(١) وبعض دجاجلة الصوفية، وتحت عنوان (الغش والتدليس فى الديانات) يذكر ابن تيمية ألوانًا منها، ويضيف إليها الدين يظهرون الخزعبلات السحرية والشعبذة الطبيعية وغيرها التى يضاهى بها ما للأنبياء والأولياء من المعجزات والكرامات ليصد بها عن سبيل أو يظن بها الخير فيمن ليس من أهله. ص٥٤ من كتاب (الحسبة ومسئولية الحكومة الإسلامية) -تحقيق صلاح عزام- دار الشعب فبراير ١٩٧٦م.

كما ينطبق التحذير أيضًا على كل من يخالف طرق الأنبياء والرسل فى العصور المختلفة، بما فى ذلك العصر الحاضر، كما سيأتى، وإذا كان جل نقد شيخ الإسلام مقتصرًا على ما عرفهم فى عصره كشخصيات الكهنة المشركين وأهل البدع من أهل الملل، فقد ظهرت شخصيات أخرى، لا تتبع نفس الطرق والحيل، ولكنها تشترك مع أسلافها فى الهدف والمرمى، حيث تصرف الشعوب والأمم عن طريق الأنبياء والرسل وتدعو لاتباع مذاهبها وفلسفاتها ونظمها المخترعة.

وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

سادسًا: إمكان معارضة ما يأتى به السحرة والكهان، وآيات الأنبياء لا يمكن لأحد معارضتها.

سابعًا: تأتى آيات الأنبياء مؤيدة لصدق أصحابها، وتأتى آيات مخالفيهم دالة على كذب أصحابها.

ثامنًا: إن آيات الأنبياء لا يقدر عليها مخلوق -حتى الصالحون- أى آيات الأنبياء التى يختصون بها خارقة لعادة الصالحين.

تاسعًا: لا تأتى خوارق الأنبياء بناء على أفعالهم، بل الله تعالى يفعلها آية وعلامة لهم، فأمر الآيات إلى الله تعالى لا إلى اختيار مخلوق. والله سبحانه وتعالى يأتى بها بحسب علمه ومشيئته ورحمته كما ينزل ما ينزله من آيات القرآن، وكما يخلق من يشاء من المخلوقات. ولكن الخوارق ليست آيات، فتارة تكون بدعاء العبد، والله تعالى يجيب المضطر- وإن كان كافرًا. وتارة تكون بسعيه فى أسبابها مثل توجهه بنفسه وأعوانه وبمن يطيعه من الجن والإنس فى حصولها، وأما آيات الأنبياء فلا تحصل بشىء من ذلك.

عاشرًا: أن النبى صلى الله عليه وسلم قد خلت من قبله أنبياء يعتبر بهم، فلا يأمر إلا بما أمرت به الأنبياء من عبادة الله تعالى وحده، والعمل بطاعته والتصديق باليوم الآخر، والإيمان بجميع الكتب والرسل، فلا يمكن خروجه عما اتفقت عليه الأنبياء. وأما الكهان والسحرة والمشركون، وأهل البدع من أهل الملل، فإنهم يخرجون عما اتفقت عليه الأنبياء. فكلهم يشركون مع تنوعهم، ويكذبون ببعض ما جاء به الأنبياء.

حادى عشر: أن النبى صلى الله عليه وسلم هو وسائر المؤمنين لا يخبرون إلا بحق، ولا يأمرون إلا بعدل فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويأمرون بمصالح العباد فى المعاش والمعاد، ولا يأمرون بالفواحش ولا الظلم ولا الشرك، ولا القول بغير علم، فهم بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها، لا بتبديلها وتغييرها، فلا يأمرون إلا بما يوافق المعروف فى العقول الذى تتلقاه القلوب السليمة بالقبول.

وكما أنهم لا يختلفون، فلا يناقض بعضهم بعضًا، بل دينهم واحد- وإن تنوعت الشرائع -فهم أيضًا موافقون لموجب الفطرة التى فطر الله عليها عباده، موافقون للأدلة العقلية الصحيحة التى كلها توافق الأنبياء لا تخالفهم، وآيات الله السمعية والعقلية العيانية والسماعية كلها متوافقة متصادقة متعاضدة، لا يناقض بعضها بعضًا والكهنة يأتون بخلاف ذلك(١).

تكفينا إذن هذه الموازين أو بعضها لنستخدمها فى التمييز بين الرسل وأتباعهم من هداة البشرية إلى الحق والخير، وبين المضللين أيًا كانت صفاتهم وأفعالهم.

ومهما اختلفت شخصيات المعاندين للرسل فإن المعارك ما زالت دائرة، كل ما هنالك أنها تأخذ أشكالاً وصورًا أخرى على مدى العصور: فإذا كان الإمام ابن تيمية يتصور المعارك الدائرة فى عصره ويحذر من مدعى النبوة والكهنة الكذبة، فإن الإمام أبو الحسن الندوى فى عصرنا الحاضر يحذرنا من صنوف جديدة من البشر تحاول بدورها أيضًا أن تسلك بالأمم والشعوب طرقًا غير طرق الأنبياء والرسل (فليس شقاء الإنسانية وأزمة المدنية الحاضرة، مع تملكها لجميع أسباب السعادة والسلام والرفاهية والهناء -إلا بثورة قادتها على تعاليم النبوة والأنبياء وتخطيطهم للمدنية والحياة على غير الأسس التى جاء بها الأنبياء والمرسلون واستغنائهم- وبالأصح استكبارهم- عن ما أكرم الله به النبى العربى الأمى- ﷺ)(٢).

وفى ضوء هذه الإيضاحات يتحصن المسلم فيميز بين الحق والباطل مهما تعددت صوره ويفلت من خداع الكهنة والدجاجلة وأمثالهم الذين يفتنون الناس بحيل الدجل والسحر.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رأى فريد أيضًا فى تفسيره لدعاء الاستعاذة من المسيح الدجال فى الصلاة أثناء التشهد الأخير، وكأنه يريد به التحذير الشديد من

---

(١) النبوات ص٣٠٠-٣٠٣- المطبعة السلفية بمصر.

(٢) النبوة والأنبياء فى ضوء القرآن، الندوى ص١٠ ط المختار الإسلامى سنة ١٩٧٤م. ويذكر الإمام الندوى السمات التى يتميز بها الأنبياء:

١- علومهم مصدرها الوحى. ٢- قيامهم بتصحيح العقائد وإفراد الله تعالى بالعبادة.
٣- التشديد على جانب الآخرة. ٤- الإيمان بالغيب. ٥- البعد عن التكلف.

نفس المرجع ص٣١، ٣٥، ٤٢، ٤٧، ٥٢.

كافة الدجاجلة المشابهين للدجال المعنى بالحديث -وهو كبيرهم- ويتوسع فى تعميم فتنته، فيجعلها تشمل كل باطل مخالف للشريعة ومقرون بباطل فيقول (وفتنته لا تختص بالموجودين فى زمانه- بل حقيقة فتنته الباطل المخالف للشريعة المقرون بالخوارق، فمن أقر بما يخالف الشريعة لخارق فقد أصابه نوع من هذه الفتنة، وهذا كثير فى كل زمان ومكان، لكن هذا المعين فتنته أعظم الفتن، فإذا عصم الله عبده منها، سواء أدركه أو لم يدركه كان معصومًا مما هو دون هذه الفتنة، ويمضى فيحذرنا من صنوف البشر المدعين للألوهية أو النبوة أو الولاية أو المهدية[1] ويستند إلى حديث الرسول ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى يكون فيكم ثلاثون دجالون كذابون، كلهم يزعم أنه رسول الله**»[2].

نموذج من الدجل العصرى:

حصر ابن تيمية الكهنة والمتنبئين الكذبة المعروفين في عصره كما رأينا، ولكن ظاهرة الدّجل ما زالت تعيش فى العصر الحاضر أيضًا حيث اتسعت دائرته، فشملت أصحاب المذاهب من الساسة الذين يخضعون الشعوب تحت شعارات ظاهرها العدل والحرية وباطنها الظلم والقهر، وكذلك الثورية ومؤسسها فى العالم الإسلامى أتاتورك المعادى للإسلام، والزاعم لنفسه رسالة الارتقاء بتركيا، ويُلحق بالكهنة أيضًا المنكرون للنبوّات، والمنادون بالتجديد فى الدين حسب أهوائهم وفلسفاتهم - وبلا أى سند من أدوات الاجتهاد الشرعى التى اشترطها علماء المسلمين فيمن يتصدى للاجتهاد.

كذلك لم تمنع الحياة العصرية بزينتها وزخارفها وآلاتها التكنولوجية الإنسان الغربى المعاصر من الوقوع فى براثن (كهنة) عصريين - عرفوا كأسلافهم القدماء حاجة النفس البشرية الفطرية إلى التدين، ولكنهم فاقوا أسلافهم فى الخداع والتمويه، واستخدموا أساليب جديدة فى النفاذ إلى النفوس القلقة والتى تفتقد الإيمان الصحيح بشعبه وبراهينه.

---

(١) بغية المرتاد ص٤٨٣ تحقيق د. موسى بن سليمان الدوبن، مكتبة العلوم والحكم ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م. وأصل الدجل: التغطية والتمويه والتلبيس ص٤٨٥.

(٢) جامع الرسائل ص١٩٧ تحقيق د. رشاد سالم، والحديث رواه البخارى ومسلم. كما رواه الإمام أحمد فى (المسند).

حدث هذا - كما يذكر الدكتور عبد الفتاح الحسينى فى العقد السابع من القرن العشرين، إذ قام بعض أصحاب الألاعيب التجارية بترويج قطع من الصخر المصقول يمكن اقتناؤها لتكون صحبة لمن يشعر بالوحدة، وسرعان ما استشرى التقليد بين الناس، وقامت صناعة خاصة بجمع الأحجار وتصنيفها وصدرت كتيِّبات ومنشورات لإرشاد الناس لأحسن السبل للاستفادة مما تقدمه قطعة الحجر من حظ وراحة بال أو اللجوء إليها لاستلامها العون فى اتخاذ قرار!، وزاد الحماس حتى لم يكد يخلو بيت فى الولايات المتحدة الأمريكية من قطعة حجر ظنًا أنه حجر ثمين بينما الحقيقة أنه لا يتميَّز عن أى حجر بالطريق!

وغالى بعض الناس فمهدوا للحجر فراشًا وثيرًا، فلا ينام الطفل دون احتضانه ولا تدخل الفتاة سريرها حتى تحى قطعة حجرها وتقبلهًا.

ويمضى الدكتور الحسينى ليحدّثنا عن اغتنام بعض علماء النفس الفرصة فكتبوا عن التأثير النفسى للحجر الأليف، ودوره فى علاج الأمراض العقلية والعصبية والنفسية، ثم يسجّل طرق النصب والاحتيال التى يقوم بها تجار الحجر للمحافظة على مراكزهم، فقاموا (بصك شهادات .. يحمل اسم تدليل لقطعة الحجر وتاريخها ونوعها وما تفعله من معجزات، وادعى القائمون على تلك التجارة أن أحجارهم ليست من الأحجار التى يصادفها الناس فى الطريق، بل إنهم يقومون باقتنائها بطرق علمية حديثة ويشارك فى انتقائها علماء نفس وأطباء وعلماء اجتماع ومهندسون متخصصون فى طبقات الأرض)[1].

٣- عقيدة التوحيد هى الأصل:

إذا عدنا لتناول العقيدة الدينية وبيان نشأتها، فمن اليسير استنتاج أن عقيدة التوحيد هى الأصل، ثم طرأ (الشرك) على البشرية، وكلما انحرفت عن طريق التوحيد أرسل الله تعالى الأنبياء والرسل لتذكير بنى آدم مرة جديدة بعقيدة التوحيد.

ومما يؤيد ذلك قصة الخلق فى القرآن الكريم، حيث يذكر الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام، وكان نبيًا، وهو أول من سكن الأرض من البشر.

---

(١) مقال بعنوان (أكبر عملية احتيال فى التاريخ) ص ٢٠ بقلم الدكتور عبد الفتاح الحسينى مجلة (المختار الإسلامى) العدد ٢١٨، ١٥ شوال ١٤٢١هـ - ١٠ يناير ٢٠٠١م.

وعندما انتكست المجتمعات وتدهورت، أخذت فى عبادة المخلوقات الأخرى فعبدوا الشمس لظهورها الدائم والمنافع التى تعود عليهم منها، وما زالت تحتل مكان القداسة عند اليابانيين إذ يعتقدون أن (الميكادو) تجسيد لإله الشمس كما عبدت بعض المجتمعات السماء لأنها تحتوى على الشمس والقمر والنجوم، ومنها يسقط المطر. والبعض عبد الأرض لأنها تنبت الزرع ويعيشون عليها[١].

كذلك عبدوا الإنسان فى شخصية الأب أولاً لأنه رمز النعمة والقدرة، ثم تحولت إلى عبادة رئيس القبيلة لأنه أكبر قوة وقدرة، وعبد قدماء المصريين فرعون مصر كما يذكر القرآن الكريم ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٣، ٢٤]. وإلى يومنا هذا ما زال ملك اليابان معبود الكثير من أبناء شعبه[٢].

ويقول الأستاذ أحمد عبد الغفور (ومن أثر عبادة الإنسان الباقية عن المتدينين تقديس البطولة والعظمة، فهو مظهر يتفق مع التقدم الحضارى، ومن آثارها عبادة (المعشوقة) التى نجد فى آثار الشعراء فى عصرنا من يقول لها فى أشعاره أو كتابه أو خطابه : أنا عبدك، معبودتى[٣].

إن هذا التدرج فى العبادة، أو بمعنى أدق (التدنى) من الأعلى إلى الأدنى، تتضافر على تأييده الوقائع التاريخية، بالإضافة إلى التفسير النفسى للظاهرة، وكان مؤرخنا الشهرستانى من أوائل من تعرض لها بالتحليل.

فبعد أن أرخ الشهرستانى لبعض ديانات الهند، حيث ذكر أن منهم من عبد الشمس زاعمين أنها ملك من الملائكة، ولها نفس وعقل، ومنها نور الكواكب وضياء العالم، ثم اتخذوا لها صنماً.

ومنهم من زعموا أن القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة وينسبون إليه تدبير هذا العالم السفلى، والأمور الجزئية فيه، وبزيادته ونقصانه تعرف الأزمان والساعات، ثم اتخذوا له صنماً يعكفون عليه.

---

(١) الإيمان بالغيب –بسام سلامة– مكتبة المنار بالأردن ص٤٤– ط ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٢) باختصار من كتاب (الديانات والعقائد فى مختلف العصور)– أحمد عبد الغفور عطار –ص٧٢ : ٧٣ ج١– ط١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م/ مكة المكرمة.

(٣) المرجع نفسه ص٧٣.

وقام الشهرستانى بدراسة الصلة بين عبَّاد الأصنام وأصول العقائد وتفسيرها تفسيراً نفسيًا حيث وضعوا الأصنام المعبرة عن معبود غائب، إذ الصنم المعمول على صورته وشكله وهيئته نائبًا منابه وقائمًا مقامه. وفى هذا الصدد يقول: " (وإلا فنعلم قطعًا أن عاقلاً ما، لا ينحت جسمًا بيده، ويصوره صورة ثم يعتقد أنه إلهه وخالقه، وإله الكل وخالق الكل... لكن القوم لما عكفوا على التوجه إليها، وكان عكوفهم ذلك عبادة، وطلبهم الحوائج منها إثبات لها وعن هذا كانوا يقولون ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ** ﴾ [الزمر: ٣](١).

أما عن الانحدار عن عقيدة التوحيد التى أتى بها الأنبياء والرسل فيرجعه باحث معاصر إلى أن سبب نشر لواء الوثنية يرجع إلى الجهل الذى أصاب الأجيال تلو الأجيال بعد أن بث فيهم (سام ابن نبى الله نوح عن شيث وإدريس فأضاعوها لما طال عليهم العهد، فضلوا السبيل الإلهى المرسوم)(٢).

وهناك من يدافع عن الوثنية بزعم أنها تعبر فى مرحلة ما عن حاجة البشر الفطرية، ثم تتعداها إذا ما نضجت البشرية وبلغت سن الرشد، فحينئذ يستغنى الإنسان عن الوثنية، فتصبح التماثيل علامات ورموز(٣).

ولكن سرعان ما يتهافت هذا الرأى أمام الواقع الماثل أمام دارس العقائد والعبادات فى المجتمعات الوثنية التى ما زالت تعض على الأصنام بالنواجذ حيث يعكف الناس عليها بإصرار بصفتها الأهداف النهائية لعباداتهم ولا يتخطونها إلى مرحلة التوحيد كما يتخيل بعض الفلاسفة، (لذلك كان ما حكاه الله تعالى عن إبراهيم ﷺ من قول وشكوى، حقًا ومنطبقًا كل الانطباق على عباد الأوثان والأصنام ﴿ **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ** ﴾ [إبراهيم: ٣٦].. أنها استحوذت على عقول عبادها، وألهتهم عن عبادة الواحد القهار، فتشاغلوا بها عنه، وحرموا سعادة عبادة الله ولذتها، فكان ذلك هو الضلال المبين(٤).

وتتنوع مظاهر الانحدار والتردى التى يسجلها الباحثون المعاصرون: فلم يعد

---

(١) الشهرستانى: الملل والنحل - ج٢ ص٢٥٩ تحقيق محمد سيد كيلانى ط الحلبى ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١م.

(٢) من كتاب الدين والفلسفة والعلم للسيد محمود أبو فيض المنوفى - ص٤٩.

(٣) الأركان الأربعة للإمام أبى الحسن الندوى ص٧٦ ط دار القلم بالكويت ١٣٩٨ هـ - ١٩٨٧م.

(٤) نفسه باختصار ص٧٧.

يثير سخريتنا ما سجله التاريخ عن بعض العرب الذين كانوا يأكلون آلهتهم إذا أصابتهم مجاعة، إذا علمنا أن فى الحبشة الآن قبيلة (القالا) تعبد السمك ثم تأكله . فضلاً عن عبادة (البقر) فى الهند[1] .

ونتوقف قليلاً عند عبادة الحيوانات بأنواعها وما تركته من رموز أشهرها (الطوطم) وأصله عبادة الحيوان (وما تزال الطوطمية موجودة حتى عصرنا هذا فى قبائل متفرقة فى آسيا وأفريقيا وأمريكا، وفى كثير من الجزر فى المحيط الهادى وفى استراليا)[2] .

ولم تنحصر فى هذه الأجزاء المتفرقة من العالم بل بقيت فى شكل (شعارات) فى بيئة الإنسان المتقدم المتحرر (التى نراها فى بعض دور النشر والجماعات والجمعيات والدول، حيث يتُخذ الحيوان شعاراً لها، فهذه تتخذ دبًا وتلك نسراً وهكذا)[3] .

مناقشة منهج التطور فى نشأة العقائد الدينية

وهذه الظواهر وغيرها تدعونا إلى مناقشة منهج (التطور) فى العقيدة الدينية الزاعم بأن الإنسانية تطورت من (الحياة البدائية التى تحكمها عبادة الأصنام وتحوطها ألوان الشرك والوثنية) إلى التطور إلى (التوحيد)، حيث يذهب فريق من الباحثين فى تاريخ الأديان إلى أن الدين بدأ فى صورة الخرافة والوثنية، وأن الإنسان أخذ يترقى فى دينه حتى وصل إلى الكمال بالتوحيد كما تدرج فى العلوم والصناعات، ومن هؤلاء سبنسر وتايلور وفريزر ودوركيم، ويقابله فريق آخر من الباحثين يرى أن عقيدة الخالق الأكبر هى أقدم ديانة ظهرت فى البشر، والوثنية هى أعراض طارئة[4] .

ونحن نرجح الرأى الثانى عن اقتناع بالأدلة العلمية التى ساقها الدكتور دراز فى

---

(١) الديانات والعقائد فى مختلف العصور ص٧٤ ويقول المؤلف (وفى عصرنا هذا يعبد (الكانجارو) فى استراليا، والخرتيت ذو القرن الواحد وعجل البحر والثعابين عند أقوام البوشمن بصحراء كلهارى وقبائل فى تسمانيا وعند كثير من الأسكيمو.

(٢) المرجع نفسه ص٧٥ .

(٣) المرجع نفسه ص٨١ .

(٤) الدكتور دراز، الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) ص١١٢ ط دار الفكر العربى (بدون تاريخ) .

بحثه المبتكر عن (الدين)، وهي ذات ثلاث شعب:

أولها: التحليل النفسي حيث يؤدى إلى بيان خطأ وضع قوى النفس المختلفة في حياتها الروحية والمادية في نموها على قدم المساواة معًا لأن المشاهدة المتتبعة لمراحل حياة الإنسان تستخلص أن الإنسان كان في بدايته يقنع بإشباع حاجاته الضرورية من مأكل ومشرب ومأوى، ودفعته قلة مشاغله، ووفرة وقته إلى التأمل الذي يرهف حاسته الدينية، بينما نرى اشتغال الناس في عصور المدنيات بترف الحياة الجثمانية يؤدي إلى العكس (ذلك أن الغرائز المتقابلة تضعف وتتقلص، بقدر ما تنمو وتقوى أضدادها، ككفتي الميزان : لا ترتفع إحداهما إلا انخفضت الأخرى)[1].

الثانية: أن استقراء سير الديانات منذ طفولة التاريخ إلى اليوم يبين أن كلا منها بدأت بعقيدة التوحيد النقية، ثم خالطتها الأباطيل مما يدل على أن البداية خير من النهاية.

الثالثة: إذا بحثنا الظاهرة في ضوء التطور الصحيح -كالفن مثلاً- نجد أنه يبدأ في صورة ساذجة، متحدة، متجانسة، ثم تتدرج إلى التكثر والتركيب وتنتقل من البساطة إلى التعقيد كلما بعدت عن الأصل. فإذا طبقنا هذا القانون على العقيدة الإلهية يستوجب أنها بالمثل (سارت أيضًا من الوحدة إلى الكثرة، ومن النقاوة والسهولة واليسر إلى التعقد بالإضافة الأسطورية، والنزوات الخيالية التي لا ضابط لها من العقل السليم)[2].

ونضيف إليها الواقع المعاصر الذي يوصف دائمًا بالتطور الحضاري، حيث بلغ الإنسان ذروة التقدم في القرن العشرين الميلادي.

وللحكم على مدى صحة هذه المقولة نعود لتذكر حالة العرب في (الجاهلية) وقبل الإسلام، حيث سادت عبادة (الأصنام)، والسؤال الوارد في الذهن الآن : هل تخلص الإنسان المتطور الذي يعيش في القرن العشرين من الأصنام؟

يرى جارودي أن هناك أصنامًا في العصر الحديث لها قدسية في النفوس تشبه أصنام العرب في الجاهلية، ولكنها لون جديد من الأصنام، يحصرها في (التنمية)

---

(١) المرجع نفسه ص١١٥ : أي أن انشغال الإنسان بأسباب الترف في معيشته يضعف من حاسته الدينية، ومن ثم فلا تتطور، بل تتراجع، ولا تظل في مكانها وذلك بخلاف قانون التدرج في العلوم والصناعات.

(٢) المرجع نفسه ص١١٦.

و(التقدم) و(الفردية) و(تمجيد الأمة، أصنام القوة المسلحة والجيوش الجرارة، وغيرها من أصنام وطواطم ورموز مقدسة، وطقوس واحتفالات) بينما جاءت عقيدة التوحيد فى الإسلام لتنفى كل (صنمية) لأنها الأساس والمنطلق لدى المسلم المؤمن بأنه (لا إله إلا الله)(١).

ويشاركه الإمام الندوى، الرأى، حيث يرى أن أوروبا اتخذت آلهة كثيرة بأسماء طريفة وعناوين جديدة من (ديمقراطية) و(دكتاتورية) و(رأسمالية) و(اشتراكية) و(وطنية) و(قومية) عبر ثلاثة قرون(٢).

وعلى ضوء هذا التحليل -مروراً بعوامل أخرى سيأتى ذكرها- يصبح التطور الحضارى الغربى بميزان الدين الصحيح -دين التوحيد- موضع شك كبير، بل إن بعض فلاسفتهم -فضلاً عن جارودى- يعطوننا صورة قاتمة تجعلنا نتتبع عللها غير القابلة للعلاج، فهى تبدو فى شكلها الظاهر متطورة من الناحية العلمية والتكنولوجية، ولكنها مهلهلة الأحشاء، منهارة الأعصاب، متجهة نحو الانحدار، ولن تفر هذه الحضارة (من المصير الكئيب الذى أصاب عشرات الحضارات السابقة، ويأتى الأدب الحديث ليقول له -أى الإنسان الغربى -بأن الاختلال العصبى هو مصير إنساننا الذى يعيش فى هذا القرن، وكذلك فإن الهزيمة لابد منها، بشكل أو بآخر، ويسخر علم النفس منه، ويؤكد له، أن الثقافة سطحية يكمن فى داخلها إنسان بدائى (وليس متطوراً) ينتظر الانطلاق للسيطرة(٣).

وظهر الحنين إلى العودة إلى الدين المسيحى من جديد لأنه لعب دوراً كبيراً فى الماضى (ولم تكن عذابات (الصلب) التى تربعت فى صدر المسيحية مصادفة، بل كانت تقدم مستوى تحكم فيه على المضايقات التافهة للحياة اليومية)(٤).

ولكن هل يمكن للعقيدة المحرفة التى اصطبغت بالصبغة الإنسانية أن تنقذ هذا الإنسان؟

يبدو أن الفرصة قد أفلتت، وأن المشكلات أعقد بكثير من القدرة على الحل

---

(١) جارودى، ما يعد به الإسلام ص٢٦٧.

(٢) ص٣١ من كتابه: رسالة النبى الأمين إلى إنسان القرن العشرين.

(٣) كولن ولسن: ما بعد اللامنتمى ص١٨٩- ترجمة يوسف شورو وعميمق - منشورات دار الآداب - بيروت- أبريل سنة ١٩٨١م.

(٤) المرجع نفسه ص١٩٣.

حيث يرى كولن ولسن أن من المتوقع أن تصف الأجيال الآتية النصف الأول من هذا القرن بأنه (عصر اللامعنى)، ففقدان المعنى والهدف يجثم على أدبنا وفننا وفلسفتنا، هذا الشعور العام بأن التأكيدات التى يمنحها الدين قد ضاعت ولا يمكن استبدالها، فتحليل العلم للمشكلات العلمية يزيد فى اتساع هوة الفراغ المؤلم، ومن خلال هذا تبدو الثقافة الغربية تعانى الانهيار والانتكاس لما لا يقل عن مائة سنة، إذ إن الأمر ليس إلا مسألة تفكير فى معرفة المدة التى تستمر فيها قبل أن يلتهمها الإفلاس الماحق)[١].

ولنتأمل هذه الصورة المعتمة التى رسمها كولن ولسن كصدى للإخفاق والإحساس بالتشاؤم فى المواضيع المتصلة بالعقائد الدينية، وهو يقصد المسيحية المحرفة بالذات، حيث فقد الإنسان فى الغرب الهدف من الحياة مع شعوره بعدم الأهمية، وأن تجاربه المعنوية صعبة وقصيرة ولا يستطيع الاحتفاظ بها.

وإذا قومنا هذه النتائج بميزان الدين الصحيح، نرى أن العقيدة فى الإسلام توضح الأهداف والغايات، ويجد الإنسان فيها الإجابات على كل ما يدور فى الذهن عن مكانته ومعنى الحياة والمصير، ودور شعائر العبادات من التفسير للمعضلات التى تعجز عن حلها المذاهب الفلسفية فضلاً عن الأديان المحرفة ومن ثم تجعل الإنسان يصمد ويثبت ويمضى قدمًا إلى الحياة المأمولة فى الآخرة وهى الغاية والهدف، فإن الإسلام قادر (على أن يجيب عن كل سؤال فى كل قصة إنسانية وأخلاقية واجتماعية وسياسية واقتصادية وفلسفية)[٢].

---

(١) المرجع نفسه ص١٥، ويصف حضارته فى موضع آخر بأنها حضارة متقدمة تنتج عوامل انحطاطية أكثر خلال الملل وفقدان الهدف ص١٧٤، واستعرض الوسائل الحائلة للسقوط، حيث اقترح (برنارد شو) الدين وكذلك (أرنولد توينبى)، ثم يذكر أن (الدوس هكسلى) أقرب إلى الحقيقة حين اقترح ضرورة (تعميم المخدر. ص٢٠٠- كذلك كان (وليم جيمس) يؤيد أن الخمر تنتج خبرة غامضة إلى حد ما ص٢٠٩، ثم يفاجئنا المؤلف فى الوقت نفسه عندما يخصص ملحقًا لكتابه ليستعرض فيه (تجربة المخدر).

والأمر المفجع بحق أن ذكر المخدرات لا تأتى فى شكل آفات اجتماعية مستهجنة ومرذولة، بل مدمرة للأفراد والمجتمعات، ولكن فى صياغة فلسفية مقننة يعتمدها فيلسوف كبير، ويسجلها كاتب ذائع الصيت، وتعلن على الملا كطريقة من طرق الإنقاذ. (الملحق الأول من ص٢١٩ : ٢٢٥).

(٢) ديانات أخرى، أنيس منصور ص١٠١ ط دار الشروق ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م.

ونكتفى بإيضاح بعض الاستفسارات التى تدور حول بعض أبرز **القضايا** التى تهتم بها الأديان(١):

أولاً: أهمية مكانة الإنسان:

عرف علماء الإسلام التصور الصحيح لحقيقة الإنسان ودوره فى الحياة المبتدئة بخلق آدم عليه السلام، ثم إهباطه إلى الأرض، ابتلاء واختباراً، وكيف تتحقق سعادته الدنيوية بتطبيق شريعة الله تعالى التزامًا بأوامرها وتنفيذاً لأحكامها وارتفاعًا بمستواه الإنسانى إلى العمل بمكارمها، حتى ينتقل من هذه الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة، ويعود أدراجه إلى موطنه الأصلى -إذا اجتاز الابتلاء الدنيوى بنجاح- أى إلى الجنة.

وإذا أخذنا برأى الراغب الأصفهانى (متوفى ٤٠٢ هـ) الذاهب إلى القول بخلافة الإنسان لله تعالى فى الأرض، فإننا نجده يضع شروطًا، حيث يميز بين مكارم الشريعة والعبادات لأن الإنسان لا يستحق مقام (الخلافة) إلا بتحرى مكارم الشريعة، وتبدأ مكارم الشريعة والعدالة لتصحيح الأفعال.

وبعد استكمال هذه الدرجات فإنه أصبح المعنى بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾،[الحجرات: ١٣] وصلح لخلافة الله عز وجل(٢).

فأين هذه المكانة التى سعى المسلمون لتحقيقها فى أوج حضارتهم، وما زالوا مطالبين من إحساس الإنسان (العصرى) الذى يشعر بعدم الأهمية وأنه (صدفى طارئ)(٣).

ثانيًا: ضرورة الأسوة فى اجتياز الحياة الدنيوية:

وقد مر بنا أن مما يعانى منه الإنسان الغربى، أن تجاربه المعنوية صعبة وقصيرة ولا

---

(١) الدارس للإسلام سيجد الإجابات عن تساؤلات كولن ولسن -لسان حال الأزمة الغربية- فى نظراتها الدينية حول الإنسان وتجاربه وجدوى الصلات التى يعقدها مع ربه -عز وجل- عن طريق العبادات.

(٢) الراغب الأصفهانى: الذريعة إلى مكارم الشريعة ص٢٩ -ط مكتبة الكليات الأزهرية- مراجعة وتقديم طه عبد الرؤوف سعد ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣م.

(٣) ما بعد اللامنتمى ص٢٠٧ وهذا التعريف ليس بآخر التعريفات التى تخبط فيها الفلاسفة من قبل، دعنا من آثار أفكار دارون وفرويد على نظرة الإنسان إلى نفسه وجنسه! ونلاحظ أن فلسفة ما، لم تصب فى تعريفها للإنسان ووضعه فى مكانته الصحيحة اللائقة به حقًا منذ أرسطو إلى الآن.

يستطيع الاحتفاظ بها، ومرد ذلك إلى افتقاد القدوة في السلوك والأعمال واجتياز العقبات في طريق الحياة.

ولتقريب معنى القدوة، وفهم دورها في ضوء علم النفس، نضع أمام القارئ رأيًا لأحد علماء النفس المعاصرين حيث يرى أن (المثل الأعلى الصائب) هو من الناحية السيكولوجية، ذلك الذي يستطيع جلب التوافق النفسي، باجتذاب الانفعالات الغريزية جميعًا، وهو الذي يستطيع باستثارة الإرادة إلى غرض مشترك أن يصب الفرد باعتباره وحدة سيكولوجية في قالب كائن حي، وهو الذي يضمن تحقق الذات والسعادة، وذلك بإشباع السعي إلى الاكتمال. إن حيازة مثل أعلى أو غرض في الحياة لهي إذن أهم الأمور الضرورية للإرادة القوية والخلق المتزن[1].

وكانت المسيحية المبدلة لا تحمل في طياتها الشخص الأسوة في الأعمال الواقعية للإنسان في هذه الحياة، وتقتصر على جانب الزهد فحسب، أو كما يعبر عنها شوبنهور بقوله: (أما المسيحية فرأت في الدين رادعًا عن الطلب غير المجد للسعادة الدنيوية. وقد استمسكت في وسط الترف والسلطان الدنيويين بالمثل الأعلى للقديس)[2].

ولعلنا ندرك عند المقارنة مدى كمال الإسلام حيث يستوفي القدوة في شخص الرسول ﷺ، حيث يغنينا بسنته عن محاولة التجارب التي تقصر حياتنا عن الخوض فيها.

وهنا يرى الأستاذ محمد أسد، المهتدي إلى الإسلام (ليوبولد فايس قبل إسلامه) أن من حكم اتباع السنة تمرين الإنسان المسلم بطريقة منظمة على أن يحيا دائمًا في حال من الوعي الداخلي واليقظة الشديدة وضبط النفس، فإن هذا الانضباط السلوكي وفقًا لسنته يؤدي إلى التخلص من الأعمال والعادات العفوية التي تعرقل النشاط الإنساني عن التقدم. يقول محمد أسد (إن الأعمال والعادات

---

(١) هادفيلد : علم النفس والأخلاق ص١١٥ : ١١٦ -ترجمة محمد عبد الحميد أبو العزم ومراجعة د. عبد العزيز القوصي. مكتبة مصر سنة ١٩٥٣م.

(٢) ويل ديورانت : قصة الفلسفة -ترجمة أحمد الشيباني ص٥٧٧ -منشورات المكتبة الأهلية- بيروت.

التى تقوم عفو الساعة، تقوم فى طريق التقدم الروحى للإنسان كأنها حجارة عثرة فى طريق الجياد المتسابقة)[1].

فهل لنا أن نقف على سبب آخر من أسباب كمال الإسلام، حيث تفتقد العقيدة المسيحية المبدَّلة شخصية الرسول القدوة، بل تخلط بين النبوة والألوهية؟

هذا، بينما تنفرد سيرة الرسول ﷺ بسمات رئيسية بارزة تميزه عن سائر الرسل لأنه آخر رسول للبشرية إلى قيام الساعة، وهو وحده الذى يظل أسوة فى كل مسالك الحياة الإنسانية ودروبها المتشعبة. صلى الله عليه وسلم.

والسمات التى نعنيها هى:

(أ) أن التاريخ الصحيح يؤيدها ويدل على صحتها.

(ب) أنها جامعة ومحيطة بمناحى الحياة كلها وجميع شئونها وأطوارها. وبهذه المناسبة يفصح لنا جارودى عن أحد أسباب إسلامه بقوله:

(لأننى وجدت أن النبى ﷺ الذى أتى بهذه الرسالة، ليس نبيًا فقط بالمعنى التقليدى، الذى وجد فى الأديان الآخرى، ولكنه كان أيضًا رئيس دولة وقائد جيش وزوجًا ومشرعًا وقاضيًا.. كل هذه الجوانب التى تعددت وشملت كل نواحى الحياة الاجتماعية)[2].

(جـ) أنها كاملة متسلسلة لا ينقصها أى حلقة من حلقات الحياة.

(د) وهى عملية بحيث يُعبر بها عن الفضائل والواجبات[3].

ثالثًا: العبادة: معناها ودورها:

ويعطينا الإسلام أيضًا صورة متناسقة تبين العلاقة بين مكونات الإنسان فى خلقه من طين، ثم نفخ الروح فيه ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ⑦ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ⑧ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ

---

(١) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق -ص١٠٤- ط دار العلم للملايين- بيروت- ترجمة د. عمر فروخ.

(٢) الفيلسوف المسلم، أبو المجد حرك ص٢٢٧- دار الفتح، مدينة نصر سنة ١٩٨٥م (رحلة الفكر والحياة).

(٣) الرسالة المحمدية، سليمان الندوى ص٤٢ ط السلفية.

لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٧-٩]. لذلك أصبح فى حاجة إلى نوعين من الحياة : أحدهما إشباع الاحتياجات والغرائز البدنية والأخرى إشباع الروح المتطلعة شوقًا إلى أصلها بالعبادة. ويصفها الراغب الأصفهانى (٤٠٢ هـ) بقوله : (**هى فعل اختيارى مناف للشهوات البدنية تصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى طاعة للشريعة**)(١).

أما دورها فهو المحافظة على الفطرة التى خلق بها الإنسان المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** ﴾ [الروم : ٣٠] وقوله عز وجل : ﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ** ﴾ [البقرة : ١٣٨]، والاستفهام فى الآية للإنكار والنفى، فلا صبغة أحسن من صبغته تعالى، ويتساءل الراغب الأصفهانى (فكيف تذهب عنا صبغته ونحن نؤكدها بالعبادة وهى تزيل رين القلب فتنطبع فيه صورة الهداية)(٢).

وترتفع العبادة إلى أرقى مراتبها عندما يحب الإنسان أن يتحرى بها ابتغاء مرضاة الله تعالى، ويؤديها بانشراح صدر بدلاً من مجاهدة النفس، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : « **إن استطعت أن تعمل لله فى الرضا باليقين فاعمل وإلا ففى الصبر على ما تكره خير كثير** »(٣).

وهناك ميزة تتفرد بها العبادات فى الإسلام، إذ أطلقها من عقالها التى قيدها بها رجال الكنيسة فى الكنائس والأديرة والكهنة فى المعابد، وخرج بها إلى ميدان الحياة الإنسانية بكل شعبها، وليس أدل على ذلك من اتفاق العلماء قديمًا وحديثًا على اتساع دائرتها، فهى لا تقتصر على العبادات الشرعية من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد، بل تشمل كافة أعمال الإنسان بشرط توافر النية للاتجاه بها إلى الله تعالى مع تحرى الحلال وتجنب الحرام.

فمثلاً نجد الراغب الأصفهانى قد جعل من كل فعل يتحراه الإنسان عبادة، سواء كان الفعل واجبًا أو ندبًا أو مباحًا، ونجده متوسعًا فى الأفعال المباحة لأنه ما من

---

(١) بين النشأتين وتحصيل السعادتين -٤٨- من سلسة الثقافة الإسلامية العدد ٢٨، ذو القعدة ١٣٨٠هـ/ أبريل ١٩٦١م.

(٢) تفسير القاسمى ج٢ ص٧٤.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص٣٤.

مباح فى رأيه إلا إذا تعاطاه الإنسان على ما يقتضيه حكم الله تعالى كان (كالإنسان فى تعاطيه عابداً لله مستحقًا لثوابه)، مستنداً لخطاب النبى ﷺ لسعد رضى الله عنه «**إنك لتؤجر فى كل شىء حتى اللقمة تضعها فى فم امرأتك**»، وعلى هذا الوجه قال ﷺ أيضًا: «**ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة**» رواه مسلم. وفى رواية له «**فلا يغرس المسلم غرسًا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير، إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة**»، وفى رواية «**لا يغرس مسلم غرسًا، ولا يزرع زرعًا، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شىء إلا كانت له صدقة**»، (يرزؤه أى ينقصه، ويُنظر رياض الصالحين للنووى باب: (فى بيان كثرة طرق الخير)، ولكنه يشترط فى هذه الأعمال بطبيعة الحال لكى تكون عبادة مراعاة أمر الله تعالى فى جميع الأمور، دقيقها وجليلها، وأن يتحرى بها حكم الشريعة(١).

ويعرف ابن تيمية العبادة بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة: كالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين من الآدميين والحيوانات، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله ﷺ وخشية الله، والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضاء بقضائه والتوكل عليه، والرجاء لرحمته والخوف من عذابه. كذلك أدخل ضمنها الإمارة أو الرئاسة (فالواجب اتخاذ الإمارة دينًا وقربة يتقرب بها إلى الله، فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات وإنما يفسد حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها)(٢).

ويرى الأستاذ محمد قطب أن الخطأ الأول -والأخطر- الذى ارتكبه المسلمون بعد العصور الأولى المفضلة هو حصر العبادة كلها فى الشعائر التعبدية، بينما كان يفهم الجيل الأول الحياة كلها على أنها عبادة فيقول: (فلا شىء فى حياة الإنسان

---

(١) تفصيل النشأتين ص٤٨.

(٢) السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية ص١٨٤.

كلها خارج من دائرة العبادة التى تنحصر فيها غاية الوجود الإنسانى على هذه الأرض. وإنما هى ساعة بعد ساعة فى أنواع مختلفة من العبادة، كلها عبادة وإن اختلفت أنواعها ومجالاتها وطاقاتها. الصلاة والنسك عبادة. والكدح عبادة، سواء كان كدحا سياسيا أو اجتماعيًا أو اقتصاديا أو فكريا أو علميا... إلخ، والترويح عن القلوب حتى لا تكل ولا تمل عبادة)[1]

هذا هو مفهوم العبادة التى تجعل للحياة الإنسانية معنى، ويحدد لها أهدافًا تستحق من أجلها بذل الجهد وتحمل المشاق والصبر عليها.

أما العبادات التى يخترعها بعض رجال الدين وتصبح من أسرارهم الخاصة، ويؤديها الأتباع بمشقة وعسر أو بغير فهم أو اقتناع، هذه العبادات تصبح موضع دهشة واستنكار. فمما أثار دهشة واستنكار الشهيد أحمد سامى عبد الله (المهتدى للإسلام)، أنه رأى العبادات من وضع القديسين بعد رفع عيسى عليه السلام، وأنها لا تتعدى ترتيلات وأناشيد فى أوقات غير محددة، ولا يقابلها ثواب أو عقاب، فضلاً عن صعوبة أدائها، إذ لا يستطيع تلاوة الصلوات إلا من يجيد القراءة والكتابة لأن حفظها عسير[2].

******

---

(١) ينظر كتاب (مفاهيم ينبغى أن تصحح) ص١٩٤، ٢٠٣، ٢٠٤ ولمزيد من التفاصيل يراجع فصل (مفهوم العبادة) ص١٧٣ وما بعدها - ط دار الشروق ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.

(٢) لماذا وكيف أسلمت؟، ص١١٨، وفى موضع آخر يصف هؤلاء القديسين بقوله: (كانوا قديسين ضالعين فى المسيحية أكثر من المسيح نفسه إذ إنهم أتموا له الدين من بعده فتطوعوا مشكورين بوضع الصلاة الجماعية التى يصليها هو ولم يضع أقوالها قبل رفعه إلى السماء، فاجتهدوا هم فى وضعها وتنظيم ألحانها، ووضع عباراتها بعد ترك المسيح الأرض بسنين عديدة) ص٨٩ العدد ٦٥ من (دعوة الحق) الصادرة عن رابطة العالم الإسلامى شعبان ١٤٠٧ هـ/ أبريل ١٩٨٧م.

الفصل الثانى

البرهمية أو الهندوكية[1]

تمهيد:

تفجِّر العقائد الهندوكية -أو البرهمية- أسئلة كثيرة فتسنح الفرصة للتطرق إلى قضايا دينية لم تخل من تناولها عقيدة من العقائد، سواء كان أصلها سماويًا أو وضعيًا منها: صلة الله تعالى بالمخلوقات، والتساؤل عن وجود حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا أم لا.

ومنها: هل يهتدى بنو آدم إلى معرفة الحقائق من غير طريق الأنبياء؟ إذ لو صح الخبر عن إنكار بعض البراهمة للنبوة والأنبياء فيؤدى بنا إلى العودة فى بحث قدرات العقل ومدى إمكان تحمله أعباء أكثر من طاقته وفوق قدراته.

وتتداعى الأفكار للنظر فى آراء ظهرت حديثًا لا تقدر النبوة حق قدرها، فتصف الأنبياء والرسل بالمصلحين والعباقرة أو القادة، أو تعطى صفات النبوة لمن تهوى من البشر[2].

ومنها: هل تحقق وعيد إبليس ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠]، فها هى مظاهر الغواية متحققة، حيث تحولت شعوب وقبائل عن جادة التوحيد، فألجأتهم إلى عبادة البشر والحيوانات والشمس والقمر والكواكب وغيرها من الكائنات: وإن لم يكن ذلك استجابة لغواية إبليس، فما السبب الآخر المحتمل؟

---

(١) باعتبار الهندوسية (أو الهندوكية) دين متطور ومجموعة من تقاليد الهند وعاداتهم وصور حياتهم. وأطلق عليها البرهمية ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى براهما (الإله الخالق) أو القوة العظيمة السحرية الكامنة التى تطلب كثيرًا من العبادات كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين: ومن براهما اشتقت الكلمة (البراهمة) لتكون علمًا على رجال الدين الذين كان يعتقد أنهم يتصلون فى طبائعهم بالعنصر الإلهى، وهم لهذا كانوا كهنة الأمة، لا تجوز الذبائح إلا فى حضرتهم وعلى أيديهم (محمد عبد السلام- فلسفة الهند القديمة- ثقافة الهند مارس ١٩٥٣- ص١٩)، نقلاً عن د. أحمد شلبى: أديان الهند الكبرى ص٣٩- مكتبة النهضة ١٩٧٦.

(٢) كما وُصف أحدهم فى العصر الحاضر بنبى القومية العربية!

هل هو تقليد الآباء والأجداد، أم تعطيل العقل عن التفكير المنطقى بعيداً عن الهوى؟

ربما كان التحليل النفسى الاجتماعى الذى أداه ابن الجوزى يدلنا على تفسير جزئى لهذه الظاهرة العجيبة فقال: (غير أن هوى القوم فى متابعة الأسلاف واستحلاء ما اخترعوه بآرائهم، غطى على العقول، فلم تتأمل حقائق الأمور)(١).

وكانت هناك محاولات للإصلاح، مثل ما فعله المصلح الهندى راما كرشنا، إذ رفض الهندوكية ولم يعد يقدس الجبال والأنهار والحيوانات والأجداد (ولكنه يؤمن بأن العقول والقلوب كلها تتجه إلى قوة واحدة هذه القوة وراء كل شيء وكل إنسان، وكل دين»(٢).

ولكن تعديلاته كانت جزئية لأنه ظل معتقداً بوحدة الوجود، فبعد أن درس الإسلام وأقر بأن الإسلام دين حق درس النصرانية أيضاً ثم أعلن وحدة الأديان فهى عنده كلها منسجماً(٣).

ومما يلفت النظر أيضًا فى الديانة الهندوكية الاعتقاد بالتناسخ، فتساوى بين مراتب الوجود الإنسانى والحيوانى وكأنهما نسيج واحد، وسبيكة مختلطة العناصر، فافتقدوا معرفة الروح المميزة للإنسان دون غيره من سائر المخلوقات، وأنكروا البعث والحساب والعقاب فى اليوم الآخر.

وتأتى أعجوبة الأعاجيب المتمثلة فى عبادة الحيوانات ومنها البقرة، وسنجد الدفاع الحار عن هذا الفعل المنافى لكرامة الإنسان ومكانته! وما أصدق وصف ابن الجوزى لأمثال هؤلاء إذ وضعهم فى مكانهم المناسب فقال: (وقد كان قوم يعبدون الخيل والبقر وإن هؤلاء لأخس من إبليس، فإن إبليس أنف لادعائه الكمال أن يسجد لناقص فقال: ﴿أنا خير منه﴾ وفرعون أنف أن يعبد شيئًا أصلاً)(٤).

---

(١) صيد الخاطر ص٣٧٨ تحقيق عبد القادر عطا، مكتبة الكليات الأزهرية بمصر سنة ١٩٧٩م.

(٢) ديانات أخرى، أنيس منصور ص١٢٩، ١٣٠ ط دار الشروق ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م ثم انتشرت حركته فى أوروبا وأمريكا.

(٣) نفسه ص١٣١ ومن التعديلات التى أدخلت على الهندوكية ما قام به (ناناك) المؤسس لديانة السيخ، فقد تأثر بالإسلام وأعجب ببساطته وسماحته وأن الله تعالى واحد. ولكنه فى الوقت نفسه أنكر القيامة ص٨٤

(٤) السيد محمود أبو الفيض المنوفى: الدين والفلسفة والعلم ص٤٦، ٤٩.

البراهمة:

لعل من أهم النماذج فى هذا الصدد هو نموذج ديانة البراهمة، حيث اجتازت ثلاثة أدوار:

الأول: دور التوحيد عند الهنود القدماء، وربما انحدروا من الأصل السامى (نسبة إلى سام بن نوح معلمهم ومرشدهم وراثة عن أبيه).

الثانى: دور الكهنة البرهميين ونشأة الثالوث الهندى (برهما، فشنو، سيفا).

الثالث: دور الشرك والوثنية، حيث اتسع نفوذ الكهنة فأنشأوا الامتيازات والاختصاصات ووضعوا نظام الطبقات، وزعموا أنهم يتفردون بمعرفة الحقائق العلوية، وستروا الحقائق عن الشعب فجنح إلى الشرك وتعدد الآلهة، وانحدر إلى عبادة الأشخاص والتماثيل والحيوانات[1].

ولعل الأدوار الثلاثة ارتبطت بعقيدة التثليث فى الديانة الهندية البرهمية حيث كانت الديانة فى دورها الأول قاصرة على عبادة إله واحد (تحت إرشاد بعض العباد والحكماء المخلصين، يعبدون القيوم، ويسبحونه دون البحث عن كيفية وجوده أو ماهية جوهره)[2].

أما الدور الثانى فقد ظهر فيه الكهنة وأنشأوا الطقوس، وأحدثوا عقيدة الثالوث الهندى البرهمى: برهما الإله الخالق، وفشنو الإله الحامى للخليقة وسائسها المعمر، وسيفا القوة التى تلاشى أو المفنى المعيد[3].

وكان الدور الثالث معبراً عن سيطرة الكهنة وتعميق نفوذهم على الشعب لإبقائه على حال من الجهل والغفلة ليتوصلوا إلى تسلم زمامه والاستعلاء عليه حيث وضعوا أنفسهم فى المرتبة الأعلى من السلم الاجتماعى الطبقى، وجعلوا باقى الطبقات دونهم كما يلى:

---

(١) صيد الخاطر ص٣٧٧. (٢) المرجع نفسه ص٤٦.

(٣) المرجع نفسه ص٤٧ –وهناك رأى لباحثين آخرين يتلخص فى القول بان هذه الديانة تعبر عن عقائد الآريين، ثم تاثرت بعد احتلالهم للهند بفلسفات وافكار نشات فى الهند، ثم اصبحت الهندوسية بعيدة عن العقائد الآرية الاصلية (ص٤٠ اديان الهند الكبرى، للدكتور احمد شلبى).

١ - طبقة الكهنة والعلماء

٢ - رجال الحرب وحماة الأوطان

٣- الزراع والتجار .

٤- أرباب الحرف والمهن الدنيئة وهم المنبودون[١] .

ونعود فنرى فى دور الكهنة كما بينا من قبل، أحد الأسباب الرئيسية فى مسخ العقائد وتغييرها والانحراف بالبشرية من عبادة الواحد الأحد إلى تأليه الكهنة والوسطاء، ويعبر عن ذلك الاعتقاد بأن برهما حل فى (البرهمانات) وهو رئيس الكهنة[٢]، ونلاحظ أنه لا مكان للنبوة فى عقائدهم. فما سببه؟

نفى النبوات:

ومما يلفت نظر الباحث أن المصادر الحديثة لم تشر إلى أحد المعالم البارزة فى عقيدة البراهمة، وهى إنكارهم للنبوات، حيث عرف مؤرخونا -ومنهم الشهرستانى -أبرز عقائدهم وشرحها بشىء من التفصيل مع اهتمامه بصفة خاصة بإنكارهم للنبوات والرد عليهم[٣] .

يقول الشهرستانى (من الناس من يظن أنهم سموا براهمة لانتسابهم إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وذلك خطأ، فإن هؤلاء هم المخصوصون بنفى النبوات أصلاً، فكيف يقولون بإبراهيم عليه الصلاة والسلام؟) ثم يذكر أنهم انتسبوا إلى رجل منهم يقال له (براهم) الذى مهد لهم نفى النبوات مقررا استحالة ذلك بوجوه، ويمضى فيبين لنا أهم هذه الوجوه، وتتلخص فى الآتى :

أولاً: أن الذى يأتى به الرسول لم يخل من أحد أمرين : إما أن يكون معقولاً،

---

(١) المرجع نفسه ص٤٩ .

(٢) المرجع نفسه ص١٠١

(٣) يرى الدكتور محمود حماية أن الشهرستانى قد أخطأ فى نسبة إنكار النبوة إلى البراهمة كغيره من المؤرخين كالباقلانى والبغدادى . ص٢٢٧ .

وربما قصد الشهرستانى إحدى طوائف البراهمة، وهى ليست وحدها، بل يشاركها فى نكران النبوة طوائف أخرى كالصابئة والدهرية والسمنية ص٢٢٩ ، ٢٣٠ من كتابه (ابن حزم ومنهجه فى دراسة الأديان) ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٣م

وعلى آية حال، فقد اهتم علماء أهل السنة بقضية النبوة واحتلت مكانتها بكتب العقائد .

وإما أن لا يكون معقولاً . فإن كان معقولاً فقد كفانا العقل التام بإدراكه والوصول إليه، فلا حاجة إلى رسول . وإن لم يكن معقولاً فلا يكون مقبولاً .

ثانيًا: دل العقل على أن الله تعالى حكيم، والحكيم لا يتعبده الخلق إلا بما تدل عليه عقولهم . فننظر فى آيات خلقه بعقولنا، ونشكره بآلائه علينا، وإذا عرفناه وشكرنا له استوجبنا ثوابه، وإذا أنكرناه وكفرنا به استوجبنا عقابه، فما لنا نتبع بشرًا مثلنا يأكل مما نأكل ويشرب مما نشرب؟(1) .

وكان الشهرستانى بارعًا فى الرد عليهم إذ اتخذ من إقرارهم بحكمة الله تعالى مدخلاً لإثبات ضرورة النبوة، وحاجة البشرية إلى الرسل والأنبياء، لأنه تعالى كما أنه حكيم، فإنه آمر، ناه، حكمٌ على خلقه، ولا يحيط العقل بمفرده بالحكم والأسباب والعلل، ويستطرد فيقول (وليس كل عقل إنسانى على استعداد ما يعقل عنه أمره، ولا كل نفس بشرية بمثابة من قبل عنه الحكمة، بل أوجبت منته ترتيبًا فى العقول والنفوس، واقتضت قسمته أن يرفع ﴿ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٢]، فرحمة الله الكبرى هى النبوة والرسالة، وذلك خير مما يجمعون بعقولهم المختالة)(2) .

وقد احتلت قضية النبوة مكانتها فى كتب العقائد، واهتم أهل السنة والجماعة بشرحها وبيان تفاصيلها للرد على المخالفين حتى من المسلمين أنفسهم كالمعتزلة القائلين بوجوب إرسال الأنبياء والرسل على الله تعالى بالنظر إلى ذاته حيث يقول السفارينى : (والحق أنه جائز عقلاً فى حقه تعالى واجب سمعًا وشرعًا)(3)، ثم يبين أن إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وشرع الشرائع منة من الله تعالى وفضل لا واجب عليه ذلك، وإنما هو على سبيل اللطف بالخلق، والفضل عليهم فبعثه تعالى جميع الرسل من آدم إلى محمد ﷺ أجمعين إلى المكلفين لطف من الله بهم ليبلغوهم عنه سبحانه أمره ونهيه ووعده ووعيده، ويبينوا لهم عنه سبحانه ما يحتاجون إليه من أمور المعاش والمعاد(4) .

---

(١) الملل والنحل ج٢ ص٢٥١ : ٢٥٢- تحقيق سيد الكيلانى - ط الحلبى ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١م.

(٢) الملل والنحل ج٢ ص٢٥٢ .

(٣) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية (شرح الدرة المضية فى عقيدة الفرقة المرضية للسفارينى ج٢ ص٢٥٦ .

(٤) المرجع نفسه ص٢٥٩ . ويقول ابن تيمية : (وكمن يقول العلم بالنبوة لا يحصل إلا بعد النظر، وأنا لا أنظر، أو لا أعلم وجود النظر حتى أنظر) ومن جواب هؤلاء أن حجة الله برسله قامت بالتمكن من العلم =

ويمضى السفارينى فيشرح دور الرسل كوسائط بين الله تعالى، وبين عباده فى تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم وتكميل ما يصلحهم فى معاشهم ومعادهم، إذ أرشدوهم إلى توحيده تعالى وإثبات صفاته وإثبات القدر، وذكر أيام الله تعالى فى أوليائه وأعدائه وهى القصص التى قصها على العباد، والأمثال التى ضربها لهم، وأرشدوهم إلى العلم بتفصيل الشرائع والأمر والنهى والإباحة، وبيان ما يحبه الله ويكرهه، وكذلك بينوا لهم وجوب الإيمان باليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب، وكل ذلك لا يهتدى العقل إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها.

كذلك استند إلى رأى ابن تيمية فى حديثه عن المفاضلة بين العقل والشرع، إذ ليس المراد بالشرع التمييز بين النافع والضار، فإن الحيوانات تفعل ذلك، بل التمييز بين الأفعال التى تنفع الإنسان فى معاشه ومعاده، كنفع التوحيد والعدل والبر والصدق والإحسان والأمانة والعفة والشجاعة والعلم والصبر وأداء الحقوق وإخلاص العلم والتوكل على الله، والاستعانة به والرضا بمواقع أقداره والتسليم لحكمه، وتصديق رسله فى كل ما أخبروا به، ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل المنافع والمضار، بل أن لا بقاء لأهل الأرض إلا بدوام آثار الرسالة موجودة فيهم، فإذا درست آثار الرسل من الأرض وانمحت معالم هداهم، خرب الله العالم العلوى والسفلى وأقام القيامة(١).

وعلى أية حال، فإن علماء الإسلام كانوا محقين تمامًا فى الإفاضة بشرح دور الرسل والأنبياء لأن من العلامات البارزة فى الإسلام الإيمان بالرسل جميعًا وخاتمهم محمد ﷺ. ويزداد تقديرنا لاهتمامهم بقضية النبوة إذا علمنا أنه إزاء إنكار النبوات، ظهرت دعوى أخرى لا تقل خطورة فى آثارها وهى إنكار ختم النبوة وظهور أنبياء كذبة.

= فليس من شرط حجة الله تعالى علم المدعوين بها. ولهذا لم يكن إعراض الكفار عن استماع القرآن وتدبره مانعًا من قيام حجة الله تعالى عليهم. وكذلك إعراضهم عن استماع المنقول عن الأنبياء وقراءة الآثار المأثورة لا يمنع الحجة. إذ المكنة حاصلة. فلذلك قال الله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم﴾ [لقمان: ٧]. الرد على المنطقيين ص٩٩- المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م.

(١) نفسه (باختصار) ص٢٦٠: ٢٦٢.

أما باقى عناصر الديانة البرهمية (أو الهندوسية)، فإنها تحتوى على خرافات وأساطير وعبادة الحيوانات -وعلى رأسها البقرة التى تحتل عبادتها المكانة المرموقة فى عقيدة الهنادك حتى الآن- كما سنرى ذلك على لسان غاندى زعيمهم المعروف، بالإضافة إلى الاعتقاد بتناسخ الأرواح والقول بوحدة الوجود، وقبل الخوض فى هذه الموضوعات نعرِّف أولاً بأقدم كتبهم وهى (الفيدا) .

الفيدا: Veda أو الويدا:

يوصف بأنه أهم كتبهم، ولا يعرف تاريخ كتابتها على وجه الدقة، إذ كانت موجودة قبل خمسة عشر قرنًا . وهى مجموعة أشعار يزعمون أن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها[١] .

والفيدا أربعة كتب :

١- الرجفيدا **Rig Veda** وهو أشهرها وأشدها سحرًا للهنود وتأثيرًا فيهم وتحتوى على أناشيد مختلفة، منها ما يتصل بأناشيد تناول شراب (سوما) المقدس عند الهنود خاصة بأساطير وحكايات خرافية .

وتذكر الرجفيدا آلهة كثيرات، منها الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض والشجر والمطر والريح والنور والحيوان . . . إلخ . (وكل هذه الآلهة التى لا تحصى لكثرتها إنما هى فى حقيقتها إله واحد، تعددت مظاهره فسمى كل مظهر إلهًا)[٢] . وتكمن فى هذه الفكرة عقيدة وحدة الوجود .

٢- ياجورودا **Yaiur Veda** وتشمل العبارات النثرية التى يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين .

٣- ساما ويدا **Sama Veda** وتشمل الأغانى التى ينشدها المنشدون أثناء إقامة الصلوات وتلاوة الأدعية .

٤- آثار ويدا **Athar Veda** وتشمل مقالات فى السحر والرقى[٣] .

---

(١) الإمام أبو زهرة : الديانات ص٥١ .

(٢) أحمد عبد الغفور : الديانات والعقائد ص٨٨ : ٨٩ .

(٣) د . أحمد شلبى- أديان الهند الكبرى ص٤٢ :٤٣ .

وقد طفحت كتب الفيدا بالأساطير والخرافات. ويصف لنا أحد الهنود المسلمين الذى خاض تجربة البحث عن الحق واهتدى إلى الإسلام فيقول: (لم أجد فيه إلا أساطير الأولين عن عبادة النار والبحر والأحجار وغيرها من الجمادات والبهائم التى لا تملك لأنفسها نفعًا ولا ضرًا. فكيف بغيرها؟ كما يعلل خلق الكون فيها أحيانًا بصورة شنيعة قبيحة تنبعث منها رائحة منتنة يفر منها الإنسان اللبيب)(١).

ومن النماذج المنفرة والمنافية للعقول السليمة ما أورده كجزء من الباب الأول لكتاب يعتبر المصدر الأساسى لقانون الهندوكيين الذى يبحث فى الخلق ونصه: (إن هذه الدنيا كانت غامضة لا توجد لها علاقة ولا وسيلة وليس فى مقدرة أحد أن يتوسل إليها بالحجج والبراهين، ثم ظهر (بيرميشور) إله الآلهة بمادة التكوين وأراد أن يخلق خلقًا من ذاته، فخلق الماء وألقى فيه نطفة، فصارت هذه النطفة بيضة فخرج منها (برهما) الخالق وكسر البيضة نصفين، فخلق من أحدهما الجنة ومن الثانى الأرض والسموات وما بينهما والجهات الثمان والبحور الهادئة. ثم أخرج من فمه (براهمن) ومن عضده كهترى ومن فخذه (ويش) ومن رجله (شودرا). فما دام براهما مستيقظًا فالدنيا باقية. وإذا أخذه النوم تقوم القيامة)(٢).

- عبادة الحيوانات وبخاصة البقرة:

يصف غوستاف لوبون عبادة الهنود للحيوانات والجمادات والإنسان بقوله: (وهيهات أن تجد هندوسيًا لا يعبد عددًا من الآلهة، فالعالم عنده زاخر بها حتى أنه يصلى للنمر الذى يفترس أنعامه، ولجسر الخط الحديدى الذى يصنعه الأوربى، وللأوربى نفسه عند الاقتضاء)(٣).

ويرى الأستاذ عباس العقاد أن عبادة الهنود للحيوانات نشأت عن الفكر الطوطمى، أو عن اعتقادهم بأن الله يتجلى فى بعض الأحياء فيحل فيهم فيحتمل

---

(١) عرفات كامل العشى: رجال ونساء أسلموا ج٢ ص١١٥- دار القلم- الكويت ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣م.
(٢) المرجع نفسه ص١١٧.
(٣) غوستاف لوبون: حضارة الهند ص٣٦٨ نقلاً عن د. أحمد شلبى: أديان الهند الكبرى ص٢٨.

حلوله فى هذا الحيوان أو ذاك، أو لأنهم آمنوا بالتناسخ فجاز عندهم أن يكون الحيوان جداً قديماً أو صديقاً عائداً إلى الحياة[1].

وتحتل عبادة البقرة بصفة خاصة مكانة بارزة بين المعبودات، كما يأتى الحديث عنها وعن قدسيتها، والصلاة لها فى كتاب (الفيدا).

وقد أورد الدكتور أحمد شلبى نصوصاً مهمة تعبر عن مدى التقديس الذى يكنه الهنود للبقرة فى أنفسهم. منها نص الصلاة إلى البقرة كالآتى:

(أيتها البقرة المقدسة، لك التمجيد والدعاء، فى كل مظهر تظهرين به، أنت تدرين اللبن فى الفجر وعند الغسق، أو عجلاً صغيراً، أو ثوراً كبيراً، فلنعد لك مكاناً واسعاً نظيفاً يليق بك، وماء نقياً تشربينه، لعلك تنعمين بيننا بالسعادة)[2].

ويقول الأستاذ أنيس منصور:

أما الثور فعلى الرغم من أن أمه بقرة وجدته بقرة، وابنته بقرة أيضاً، إلا أنه ليس محترماً، وتطبق عليه أقسى أنواع القوانين والعقوبات، فهو منبوذ - وفى الهند فئة من المنبوذين عددها حوالى ٦٠ مليون نسمة - ولا أعرف بالضبط عدد الثيران ولكن هذا الحيوان المنبوذ يجر العربات ويحرث الأرض ويضربه الفلاحون، واليد التى تضربه هى نفس اليد التى ترتفع بالتحية لأمه أو لجدته أو حفيدته[3].

ثم يأتى المهاتما غاندى[4] فيخاطب البقرة ويناديها باسم (أمى البقرة) فيقول:

---

(١) الأستاذ عباس العقاد: الله ص٧٧ نقلاً عن د. أحمد شلبى: أديان الهند الكبرى ص٢٩.
نشرت جريدة الأهرام القاهرية بعددها الصادر فى ١٠ / ١ / ٢٠٠١م الخبر التالى: مع بداية العام الجديد، أصبحت القرود مشكلة مستعصية فى الهند حيث تتجول الآلاف منها بحرية تامة فى أروقة المقار الحكومية، وتقتحم المكاتب، وتسرق الطعام وتدمر وثائق مهمة.
ويشكو المسئولون الحكوميون فى الهند من أن القرود ازدادت ضراوة، وأصبحت تنتقل بلا ضابط أو رابط فى أروقة وزارات: الدفاع والمالية والشئون الخارجية، ووصلت أيضاً إلى مكتب رئيس الوزراء، ويقدر المسئولون عدد القرود المنتشرة فى قصر الرئاسة بنحو ١٠ آلاف قرد. ولأن قتل القرود محظور فى الهند طبقاً للديانة الهندوسية، التى تحظر قتل أو ذبح أى كائنٍ حى، فقد لجأت سلطات نيودلهى إلى اصطيادها ونقلها إلى ولايات أخرى، إلا أن هذا الحل لم يفلح أيضاً لأن هذه الولايات رفضت استقبال المزيد منه. وقالت إن لديها ما يكفيها.

(٢) د. أحمد شلبى: أديان الهند الكبرى ص٣٠.

(٣) أنيس منصور، حول العالم فى ٢٠٠ يوم -ص د٤- المكتب المصرى الحديث- ١٩٨٨م- والطبعة الأولى ١٩٦٣م.

(٤) المهاتما = الروح الكبير ويعنى بذلك المفكر العظيم أو الشيخ المبجل.

إن حماية البقرة التى فرضتها الهندوسية هى هدية الهند للعالم، هى إحساس رباط الأخوة بين الحيوان، والفكر الهندى يعتقد أن البقرة أم للإنسان وهى كذلك فى الحقيقة، إن البقرة خير رفيق للمواطن الهندى، وهى خير حماية للهند.

عندما أرى البقرة لا أعدّنى أرى حيوانًا، لأنى أعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع.

وأمى البقرة تفضل أمى الحقيقية من عدة وجوه، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين وتطلب منا خدمات طول العمر نظير هذا، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائمًا، ولا تطلب منا شيئًا مقابل ذلك سوى الطعام العادى.

وعندما تمرض الأم الحقيقية تكلفنا نفقات باهظة، ولكن عندما تمرض أمنا البقرة فلا نخسر لها شيئًا ذا بال، وعندما تموت الأم الحقيقية تتكلف جنازتها مبالغ طائلة وعندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت تفعل وهى حية، لأننا ننتفع بكل جزء من جسمها حتى العظم والجلد والقرون.

أنا لا أقول هذا لأقلل من قيمة الأم، ولكن لأبين السبب الذى دعانى لعبادة البقرة. إن ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال، وأنا أعد نفسى واحداً من هؤلاء الملايين(١).

ولكن تلميذه (نهرو) اعترض على سجن الناس لأنفسهم طويلاً فى طقوس وتعاليم أكلت صحتها ووقتها وطاقتها على العمل، وانشغالهم كثيراً فيما يجب أن يأكلوه وأن يشربوه، وعن هذا الذى يسمحون له بأن يكون قريبًا يلمسونه أو لا يلمسونه وانشغلوا بالطبقات والطوائف أيها أشرف وأيها أقبح، وتوجه نهرو إلى مواطنيه بالخطاب: (اتجهوا إلى العلم بنفس حماسكم للدين، إنه وحده يخلصكم من ظلام عشرات القرون)(٢).

أما الشاعر الحكيم محمد إقبال، فله موقف آخر يعد دليلاً على تهافت الاحتجاج بتقليد الآباء والخضوع لسنن المجتمع الباطلة ما دامت لا تقوى على الصمود أمام النظر العقلى الباحث عن الحق. فمن المعروف أن إقبال نشأ وسط الأوثان وعبادة البقر، ولكنه رفض اعتناق عقائد هذا المجتمع واختار لنفسه الطريق السوى، ولهذا فهو حجة أيضًا أمام المتعللين بظروف البيئة والعصر الذين جعلوا لهما قوة أكثر فاعلية من إرادة الإنسان!

---

(١) المرجع نفسه ص٣٢: ٣٣.

(٢) ديانات أخرى، أنيس منصور ص١٩ ط دار الشروق ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.

قال محمد إقبال: «إننا وإن ولدنا في بلاد عريقة في الوثنية إلا أننا رفضنا أن نعبد الثور والبقر، وأبينا أن نطأطئ رؤوسنا أمام الكهان، فلم نحر بين يدى الآلهة القديمة، ولم نطف حول بلاط الملوك وقصور الأمراء»(1).

نستنتج من هذا أن الاختيار ما زال قائماً أمام الإنسان الذى يستطيع بمحض إرادته وبموجب اختياره، إما أن يحترم كيانه ويعرف دوره وهدفه، ويؤكد عزته وكرامته كإنسان ينبغى ألا يخضع إلا لربه عز وجل، ولا يعبد سواه، أو يغفل عن ذلك كله: ﴿**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ [الفرقان: ٤٤].

وقوله عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٩].

تقوم عقيدة التناسخ -أو تكرار الولادة والوفاة، أو تجوال الروح- على أساس فكرة العقاب للذين لم يستطيعوا أن يندمجوا فى (الكل) الذى هو الإله فى العقيدة البرهمية لارتباطها بتصور أن الوجود واحد، فإذا ما مات الإنسان الشرير لا تنتقل روحه إلى إنسان آخر (بل يجوز أن تحل فى كلب أو شجرة، وما يزال تكرار الوفاة فالولادة إلى أبد الآبدين، إذا لم تستطع أن تتجرد من الشهوات تجرداً تاماً يصعد بها إلى حيث يمكنها الاتحاد مع الكل، فإذا استطاعت الروح التخلص من إسار الشر فإنها ستندمج في الكل لتنعم بالاتحاد معه، وبهذا الاتحاد تنجو من العذاب الذى يتجلى فى الولادة الجديدة المتكررة)(2).

ونستخلص من هذا تحول دار الدنيا عند البراهمة من دار ابتلاء واختبار والآخرة دار حساب وجزاء، إلى اعتبار الأرض دار جزاء وثواب(3).

وترجع فكرة التناسخ إلى نظرة البراهمة للنفس كجوهر (خالد صاف عالم مدرك تمام العلم والإدراك ما دام منفصلاً عن الجسد، فإذا فاض على الجسد واتصل به اعتكر صفاؤه ونقص علمه)(4).

---

(١) من روائع إقبال – للندوى.

(٢) الديانات والعقائد فى مختلف العصور، أحمد عبد الغفور العطار ص١٠٣.

(٣) أديان الهند الكبرى –د. أحمد شلبى– ص٦٥.

(٤) الإمام محمد أبو زهرة ص٤٣: الديانات القديمة ط دار الفكر العربى ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م.

ويوضح لنا النص الذى نقله العلامة البيرونى فى هذه الفكرة توضيحًا تامًا على لسان قول باسريو لأرجن يحرضه على القتال: (إن كنت بالقضاء السابق مؤمنًا فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن بموتى ولا ذاهبين ذهابًا لا رجوع معه، فإن الأرواح غير مائتة ولا متغيرة، وإنما تتردد فى الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة، ثم الشيخوخة التى عقباها موت البدن، ثم العود له).

كـذلك يصف له النفس بأنهـا (أبدية الوجـود، ولا عن ولادة، ولا إلى تلف وعدم، بل هى ثابتة قائمة لا سيف يقطعها، ولا نار تحرقها، ولا ماء يغرقها ولا ريح توبسها، ولكنها تنتقل من بدن نحو آخر كما يستبدل البدن اللباس إذا خلق، فما عملك لنفس لا تبيد؟)[1]، وهو بذلك يحرضه على القتال بشجاعة بلا خشية من الموت والقتل ما دامت النفس أبدية الوجود.

وانبثقت من عقيدة التناسخ أيضاً مجاهدة الهندوسى لنفسه والسعى نحو إلغاء إرادته ورغبات نفسه، أو باصطلاحهم (الفناء) فى الكل:

وقد وردت العبارة الآتية عنهم (من لم يرغب فى شىء ولن يرغب، وتحرر من رق الأهواء، واطمأنت نفسه فى نفسه، فإنه لا يعاد إلى حواسه، ويتحد بالبرهما فيصير هو، ويصبح الفانى باقيا)[2].

وقد انتقلت الفكرة إلى بعض صوفية المسلمين حيث كانوا يسعون إلى إماتة شهواتهم، وإعدام رغباتهم فى سبيل الفناء فى الله تعالى. وهو مالا سبيل للوصول إليه، ولهذا لقوا معارضة قوية من علماء السنة[3].

---

(١) ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة للبيرونى، نقلاً عن المصدر السابق، صفحة رقم ٤٤.

(٢) د. أحمد شلبى: أديان الهند الكبرى ص٦٦.

(٣) ينظر كتابنا ابن تيمية والتصوف -ط دار الدعوة بالإسكندرية.

أما الفناء الصحيح فى رأيه فهو يتمثل فى تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، ويقول ابن تيمية لشرح (الفناء) المجهود عند العارفين أنه تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله. فلا تشهد لمخلوق شيئًا من الإلهية، فيشهد أنه لا خالق غيره ويشهد أنه لا يستحق العبادة غيره، ويتحقق بحقيقة قوله: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ وقوله ﴿**فاعبده وتوكل عليه**﴾ وإلا فإذا شهدت أنه المستحق للعبادة مع رؤيتك نفسك لم تشهد حقيقة ﴿**إياك نعبد**﴾ وإذا شهدت حقيقة أنه الفاعل لكل شىء ولم تشهد أنه المستحق للعبادة دون ما سواه وأن عبادته إنما تكون بطاعة رسوله ﷺ، لم تشهد حقيقة ﴿**إياك نعبد**﴾ وإذا تحققت بقوله ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ تحققت بالفناء فى التوحيد الذى بعث الله به رسله وأنزل به كتبه. قال تعالى ﴿**واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا**﴾. وقال تعالى: ﴿**فاعبده** =

ومن تصور التناسخ أو ولادة الأرواح تتضح عقيدة وحدة الوجود، لأن العقيدة البرهمية تنطوى على الظن بأن الكائنات تعود كلها فى نهاية مطافها إلى المصدر الأول الذى نشأت عنه وهو الله (والإنسان أحد هذه الكائنات فيعرض له ما يعرض لها، وروحه قطرة من نور الله، انفصلت عن الله إلى أجل محدود، واتصلت به، ثم تتصل بعده بكائن آخر وآخر وهكذا على طريق التناسخ، وتجوال الأرواح، ثم تعود فى النهاية إلى الله متى جاء الأجل) وهى تشبه دورة قطرة الماء فى دورتها . . من صعودها بخاراً من البحر إلى انتقالها وتحولها من الثلج أو البرد وجريانها فى الأنهار ثم رجوعها أخيراً إلى البحر الذى انفصلت عنه[1].

إن هذه الفكرة تقوض الإيمان بالله من أساسها، وهى -كما يصفها الشيخ الغزالى -عنوان آخر للإلحاد فى وجود الله أو تعبير ملتو للقول بوجود المادة فقط، وما دام لا يوجد شىء وراء هذا العالم، فالقول بأن الله داخله هو صورة أخرى للقول بتكرانه.

ولو كانت الأرض لؤلؤا ومرجانا، ما صح أن تكون (ذات الله) . إن الصاروخ شىء غير الإنسان الذى أطلقه، وكذلك فالعالم شىء غير الرب الذى أبدعه وسيره)[2]. ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٨].

﴿ لَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٦٢، ٦٣]. . . ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴾ [المعارج: ٤].

وبنفس الدرجة من الاهتمام لتوضيح هذا المعتقد وقف علماؤنا على امتداد تاريخنا للدفاع عن عقيدة التوحيد، وإفراد الله تعالى بالعبادة، حيث يعتبر فهمها على وجهها الصحيح بمثابة الحصن الذى لاذ به المسلمون لصد أى غزو دينى من خارج الإسلام للانحراف بعقيدته أو شريعته عما نزل به الوحى.

= وتوكل عليه ﴾ وقال تعالى: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾. وقال تعالى: ﴿ قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ﴾. الرد على المنطقيين ص٥٢١.

(١) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام، للدكتور عبد الواحد وافى، ص١٦٥ : ١٦٦.

(٢) تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة – أنور الجندى ص٨٨ – دار الاعتصام ١٩٨٧م.

وفى ضوء دراسة الأديان بمنهج مقارن، نرى الإسلام وحده متميزاً بهذه الحصانة التى صد بها المحاولات الخبيثة الملتوية لتشويهه أو خلطه بتصورات أخرى منذ محاولة عبد الله بن سبأ ومن تبعه، ممن انحرفوا بالعقيدة، كنفى الصفات الإلهية بواسطة جهم بن صفوان والحلول عند الحلاج، ووحدة الوجود عند ابن عربى والفيض أو الصدور عند ابن سينا.

وتوالت قافلة العلماء المجددين الذين تنبهوا إلى مظاهر الزيغ فى العقيدة التى تنحرف بها من التوحيد إلى الشرك أو تخلط بين مشاركة الله تعالى وغيره فى الألوهية.

وكان قد حدث فى تاريخ الإسلام موقف مشابه، عندما تسللت إلى بعض المسلمين من الجهمية (أتباع الجهم بن صفوان) فكرة أن الله تعالى (هو فى كل مكان، وليس هو فى مكان، ولا يختص بشىء. يجمعون دائماً بين القولين المتناقضين، لأنهم يريدون إثبات موجود، وليس عندهم شىء فوق العالم فيتعين أن يكون هو العالم أو يكون فيه، ثم يريدون إثبات غير المخلوق فيقولون: ليس هو فى العالم، كما ليس خارجاً عنه)[1].

وهنالك تصدى لهم الأئمة، أمثال مقاتل بن حيان وسفيان الثورى والإمام أحمد بن حنبل مبينين التصور الصحيح للعقيدة الإسلامية شارحين ما اختلط عليهم فى فهم الآيات القرآنية التى تؤيدها الأدلة العقلية أيضاً: قال سفيان الثورى عن قوله تعالى: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ قال: علمه. وقيل لأبى عبد الله أحمد ابن حنبل: الله عز وجل فوق السماء السابعة على عرشه من خلقه وقدرته وعلمه فى كل مكان؟ قال نعم: نعم على العرش (وعلمه) لا يخلو منه مكان[2].

ومن هؤلاء الأئمة أيضاً ابن تيمية الذى أزعجته هذه المظاهر، حيث تسللت إلى المسلمين من خلال التصوف فكرة وحدة الوجود عن طريق ابن عربى (٦٣٨ هـ) الذى جوز هو واتباعه عبادة كل شىء، وكأنهم ما عبدوا إلا الله لأن المذهب يدور حول أن الوجود واحد.

---

(١) نقض المنطق، ابن تيمية ص٥٠ :٥١ تصحيح محمد حامد الفقى- مكتبة السنة المحمدية بالقاهرة.

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة... للالكائى ج٣ ص٤٠١ :٤٠٢- تحقيق د. أحمد سعد حمدان- دار طيبة للنشر والتوزيع/ بالرياض.

يقول ابن عربى:

وقد كنت قبل اليوم أكره صاحبى	إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى
فأصبح قلبى قابلاً كل صورة	فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف	وألواح توراة ومصحف وقرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت	ركائبه فالحب دينى وإيمانى[1]

ويقول أيضًا: (فإن العارف من يرى الحق فى كل شىء، بل يراه عين كل شىء)[2].

ولقد عورضت فكرة وحدة الوجود بسبب انعكاساتها على العقيدة والأخلاق لأنه وفق هذه النظرة تصبح عبادة قوم موسى للعجل هى عبادة لله أيضًا، وتساوى بين عبادة الأصنام وعبادة الله تعالى. كما أدت هذه العقيدة الباطلة إلى تفسيرات مناقضة تمامًا للتوحيد الإسلامى، ومعانى الآيات القرآنية الجلية الواضحة. ومثال ذلك: رأى ابن عربى المخالف لصريح الآية القرآنية، حيث يصف موسى عليه السلام بأنه كان قرة عين لفرعون الذى آمن عند الغرق (فقبضه طاهرًا مطهرًا، ليس فيه شىء من الخبث، لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئًا من الآثام)[3].

وعندئذ يعلق ابن تيمية، إذ يرى أن (قوله لم يسبق إليه فيما أعلم أحد من أهل القبلة، لأن النص القرآنى صريح فى فسق فرعون، وكونه من المكذبين لموسى، الظالمين الداعين إلى النار[4].

ويأتى تلميذه ابن القيم ليؤكد عقيدة التوحيد الإسلامية، ومن مقتضياتها التنزيه فى أدق صوره وأرقاها، لأن الإسلام جاء ليصحح العقائد الباطلة كافة ويعيد بنى آدم إلى الصراط المستقيم فى العقائد والعبادات والشرائع. يقول ابن القيم:

---

(١) ابن عربى: ترجمان الأشواق ص٤٣: ٤٤. (٢) فصوص الحكم ص١٩٢.

(٣) فصوص الحكم ص٢٠١.

(٤) محيى الدين بن عربى وغلاة التصوف لعباس الغراوى ص١٤٢– من الكتاب التذكارى (محيى الدين بن عربى فى الذكرى المئوية الثامنة لميلاده).

ولكن يلاحظ أن ابن تيمية يفرّق بين أقوال ابن عربى بكتاب (فصوص الحكم) وبين سائر أقواله فيرى (أن المقالة – مع كونها كفرًا، فهو أقربهم إلى الإسلام لما يوجد فى كلامه من الكلام الجيدّ كثيرًا، ولأنه لا يثبتّ على الاتحاد ثبوت غيره، بل هو كثير الاضطراب فيه، وإنما هو قائم مع خياله الواسع الذى يتخيلّ فيه الحق تارة والباطل أخرى. والله أعلم بما مات عليه) الفتاوى جـ٢ ص ١٤٣.

(وأنت إذا تدبرت القرآن وأجرته من التحريف وأن تقضى عليه بآراء المتكلمين وأفكار المتكلفين، أشهدك ملكًا قيومًا فوق سمواته على عرشه يدبر أمر عباده، يأمر وينهى ويرسل الرسل وينزل الكتب، ويرضى ويغضب ويثيب ويعاقب، ويعطى ويمنع ويعز ويذل، ويخفض ويرفع، يرى من فوق سبع، ويسمع ويعلم السر والعلانية، فعال لما يريد، موصوف بكل كمال، منزه عن كل عيب، لا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ليس لعباده من دونه ولى ولا شفيع[١]).

أما أثر وحدة الوجود فى مجال الأخلاق، والسلوك الإنسانى، فإنها تؤدى إلى جبرية صارمة وتعطيل للإرادة، وتوقف التفكير، وامتناع التفرقة بين الخير والشر والتمييز بين الثواب والعقاب، وسقوط قيمة الإلزام الخلقى، وزوال المسئولية الأخلاقية بإسقاط ركنيها: العقل وحرية الاختيار[٢].

أما ديانة السيخ (وهى متفرعة من الهندوكية) فتنسب إلى رجل هندى اسمه (ناناك) ولد بولاية بنجاب سنة ١٤٦٩م وتأثر بالإسلام وأعجب ببساطته وسماحته، وأن الله واحد وأنه هو الأول والآخر، وإن ظل على اعتقاد الهنادكة بوحدة الوجود.

كما ظل متأثراً بالهندوكية لإنكاره البعث واعتقاده بالتناسخ، مع اختلافه مع الهنادكة، فى قولهم بالفناء، مفضلاً كلمة الاتحاد بالله، متصوراً أن الروح لا تفنى فيه ولكن تبقى ذات وجود متميز.

كذلك أحل الصفاء محل (النرفانا– أى انعدام الرغبة)، وصفاء الإنسان عنده يعنى العجز عن الشر، إذ بعد اجتيازه لأنواع من الرياضيات النفسية يصبح الصفاء هو منتهى الإيجابية فى تحقيق الخير!

ويقدر عدد السيخ فى البنجاب وفى الهند بما لا يزيد على عشرة ملايين، وهم منتشرون فى أوربا وأمريكا[٣].

****

---

(١) الفوائد –ص٦٥– الناشر: زكريا إبراهيم – مطبعة العاصمة بالقاهرة– بدون تاريخ.

(٢) فتاوى ابن تيمية –ط الرياض ج٢، ص٢٧٩ (توحيد الربوبية).

(٣) من كتاب ديانات أخرى، أنيس منصور ص٨٤/ ٨٥، ٨٩.

أوجه الشبه بين عقائد الهند والنصرانية

يمكن القول بأن هناك أوجه للتشبه بين عقيدة النصارى، وعقائد البراهمة وربما كان المسئول عنها بولس، الذى اقتبس (اتجاهات التثليث وصلب المسيح ابن الله تكفيراً عن خطيئة البشر)[١]. وغير ذلك من الملامح البارزة لعقيدة النصارى

وهذا ما يدفعنا إلى بيان أوجه التشبه باقتضاب[٢] بين العقائد الهندوسية والنصرانية، كما توجهنا هذه المناسبة إلى التعرف على أحد معالم الإسلام البارزة فى الاحتفاظ بأصوله سليمة لم تمسها يد بشر ثم ترتب عليه سهولة التمييز بين الأصيل والدخيل، بين السنة والبدعة. ومن ثم فضح كل من يحاول الانحراف بعقائد الإسلام أو عباداته أو شرائعه

ونرى أن ابن تيمية كان محقٌ فى قوله (إن مثل بولس فى النصارى كمثل ابن سبأ فى المسلمين)، والقياس مع الفارق كما سيتضح بعد قليل، ولكنه قصد أن كليهما أراد إفساد الدين. وإذا كان نجاح بولس ساحقًا فى تغيير العقائد من جدورها، وتحويل النصارى جميعا إلى وجهة أخرى لم يردها المسيح عليه السلام، بل إنه برىء منها، نرى أثر ابن سبأ لم يتعد دائرة الشيعة -أو الغلاة منهم- فقد طلبه على بن أبى طالب (رضى الله عنه) لقتله وحرق بعض أتباعه، فهرب ولم يستطع -بالرغم من نجاحه المحدود- النفاذ إلى القاعدة الصلبة من صفوف المسلمين حينذاك، وهم جميعًا أصحاب الوعى العقائدى المستند إلى القرآن والسنة، ولأن نور النبوة الساطع جعل ابن سبأ وأتباعه القليلين يختفون فى الظلام كالخفافيش.

هذا وقد أورد مورس وليمس صاحب كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية)[٣] مواضع المطابقة بين أقوال الهنود على لسان كرشنة -وهو من أشهر فلاسفتهم (ولد حوالى ٤٨٠ قبل الميلاد)، وبين ما جاء بالأناجيل عن المسيح عليه

---

(١) د. أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ص٩٦.

(٢) للاستزادة راجع كتاب (الديانات القديمة) للشيخ محمد أبو زهرة من ص ٣ إلى ص٤٢ الذى اعتمد على كتاب مورس وليمس (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية)

(٣) ومقابلة النص الصريح بين كرشنة ويسوع المسيح يقع فى الصفحات من ص١١٩ إلى ص١٣١، والكتاب نشره وعلق عليه وقدم له محمد بن إبراهيم الشيبانى ط مكتبة ابن تيمية الكويت ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م

السلام، وذلك فى خمسة وأربعين موضعاً، نجتزئ بعضها فيما يلى :

أقوال الهنود الوثنين فى كرشنة ابن الله	أقوال النصارى المسيحيين فى المسيح ابن الله
- كرشنة : هو المخلص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس، وهو الأب والابن والروح القدس.	- يسوع المسيح : هو المخلص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس، وهو الأب والابن والروح القدس.
- قد مجد الملائكة ديفاكى والدة كرشنة ابن الله، وقالوا يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة.	- دخل الملاك على مريم العذراء والدة يسوع المسيح وقال لها سلام لك أيتها المنعم عليها، الرب معك.
- كان كرشنة من سلالة ملوكانية ولكنه فى غار بحال الذل والفقر.	- كان يسوع المسيح من سلالة ملوكانية ويدعونه ملك اليهود ولكنه ولد فى حالة الذل والفقر بغار.
- وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنة الطفل الإلهى وطلب قتل الولد وكى يتوصل إلى أمينته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا فى الليلة التى ولد فيها كرشنة.	- وسمع حاكم البلاد بولادة الطفل يسوع الإلهى وطلب قتله، وكى يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذين ولدوا فى الليلة التى ولد فيها المسيح.
- واسم المدينة التى ولد فيها كرشنة مطرا وفيها عمل الآيات العجيبة ولم تزل محل التعظيم والاحترام عند الهنود العابدين للأوثان والقائلين عن كرشنة إنه ابن الله وإنه الله إلى يومنا هذا.	- واسم المدينة التى هاجر إليها يسوع المسيح فى مصر، لما ترك اليهودية، المطرية، ويقال إنه عمل فيها آيات عديدة.
- وفى أحد الأيام لسعت حية بغض أصحاب كرشنة الذين يلعب معهم	- وبينما كان يسوع يلعب لسعت

فماتوا فأشفق عليهم لموتهم الباكر ونظر إليهم بعين ألوهيته فقاموا سريعاً من الموت وعادوا أحياء.	حية أحد الصبيان الذين كان يلعب معهم فلمس يسوع ذاك الصبى بيده فعاد إلى حال صحته.
– وأول الآيات والعجائب التى عملها كرشنة شفاء الأبرص.	وأول الآيات والعجائب التى عملها يسوع المسيح هى شفاء الأبرص.
– كرشنة صلب ومات على الصليب.	– يسوع صلب ومات على الصليب.
– ومات كرشنة ثم قام من بين الأموات.	– ومات يسوع ثم قام من بين الأموات.
– وصعد كرشنة بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعداً.	– وصعد يسوع إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعداً.
– ولسوف يأتى كرشنة فى اليوم الأخير يكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء.	– ولسوف يأتى يسوع فى اليوم الأخير كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء.
– وهو – أى كرشنة – يدين الأموات فى اليوم الأخير.	– ويدين يسوع الأموات فى اليوم الأخير.
– كرشنة هو برهما العظيم القدوس وظهوره بالناسوت سر من أسراره العجيبة الإلهية.	– يسوع هو يهوه العظيم القدوس وظهوره فى الناسوت سر أسراره العظيمة الإلهية.

ولا شك أن هذا التشابه يثير التساؤل:

أهو التقليد والمحاكاة للبيئات والمجتمعات المجاورة؟

أم خضوع للمألوف والمتوارث عن الأجداد الوثنيين مع التبديل والتعديل؟

كل هذا جائز ومحتمل، ونضيف إليه عاملاً آخر نعطيه قدراً أكبر من الأهمية والفاعلية لأنه ناجم عن أمر صادر من أحد رجال الدين:

جاء في كتاب يسوع المسيح للقس بولس إلياس: (أنه في مفتتح القرن السابع الميلادي كتب البابا غريغوريوس الأول الكبير إلى القديس أوغسطينوس أسقف كنتبرى ببريطانيا يقول: دع البريطانيين وعاداتهم وابق لهم أعيادهم الوثنية واكتف بتنصير تلك الأعياد والعوائد واضعاً إله المسيحيين موضع آلهة الوثنيين)[١].

ويعلق الشيخ أبو زهرة على هذه المقارنات بقوله: (وإذا كانت البرهمية أسبق من النصرانية المحرفة، فقد علم إذن المشتق والمشتق منه، والأصل وما تفرع عنه، وعلى المسيحيين أن يبحثوا عن أصل دينهم)[٢].

وإذا قال قائل بأن الاعتقاد بالتناسخ قد تسلل إلى بعض المسلمين، فإن ذلك يحتاج إلى شرح وبيان:

أثر الهندوكية لدى بعض المسلمين:

يمكن القول بأن الأثر الملموس الذي تركته الديانة الهندوكية في بعض المسلمين كان في نطاق ضيق محدود، إذ سرعان ما اكتشف بطلانه بسبب وعي علماء الإسلام بدينهم وعقائدهم، وقيامهم بدور التنبيه والتحذير من أية عقائد زائفة تتسرب إلى المسلمين عن طريق احتكاكهم بالأمم والثقافات والأديان الأخرى.

خذ مثلاً الاعتقاد بالتناسخ، فقد فضحه الأئمة والعلماء، ومنهم الإمام ابن حزم، الذي حصر القائلين به منبهاً إلى بطلانه:

قال ابن حزم: (افترق القائلون بتناسخ الأرواح على فرقتين: فذهبت الفرقة الأولى إلى أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجسام أخرى، وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت، وهذا قول أحمد بن حافظ، وأحمد بن ناموس تلميذه وأبي مسلم الخراساني، ومحمد بن زكريا الرازي الطبيب الذي صرح بذلك

---

(١) ملكوت الله: عبد المجيد الجندي ص١٧٣ نقلاً عن: المسيح الدجال- سعيد أيوب ص١٥٤ - دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٨٩م. ونظراً لأنه كان يعتبر (أول بابا حقيقي)، فيبدو أن تعاليمه ظلت سارية وعمل بها البابوات بعده) ... للتعرُّف على مكانته وأهميته يُنظر كتاب (بابوات من حي اليهود) تأليف يواكيم بزنر وترجمة خالد عيسى ص ١١٨ ط دار حسّان بدمشق ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) المرجع نفسه ص٢٩.

فى كتابه المسمى (العلم الإلهى) وهو قول القرامطة. وقال الرازى فى بعض كتبه: لولا أنه لا سبيل إلى تخليص الأرواح من الأجساد المتصورة بالصورة البهيمية إلى الأجساد المتصورة بصورة الإنسان إلا بالقتل والذبح لما جاز قتل شىء من الحيوان أو ذبحع ألبته)[1].

ومما تسرب إلى بعض فرق الشيعة متصلاً بالتناسخ القول بالرجعة فهى عودة الروح لحياة جديدة ولكنها فى الرجعة تعود إلى الجسم، أى أن الشخص نفسه جسماً وروحاً يعود للحياة بعد الموت، وقد قال بعض الإمامية بعودة على بن أبى طالب رضى الله عنه، وقال أكثرهم بعودة الإمام الثانى عشر وهو المهدى وسموه (المهدى المنتظر)، وقالوا إنه سيعود للأرض فيملؤها عدلاً بعد أن ملئت ظلماً.

وعلق ابن حزم على هذا الاتجاه وهو القول بالتناسخ بأنه دعاوى وخرافات بلا دليل[2].

أما انحراف بعض عامة المسلمين الذين أدخلوا فى عقائدهم بعض الاتجاهات الهندوسية، فإن ذلك يخرجهم من الإسلام مثل بعض اتجاهات الأحمدية واتجاهات بعض أتباع (معين الدين شسيتى) وهناك وثيقة نشرها الدكتور أحمد شلبى تجعل زيارة ضريح هذا الشيخ تنوب عن الحج إلى بيت الله الحرام، وتقرر أن الطواف حول ما سماه ابن الشيخ « الروضة الشريفة » كالطواف حول الكعبة وتسمى الباب المؤدى لساحة الضريح (باب الجنة)[3].

وإذا أخرجنا هؤلاء بسبب هذه العقائد من دائرة الإسلام، فلا صحة إذن لما يراه جوستاف لوبون من تكون حضارة جديدة نشأت من اتصال الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى بالحضارة الهندوسية والفكر الهندوسى وتبادل التأثير بينهما وأطلق عليها اسم (الحضارة الهندية الإسلامية).

إننا لا نقر لوبون على رأيه إذ إنه خلط بين الحضارتين، بل دمج بينهما بسبب وجود تشابه عرضى بين بعض عامة[4] المسلمين الذين تأثروا ببعض عقائد

---

(١) الفصل ج١ ص٩٠ نقلاً عن أديان الهند الكبرى، للدكتور أحمد شلبى.

(٢) أديان الهند الكبرى ص٦٥.

(٣) المرجع نفسه ص٩٧.

(٤) من ذلك مثلاً أن بعض عامة المسلمين يمارسون تقديس الذخائر المماثلة لتلك التى يعبدها البوذيون، =

الهندوس، وبين الأخيرين الذين تأثروا بدورهم ببعض عقائد الإسلام وشعائره ووجه القصور فى نظرية لوبون وغيره من فلاسفة الغرب أنهم لا يميزون بين الخصائص المميزة للإسلام التى تستند أساسًا على عقيدة التوحيد، وبين ما لحق بالمسلمين من آثار ثقافية واجتماعية ظهرت إما بسبب تفشى الجهل بين عامتهم، أو بسبب الغزو الثقافى المتعمد أثناء الغزو العسكرى للعالم الإسلامى فى العصر الحديث، أضف إلى ذلك أن لوبون وغيره من الفلاسفة الغربيين لا يملكون الحصيلة العلمية الوفيرة عن الإسلام بشعبه كلها، فضلاً عن الوجدان السليم الذى يمكن صاحبه من الفرز بين ما هو إسلامى وما هو غير إسلامى، ومن ثم اختلطت فى أذهانهم العقائد والنحل فأدخلوا فى دائرة الإسلام أمثال غلام أحمد القاديانى وفرق الإسماعيلية والبهائية أو البابية، وعلى حين أن هؤلاء قد خرجوا من دائرة الإسلام ولا ينتمون إلى حضارته، بل إنهم بما أعلنوا من عقائد وما ابتدعوا من نحل يعتبرون معادين للإسلام.

ومن هذه النقطة نميز بين من ينتمون إلى الإسلام بعقيدته الصحيحة وما يتصل بها من عبادات وشرائع، وبين المخالفين لها أيًا كانت جنسياتهم أو ألوانهم أو أوطانهم أو قومياتهم، لننتقل منها إلى تصور عالمية الإسلام.

وخلاصة القول إن دائرة الحضارة الإسلامية تتسع عالميًا فتشمل المسلمين على وجه الأرض ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢] ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وبناء على هذا التصور فإن علماء الهند المسلمين المستمسكين بالمنهج الإسلامى الصحيح ينتمون إلى الحضارة الإسلامية الأم، ولا صلة عقائدية تربطهم بالحضارة الهندية حتى لو ولدوا فى الهند وعاشوا وماتوا بها لأن عقيدة التوحيد هى الرابطة التى تربطهم بالأمة الإسلامية، وتفصل بينهم وبين الحضارة الهندية. وقد سجل التاريخ أسماء الآلاف من علماء الهند جيلاً بعد جيل الذين أسهموا بجهودهم العلمية فى المحافظة على الإسلام وعلومه، وقامت المدارس والجامعات بدورها فى توعية المسلمين لمواجهة حملات الغزو الغربى لا سيما فى العصر الحديث وكانت

= وحدث مرة ثورة فى كشمير لأن شعرة يقدسها المسلمون سرقت لاعتقادهم أنها من شعرات الرسول ﷺ (ينظر ص٩٨ وما بعدها من نفس المصدر).

الهند -كما يقرر الشيخ الندوى -في طليعة دول المواجهة الإسلامية وكان الشعب الإسلامي الهندى أرهف شعورًا دينيًا، وأرق وعيًا إسلاميًا وأشد غيرة على الإسلام من البلاد الإسلامية الأخرى، مستدلاً على ذلك بمساهمتهم القومية بعد حركة الخلافة، وحرصهم الشديد على التمسك بحضارتهم الإسلامية العريقة وبشعائرهم الدينية(١).

والآن، بعد أن استعرضنا هذه الديانة وآثارها وما يدور حولها، يصح التوقف للاستفادة من ذلك كله في تعليق نوجزه في المسائل الآتية:

١- اتخاذ أديان الهند دليلاً واقعيًا على التردى من عقيدة التوحيد إلى عقائد الشرك والوثنية (فالديانة البراهمية كانت في أصلها -على ما يبدو من نصوص أسفارها -والوثنية (فالديانة البرهمية كانت في أصلها- على ما يبدو من نصوص أسفارها- ديانة توحيد، مشوبة بعقائد وحدة الوجود وتناسخ الأرواح.. ولكنها تغيرت وحرفت على مر الأيام، وحلت محلها عقيدة تثليث)(٢).

ومن هنا يتبين أن منهج علماء السنة والجماعة المرتبط بالنصوص الموثقة كان عاصمًا من الوقوع في الانحرافات العقائدية التي وقعت فيها الأمم الأخرى.

٢- المهاوى التي يتردد إليها الإنسان حيث يتسفل إلى عبادة البقر إذا بعد عن عبادة الله الواحد الأحد.

٣- افتقاد التشريع الإلهى يسبب وقوع المظالم الاجتماعية الصارخة التي نراها في نظام الطبقات في أبشع صورة، بينما نرى العدالة الاجتماعية متحققة في ظل التشريع الإسلامي عندما كان ساريًا في دولة الإسلام(٣).

---

(١) الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين ص٢٧ مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ويعد الإمام الندوى الهند من بلاد الإسلام الأربع (أى تركيا ومصر وإيران والهند) التي واجهت منذ منتصف القرن التاسع عشر المسيحي، الحضارة والثقافة والأفكار والفلسفات والمثل الغربية ص٢٣، نفس المرجع.

(٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص١١٦ للدكتور عبد الواحد وافي، نهضة مصر ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

(٣) وهذا المبدأ ما زال يشع نوره لطالبي الهداية. يقول محمد ضياء الرحمن - المهتدى للإسلام -وكان هندوكيا قبل إسلامه: (من يعتنق الإسلام يصبح فردا من عشيرة المسلمين لا فرق بينه وبين الذى يولد مسلمًا، كما قال الله تعالى ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾ ص١١٩، من كتاب رجال ونساء أسلموا/ عرفات كامل العشى الحلقة/٢.

٤- الانحراف عن تصور حقيقة الإنسان بوحدته النفسية الجسمية معًا، حيث أدى الغلو فى (الروح) إلى إهمال الجسد وتعذيبه بافتعال التقشف والزهد، بل إحراقه بعد الموت.

٥- تفيدنا دراسة الأديان بمنهج الموازنة فى تتبع المؤثرات الوافدة من العقائد الأخرى إلى المسلمين كوحدة الوجود والفناء والتناسخ.

٦- مسئولية الأمة الإسلامية لرفع أنواع الظلم الواقعة على المسلمين فى الهند وغيرها من بلاد جنوب شرق آسيا، حيث يعانى المسلمون هناك ألوانًا من الاضطهاد والظلم والاعتداءات على الأنفس والأعراض والأموال لا لسبب إلا لاستمساكهم بالإسلام. يقول محمد ضياء الرحمن، المهتدى للإسلام: (وكانت العداوة للإسلام والمسلمين راسخة فى قلوبنا نتيجة للاتهامات الكاذبة الشائعة عن ملوك المسلمين على لسان المؤرخين الهنادك).. (ومهما يكن من أمر معاداة الإسلام كانت من تراث آبائنا)[1].

٧- ويبقى من مهمتنا أخيراً إقناع المدافعين عن الوثنية بزعم أنها تعبر فى مرحلة ما عن حاجة البشر الفطرية، ثم تتعداها إذا ما نضجت البشرية وبلغت سن الرشد، فحينئذ يستغنى الإنسان عن (الوثنية) فتصبح التماثيل علامات ورموز، فنقول:

إن إقناع أولئك: سهل ميسور إذا وضعنا أمامهم الواقع الماثل أمام دارسى العقائد والعبادات فى الهند وغيرها -والتى ما زال أصحابها يعضون عليها بالنواجذ لأنهم يعكفون عليها بإصرار وبصفة نهائية، حيث يتضح أن المعركة بين التوحيد والوثنية مستمرة وإن أخذت شكلاً آخر فى المجتمعات الغربية التى تعظم التماثيل وتهيئ لها القاعات الخاصة والميادين العامة، وتحفها بمظاهر الإجلال والتقديس الدالة على عقيدة وثنية متغلغلة فى النفوس، وليست كما يدعون تعبيراً عن مظهر حضارى، وإلا فما الفرق بين نظرة الهنادكة للتماثيل ونظرة الغربيين لها؟ إنهم يحيطونها

---

(١) رجال ونساء أسلموا ص١١٣ : ١٤١ الحلقة/ ٢ إعداد وترجمة: عرفات كامل العشى- دار القلم/ الكويت/ ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

بنفس مظاهر التقديس، بالوقوف أمامها بخشوع وتارة بانحناء مع وضع الزهور والرياحين والاحتفال بأعياد أصحابها.

ويصف الإمام أبو الحسن الندوى العصر إجمالاً بقوله: (... فى مكان تعبد الأصنام والأوثان، وفى آخر تعبد العناصر والأجناس والأقوام، وفى أرض تعبد الأهواء والشهوات، وفى أخرى تعبد القوة والسلطة، وفى مكان تعبد الملوك والسلاطين، وفى مكان تعبد الأحبار والرهبان)(١).

ونتابع حديثنا عن نحلة أخرى انسلخت من البرهمية وثارت عليها، وهى البوذية -نسبة إلى (بوذا)- لنرى هل استطاع بدوره حل مشكلات الحياة ولغزها كما زعم هو وأتباعه؟ أم أن الإنسان سيظل يتخبط فى متاهات الجهل ما دام بعيداً عن الإذعان لوحى الله تعالى وشرعه، مصراً على وضع العقائد والأنظمة لنفسه؟

******

---

(١) ص٢١ من كتابه: رسالة سيرة النبى الأمين ﷺ إلى إنسان القرن العشرين -دار حراء- المحلة الكبرى بمصر ١٥ رجب سنة ١٣٩٩ هـ.

الفصل الثالث

البوذيـــة

إن الحديث عن البوذية يذكرنا بالطرفين المتقابلين فى تصور حقيقة السعادة الإنسانية، وكيفية تحقيقها قديما وحديثا: أى الفلسفة الأبيقورية قديما والنفعية حديثًا، فكان أبيقور يعلن: (علينا ألا نتجنب اللذائذ، بل يجب أن نختارها)[1].

وتبنى نفس الغاية ستيورات مل، فى العصر الحديث، مع بعض التعديلات، ويقابلها فى الطرف المضاد الفلسفة الرواقية، ورائدها زينون، الذى تخيل السعادة فى الزهد وحياة التقشف وإماتة الرغبة فى الحياة الطيبة وصبغ الحياة بطابع التشاؤم بسبب الاعتقاد بالجبرية، وعبر عنها شوبنهور فى العصر الحديث، الذى رأى الكف عن النضال، فلا طائل من وراء أن تناضل الإرادة الفردية، ضد الإرادة الكونية[2].

وكلتا النظرتين خاطئتان لأنهما افتقدتا التقويم السليم للإنسان وعجزتا عن تقديم الإجابات الكافية الشافية عن الحق متحرراً من الهوى -لكمال الإسلام، حيث نعثر فيه على إجابات لكل التساؤلات حول حياة الإنسان ومصيره ودوره، كذلك يغذى بعقائده وعباداته احتياجاتنا، ويشبع أشواقنا عن طريق منهج معتدل فى العبادات وطريق وسط فى التقرب إلى الله عز وجل، وشريعة قويمة تبيح الطيبات من الرزق وتستجيب لنوازع الإنسان فى إشباع اللذات بلا إفراط أو تفريط، بميزان معتدل لا تترجح كفتاه بين ضرورات الجسد وأشواق الروح، مع مزاولة النشاط الإيجابى فى العمل والسعى للرزق وتعمير الأرض فضلاً عن المذهب الإسلامى الأخلاقى المتكامل الأركان[3]. لذلك سنتحدث عن البوذية كديانة خرجت على البرهمية، ومذهب فلسفى أخلاقى:

الخروج على البرهمية:

أدى نظام الطبقات، واستبداد البراهمة وإحساس طائفة الكشتريا (أى الحكم

---

(١) قصة الفلسفة: ويل ديورانت ص٢٠٣ ترجمة أحمد الشيبانى، المكتبة الأهلية، بيروت ١٩٦٥م.

(٢) المرجع نفسه ص٢٠٢.

(٣) ينظر كتابنا: الأخلاق بين الفلاسفة وحكماء الإسلام، ص١٦٥ وما بعدها -ط دار الثقافة العربية بالقاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

والسلطان وأعمال الجراءة والحرب) بالظلم، أدى ذلك إلى ثورتى خروج على البرهمية :

١- **الجينية** : وتنسب إلى الزعيم مهاويرا (أى البطل العظيم) ويسمى أيضًا جينا (أى القاهر والمتغلب) .

ب- **البوذية** : نسبة إلى بوذا[١] .

وتتفقان معًا فى العزوف عن المتع والملاذ الدنيوية، والميل إلى الرهبنة والتبتل[٢] .

وسنكتفى بالحديث عن (البوذية) باعتبارها أكثر اتباعًا، وأبعد نفوذًا فى الهند والصين واليابان[٣]، بينما لا يتجاوز عدد الجينيين الآن نحو المليون .

أما معالم اختلافهما مع الهندوكية أو البرهمية، فإن الهندوكية تتضمن مجموعة كبيرة من الآلهة، بينما (أنكرت الجينية الإله ورفضت البوذية الحديث عنه، ولكن هذه الهوة لم يطل عمرها، فسرعان ما ألَّه الجينيون مهاويرا والبوذيون بوذا واختلطت التماثيل والآلهة[٤] .

لذلك اختلف الباحثون حول ما إذا كانت البوذية دينًا أو فلسفة، والسبب فى إثارة هذا الاختلاف أن المتتبع لحياة بوذا يلاحظ أنه لم يتعرض فى مباحثه لوجود الله، وأن الأساس الذى حاول فيه حل مسألة الحياة، أساس فلسفى، فالبوذية بناء على هذا الرأى فلسفة، ولكنها فى رأى البوذيين دين[٥] .

ويرى الإمام أبو زهرة أن مذهب بوذا إصلاحى اجتماعى خلقى، أكثر منه دينى[٦] .

وسيتضح ذلك بصورة أوضح إذا تتبعنا حياته وأفكاره وخططه الإصلاحية :

---

(١) كتاب أديان الهند الكبرى، للدكتور أحمد شلبى ص١٠٨ :١٠٩ باختصار .

(٢) حيث اقتحمت حوالى ثلاثين قطرًا فى آسيا بل تعدتها إلى أوربا ص١٨٤ .

(٣) كان اسمه عند ولادته (سذهاتا) وفى مرحلة الرهبنة (غوتاما) أى الراهب أو (مونى) اى المنفرد المنعزل عن الناس ثم فى النهاية (بوذا) أى العارف المستيقظ والعالم المتنور .

(٤) المرجع نفسه ص١٩٤ :١٩٥ .

(٥) المرجع نفسه ص١٧١ . وتفسير ذلك فى رأى أحد الباحثين أن البوذى يستهدف الخلاص من عالم هو دائم الجريان، وجريانه مصدر ألم وشقاء، ولكنه لا يعتمد إلا على نفسه لتحقيق هذا الخلاص، فهو إذن لا يصلى إلى إله ولا يتهجد، وإنما ينطوى على نفسه ويتامل . ص ٦٥ من كتاب د/عادل العوا (علم الأديان وبنية الفكر الإسلامى) منشورات عويدات، بيروت – باريس سنة ١٩٨٩م .. ويرى أن تطوّر البوذية أدّى إلى تاليه (بوذا) واعتبار رئيس كهنة البوذية فى التبت أى (دلاى – لاما) تجسّده الدائم ص٧٩ .

(٦) محمد أبو زهرة : الديانات القديمة ص٧٠ ط دار الفكر العربى ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

حياة بوذا:

اتفق الباحثون فى تاريخ الأديان والعقائد على أن سيرة بوذا لا تخلو من قصص خيالية وأساطير حيكت حوله منذ مولده حتى وفاته، حيث ينسبون إليه معجزات وكرامات.

وعلى أية حال، فسنسرد أهم وقائع حياته توطئة لاستخلاص مذهبه ودعوته التى انتشرت فى الآفاق حتى الآن:

ولد فى عام ٥٦٨ ق.م ونشأ فى قصور أبيه الذى يعد من طبقة المحاربين وعاش عيشة ترف، وتعلم الفروسية ثم تزوج فى السادسة عشرة من عمره.

ولكن هذه الحياة الرغدة المنعمة لم تحل بينه وبين مشاركة التعساء والمصابين أحزانهم، وآلامهم (فقد خرج من القصر ذات يوم فرأى شيخًا فانيا وعاد إلى منزله يفكر فيما يفعل الزمن بالمرء من تغيير، حيث يسلبه القوة والنضارة والحيوية والعافية، وفى اليوم الثانى رأى مريضًا أتلفه السقم والداء، فرجع حزينا يفكر: لماذا يمرض هذا المسكين؟ من الذى يغير حاله؟ ولماذا تستحيل حياته عذابًا، وفى اليوم الثالث رأى جنازة ميت، فعاد والحزن والألم يعتصران قلبه[١].

وعمقت هذه المشاهد فى نفسه إحساس التشاؤم، ودفعته إلى التساؤل عن كيفية الحل لهذه المشكلات فى رأيه، أى الشباب الذى ذوى والصحة التى تفنى والعمر الذى يمضى. وأدت به إلى ما تحفل به الدنيا من ألم وشقاء وتعب، فأخذ يبحث عن سبيل الخلاص، مصممًا على البحث عن الحقيقة مهما كلفه الأمر، وكان حينذاك فى التاسعة والعشرين من عمره، حيث ودع زوجته وابنه وترك القصر هائمًا على وجهه، ثم استبدل ملابسه مع سائل فى الطريق، وتوجه إلى الكهوف ليقيم مع بعض النساك البراهمة، فنافسهم فى حياة الزهد والتنسك.

ولم يكتف بهذا القدر من الزهد والتقشف على طريقة النساك البراهمة، وإنما أدرك أن البرهمية عاجزة عن حل لغز الوجود، ومشكلة الحياة، فانصرف إلى غاية أخرى، وازداد قوة على نفسه متقلبًا فى أشد ضروب التقشف والحرمان وإذلال البدن وقضى ست سنوات فى هذه الحياة حتى أشرف على الهلاك، وذاع صيته فى الآفاق.

---

(١) الديانات والعقائد فى مختلف العصور ج١ ص١٦٧: أحمد عبد الغفور عطار.

وتبالغ الأسطورة في وصف حالته آنداك فتصوره بأنه أخذ في تعذيب جسده حتى لم يبق به حركة، فبلغ السكون التام حتى كانت الطيور تقع عليه آمنة وتتحرك الوحوش خلفه مطمئنة.

ولما بلغت به حالة التقشف والحرمان إلى فقدان القوة عن الحركة، وعطلت فيه قوى الفكر، قرر ترك هذه الحياة المسرفة في تعذيب الجسد عائداً إلى الطعام والشراب والكساء. فبدأ يستعيد نشاطه وقوته فمضى سائرًا في سبيله حيث وجد شجرة فجلس يستظل بظلها[١].

وعندئذ حدثت واقعة حصوله على المعرفة (النرفانا) . . .

النرفانا:

تروى الأساطير أنه أثناء جلوسه تحت ظل الشجرة، وهي شجرة تين في رواية، فاض عليه العلم، وانكشفت له كثير من أسرار العالم[٢]، أو أنه حصل على الإشراقة التي كان يترقبها[٣]، فما هي هذه الأسرار؟ وما صفة هذه الإشراقة وطبيعتها وثمرتها؟

لندعه أولاً يعبر عن نفسه حيث يقول: (جلست تحت تلك الشجرة في تلك الليلة من شهر الأزهار، وقلت لعقلي وجسدي: اسمعا، لا تبرحا هذا المكان حتى أجد ذلك الحق، لينشف الجلد، ولتتقطع العروق ولتنفصل العظام، وليقف الدم عن الجريان، لن أقوم من مكاني حتى أعرف الحق الذي أنشده فينجيني).

وإذا تأملنا إفصاحه عن تجربته الإشراقية نراها لا تروي غليلنا في معرفة (الحق) الذي كان يبحث عنه، وصلة الحق بهدف (النجاة)، ومم يطلب النجاة؟[٤].

وما دامت قد أعيتنا الحيلة، فلنجرب الاسترشاد بشروح الباحثين، ومنهم أحد علماء الهند -محمد عبد السلام الرامبوري- حيث يصف (بوذا) بأنه استغرق في

---

(١) نفس المصدر السابق باختصار من ص١١٦ : ١٢٠ .

(٢) أبو فيض المنوفي: الدين والفلسفة والعلم ص٥١ .

(٣) د. أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى ص١٤٢ . وزعم بوذا أنه سمع صوتًا من داخله يقول بكل جلاء وقوة: نعم في الكون حق أيها الناسك، هنالك حق لا ريب فيه، جاهد نفسك اليوم حتى تناله.

(٤) اتفق الباحثون على صعوبة تفسير النرفانا لأن بوذا نفسه رفض شرحها بطريقة مفهومة كما يقول (ردها كرشنن) ويقرر أنه لا يجدى نفعًا أن نحاول فهمها، بل ربما كانت اللغات البشرية لا تستطيع شرح النرفانا (نفس المصدر ص١٦١).

التأمل فغاب عن نفسه، وعن كل ما حوله وانتقل من حال إلى حال وأخذ شعوره يتجلى رويداً رويداً فأشرق له الكون، وتجرد عقله من شوائب المادية ورأى العالم فى تقلباته ثم يمضى مستطرداً (وقد غلب اللاهوت وتنور اللاهوت، فذاق سروراً ما خطر بباله قبل، ووجد قوة ما استشعر بها قط، فأبصر ينابيع الحياة وأحاط بمنابع الآلام، واستوعب منابت البؤس، واكتشف مقاليد السرور، ورأى سبيلاً يهدى إلى تلاشى الأحزان وزهوق الآلام، فأدرك متمناه ونال مبتغاه وتخلص من تقلبات الحياة ونجا من حزازات الآلام، وتيقظ شعوره وتنورت بصيرته)[1].

تلك هى خلاصة الصورة البيانية لتجربة بوذا حيث يدور معظمها حول معانى مبهمة أقرب إلى الصور الخيالية منها إلى التعبير الدقيق عن الأحوال التى مر بها. وكل ما نستخلصه من شرح أحواله أنه تقلب من الآلام إلى السرور بعد أن غاب عن نفسه وعمن حوله، وأشرق له الكون حين تجرد عقله من شوائب المادية هذا، وقد بلغ من سيطرة فكرة النرفانا حداً جعلتها تختلط عند كثير من الباحثين بمفهوم التركيز الإبداعى بأوروبا وأمريكا. يقول الدكتور شاكر عبد الحميد بمقال بعنوان «عمليات التركيز الإبداعى فى الأدب والفن»: ولكن بقى أن نفهم المقصود (بالغناء) حيث تروى الأساطير أن رحلة الروح تصعد إلى (النرفانا) حيث العدم العام، وفناء النفس، الذى يفسره بعض فلاسفة البوذيين العصريين بأنه ليس الفناء المعروف (وإنما هو وجود يفنى فى وجود مثل فناء ألوان الطيف فى الشمس فى البياض الناصع الذى لا لون له.. ولا يتم الوصول إلى النرفانا إلا بعد صفاء النفس

---

(١) بحث فى ثقافة الهند (ديسمبر ١٩٥٢) نقلاً عن أديان الهند الكبرى ص١٦١.

(أما مفهوم التركيز الإبداعى فقد بدا وكأنه أهمل أو أشير إليه بطريق عابرة أو اختلط لدى عديد من الباحثين بمفهوم (التأمل المتعالى) أو (الصفاء الروحى أو النرفانا) الآتى من جنوب شرق آسيا، وقد انتشرت التدريبات الخاصة به فى الولايات المتحدة وأوربا فى العقد الثامن من هذا القرن (١٩٧٠–١٩٨٠) وتتكون من جلستين كل منهما من ١٥–٢٠ دقيقة يوضع الفرد فيها فى وضع مريح مغلق العينين ويركز على صوت أو فكرة معينة ويسمح لذهنه بالتعامل الحر معها، ويقال إن هذا يتيح للذهن أن يكون حراً فى أن يتحرك أكثر إلى المستويات الإبداعية من التفكير)

مثال: عمليات التركيز الإبداعى فى الأدب والفن: مجلة المنهل –العدد ٤٧٤ السنة ٥٦ المجلد ٥١ صفر سنة ١٤١٠ هـ/ سبتمبر سنة ١٩٨٩م. د. شاكر عبد الحميد سليمان آداب القاهرة.

والانفصال عن عالم الحس والواقع، ولا يمكن الوصول إلا بتعذيب النفس والعبادة الظاهرة)[١].

وحاصل البحث والتنقيب فى كل ما تقدم يدفعنا إلى الكف عن المضى فى التفسير والتحليل، مكتفين بقبول التصور العام للنرفانا كطريقة موصلة إلى معرفة الإشراقية بعد تخليص النفس من رغباتها.

إن هذا الإيضاح نجده بالتفصيل لدى الدكتور أحمد شلبى، حيث خلص إلى تقرير أن النرفانا مرت بمراحل تاريخية إذ كان مفهومها عند بوذا فى البداية الإندماج فى الله والفناء فيه، وعندما أنكر وجود إله، أصبح للنرفانا أحد معنيين:

١- أن يطهر الفرد نفسه بالقضاء على جميع رغباته وأغراضه لأن الأغراض الشخصية الباطلة تجعل الحياة دنيئة أو ذليلة.

٢- إنقاذ نفسه من تكرار المولد بالقضاء على الرغبات والتوقف عن عمل الخير والشر[٢].

... ولنقوِّم الآن النرفانا بميزان الإسلام[٣]:

النرفانا فى ميزان الإسلام:

• قبل المضى قدما فى عرض المذهب الأخلاقى للدين البوذى، نرى ضرورة تحليل موقف بوذا من النرفانا من وجهة النظر الإسلامية:

وتمهيداً لذلك نرى أولاً أنه من المحتمل أن بوذا أصيب بنوع من المرض النفسى أو العصبى نتيجة حياة الحرمان والتقشف والانقطاع عن الناس والحياة داخل الكهوف، فخيل إليه سماع ذلك الهاتف، وسيطر عليه، وملك نفسه وساعد على التمكن منه الضعف الجسمانى والاستهلاك العصبى الشديد.

أما تقويم ما حدث لبوذا فى تجربة النرفانا، فتتلخص فيما يلى:

---

(١) الديانات والعقائد فى مختلف العصور -أحمد عبد الغفور عطار ج١ ص١٢١.

(٢) أديان الهند الكبرى ص١٦١.

(٣) وسنقصر التعليق على الرواية المنقولة عن بوذا بأنه سمع صوتًا من داخله، ثم غالى بعض الباحثين الغربيين فاعتبروه وحيا -نفسه ص١٤٢.

أولاً: لو سلمنا بصحة سماعه لصوت هاتف فإننا نرجح أنه استمع إلى هاتف شيطاني[1]. وتفسيرنا يستند إلى الاعتقاد بأن الشيطان يتسلط على كل من يبعد عن ذكر الله تعالى وعبادته، حيث يذكر الإمام ابن القيم أن العبد إذا أصبح وأمسى والدنيا همه، حمله الله همومها وغمومها وأنكادها ووكله إلى نفسه، وهذا شأن كل من أعرض عن عبودية الله تعالى وطاعته ومحبته مستشهداً بقول الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ﴾ [الزخرف: ٣٦][2].

والذى لا يعرفه أتباع النحلة البوذية أن الإنسان يتلقى هاتفين: أحدهما من الشيطان والآخر من الملك. وما لم يستطع التمييز بينهما، فإنه سرعان ما يستأثر به الشيطان لنفسه ويزين له الباطل ويقوده حيث يريد. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (فالاعتقادات والإرادات الفاسدة تحصل بسبب شياطين الإنس والجن. والاعتقادات الصحيحة والإرادات المحمودة قد تحصل بسبب الملائكة وصالحى الإنس، فإن سماع الكلم قد يؤثر فى قلب المستمع. فالمتكلم فاعل فإن كان السامع قابلاً انتقش كلامه فى قلبه، وإن لم يكن قابلاً لهم ينتقش فيه)[3].

إنه يستند فى ذلك إلى قول سلف الأمة الإسلامية والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين (فإنهم يقولون: إن الشياطين توسوس فى نفوس بنى آدم كالعقائد الفاسدة والأمر باتباع الهوى، وأن الملائكة بالعكس إنما تقذف فى القلوب الصدق والعدل).

قال ابن مسعود (إن للملك لمة وللشيطان لمسة، فلمّة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق[4]. وفى الصحيح عن

---

(١) يقول ابن تيمية (فكل واحد من بنى آدم إما عابد للرحمن، وإما عابد للشيطان. قال تعالى: ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن..** ﴾ الآية. ص١٨٦ من كتاب دقائق التفسير جـ٢ تحقيق د. الجليند ط دار الأنصار بالقاهرة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٢) ابن القيم: الفوائد ص٧٧ الناشر: زكريا على يوسف –مطبعة العاصمة بالقاهرة بدون تاريخ.

(٣) الرد على المنطقيين ص٥٠٩ – المكتبة الإمدادية بمكة المكرمة ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م. ويذكر أن العاصم من الوقوع فى الزلل هو خبر الأنبياء عليهم السلام.

(٤) الرد على المنطقيين ص٥٠٦ وقد خرج محقق الكتاب الشيخ عبد الصمد شرف الدين، الحديثين على النحو التالى: الأول: رواه مسعد عن عطاء وابن السائب أبى الأحوص عن ابن مسعود موقوفا. ورواه الترمذى والنسائى وابن حبان، وابن أبى حاتم، عن ابن مسعود مرفوعا. والثانى: أخرجه مسلم فى كتاب وصفة القيامة والجنة والنار... وقوله «فاسلم» برفع الميم وفتحها فمن رفع قال معناه (أسلم أنا من شره =

النبى ﷺ أنه قال: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الملائكة ومن الجن. قالوا «وإياك يا رسول الله؟» قال: وإياى، إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم»- وفى لفظ: فلا يأمرنى إلا بخير»[١].

ثانيًا: لا تتحقق السعادة الكاملة فى الحياة الدنيوية، بل يستحيل النجاة من الأحزان فيها لأنها دار ابتلاء وامتحان، وأنها موضوعة على الكدر والمعاناة، فلا راحة فيها، فمن طلب فيها الراحة فإنه يبتغى من الدنيا (ما ليس فى طبيعتها ولا موجود فيها ولها)[٢].

ولكن لا يدفعنا هذا الاعتقاد إلى تبنى النظرة التشاؤمية الغالية التى تلقى بشباكها فقط على منابع الآلام ومنابت البؤس، فإن من يفعل ذلك كمن ينظر إلى الحياة الدنيوية بعين واحدة، فإن الدنيا لا تمضى على وتيرة واحدة، بل لابد فيها من اليسر والعسر، والخوف والطمأنينة، والراحة والتعب، والحزن والسرور، والفقر والغنى وهكذا دواليك، إذ ربما لا يسير نهر الحياة فى مجرى مستقيم يجتاز خطًا واحدًا، بل يتفرع وينساب هنا وهناك حسب طبيعة الأرض التى يجتازها مجراه، ولكن لا يمنعه ذلك من استمرار جريانه حتى يصل إلى مصبه.

إن البديل إذن مستمد من نظرة أوسع للحياة وللمصير، يغذيها إيمان لا يتزعزع بالحكمة الإلهية التى تقصر أفهامنا عن إدراكها لأول وهلة، وربما يأتينا الفهم بعد انقضاء الأحداث والوقائع التى نظن أنها -للوهلة الأولى- مؤلمة للنفس.

كذلك لا يتحقق التكيف النفسى المؤدى إلى انشراح الصدر إلا بالاقتناع بحقيقة الابتلاء فى الدنيا، ومن ثم فإن المسلم يكيف حياته وفق هذا القالب، ويصحح نظرته ويعد لها أولاً بأول إذا ما مر بتجارب مؤلمة، أو عانى من الإخفاق فى نيل بعض أغراضه ومقاصده.

وها هو ابن الجوزى (٥٩٧هـ) يضع الصياغة الملائمة للموقف الصحيح المؤدى

= وفتنته) ومن فتح قال (إن القرين أسلم من الإسلام)، وصار مؤمنا لا يأمرنى إلا بخير- النووى.

(١) رواه الترمذى فى «أبواب التفسير» فى تفسير سورة البقرة عن عبد الله بن مسعود وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهانى ص٣٩، سلسلة الثقافة الإسلامية- ذو القعدة ١٣٨٠ هـ/ أبريل ١٩٦١م.

إلى تقبل آلام الحياة عن اقتناع بمبادئ خمسة هي

١- إن طلبت النفس أغراضها ولم تصبر على الحرمان، فإن ذلك ينافى طبيعة الدنيا كدار ابتلاء واختبار (وهل الابتلاء إلا الإعراض وعكس المقاصد)؟

٢- إن النفس مملوكة لخالقها عز وجل وواجبها أداء حقه، ولا يجب على المالك تبليغها ما تهوى.

٣- تقف المعاصى عقبة فى طريق إجابة الدعاء وتحقيق الرغبات، بينما سبب الراحة التقوى ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾ ... [الطلاق : ٢، ٣].

٤- ربما تطلب النفس ما لا تعلم عاقبته وربما كان فيه ضررها، والمدبر لها- عز وجل- أعلم بالمصالح ﴿ **وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ [البقرة : ٢١٦].

٥- إن المطلوب ينقص الأجر ويحط من المرتبة، فالأولى طلب ما يصلح الآخرة[١].

ثالثًا : إذا حاول الإنسان التحليق بروحه فى الآفاق ظنا أنه يتخلص من دوافع النفس، وهواتف الغرائز، فكأنما يبحث عن المحال، اللهم إلا إذا توهم (الفناء). أى العدم -أمرًا ممكن التحقيق.

فإذا علمنا أن الموت نفسه ليس فناءً، بل هو نقله من حياة الدنيا إلى الحياة البرزخية، فكيف نتصور أو نصدق تجربة بوذا التى هى أقرب إلى الوهم والخيال منها إلى الحقيقة والواقع؟ دعك من اتخاذها دينًا يدين به الملايين، ويحقق التساؤل أيضًا ها هنا : (وكيف تكون الآراء والخيالات وسوانح الأفكار دينا يدان به؟)[٢].

النرفانا وأثرها عند الصوفية:

وكانت للنرفانا بتجربتها النفسية والأخلاقية بريق خاص فى دائر الصوفية كما كان لفكرة (الفناء) عند الهندوس صداها أيضًا كما قلنا من قبل :

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزى ص٢٤٤-٢٤٥ بتصرف -تحقيق عبد القادر عطا- مكتبة الكليات الأزهرية بمصر ١٩٧٩م

(٢) الفوائد . لابن القيم ص٩٨

إن الحديث عن النرفانا كطريقة للمعرفة تثير لدينا قضية تسللها إلى الصوفية إذ دار النقاش بينهم وبين المتكلمين، لأن الصوفية تبنوا المنهج القريب من النرفانا، فمنهم من رأى أن (صاحب) الرياضة قد يسمع كلام الله كما سمعه موسى بن عمران عليه السلام)(١)، ويقصدون بالرياضة تصفية القلب والتقرب إلى الله تعالى بالنوافل والإكثار من العبادات كالصلاة والصوم ومداومة الذكر.

ومثال ذلك ما رواه ابن الجوزى، قال :

(فرأيت أبا حامد الطوسى يحكى عن نفسه فى بعض مصنفاته قال : شاورت متبوعًا مقدمًا فى الصوفية فى المواظبة على تلاوة القرآن فمنعنى منه، وقال : السبيل أن تقطع علائقك من الدنيا بالكلية، بحيث لا يلتفت قلبك إلى أهل وولد ومال وعلم، بل تصير إلى حالة يستوى عندك وجود ذلك وعدمه، ثم تخلو بنفسك فى زاوية، فتقتصر من العبادة على الفرائض والرواتب، وتجلس فارغ القلب، ولا تزال تقول : الله الله إلى أن تنتهى إلى حالة لو تُرِكَ تحريك اللسان رأيت كأن الكلمة جارية على لسانك، ثم تنتظر ما يفتح عليك مما فتح مثله على الأنبياء والأولياء)(٢).

وعارضهم المتكلمون أصحاب المنهج العقلى، ونفوا دور الرياضة وتصفية القلب فى نيل العلم.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية حاسمًا للنقاش بين الطرفين عندما أوضح-بناء على تفسيره للآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن (التقوى وتصفية القلب من أعظم الأسباب لنيل العلم)(٣).

ويؤيد من جانب ما يأمر به كثير من أرباب العبادة والتصوف بملازمة الذكر يلتمسون الوصول إلى الحق، فإن هذا حسن إذا ضموا إليه تدبر القرآن والسنة واتباع ذلك(٤).

---

(١) الرد على المنطقيين لابن تيمية ص٥١١.

(٢) صيد الخاطر ص٤٢٠ تحقيق عبد القادر عطا -مكتبة الكليات الأزهرية بمصر ١٩٧٩م.

(٣) المرجع نفسه ص٥١١.

(٤) نقض المنطق ص٣٥ -ونذكر هنا أيضًا عبارته الثانية عن الفناء المحمود وهو عنده يعنى (تحقيق الحنيفية وهو إخلاص الدين لله، وهو أن يفنى بعبادته عن عبادة من سواه، وبمحبته عن محبة ما سواه، وبطاعته =

ولكنه فى الوقت نفسه يحدد الشرط العاصم للإنسان من الزلل والخطأ –حتى لا يقع فيه المفتونون بتجربة «النرفانا»–، حيث يقيد ذلك بقيد ضرورى محكم لابد منه فى طلب المعارف الإلهية وحقائق عالم الغيب، لكى يوازن بين الصواب والخطأ، فيقرر أنه (لا يستغنى أحد عن معرفة الغيب عما جاء به الرسول ﷺ، فما وافق كشف الإنسان وقياسه وافقه، وما لم يكن كذلك خالفه لأن الإنسان معرض بعد تصفية نفسه أن يلقى الشيطان فى نفسه أشياء، فإن لم يعتصم بالذكر المنزل وإلا اقترن به الشيطان، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ﴾ [الزخرف: ٣٦]، وقوله: ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ** ﴾ [طه: ٢٣][(١)].

ويلاحظ أن النقاش لم يتوقف عند هذا الحد، فقد كانت للصوفية صولات وجولات حول (النرفانا) أو (الإشراق)، يلاحظ ذلك بوضوح بالقارة الهندية حتى العصر الحديث، حيث نجد الإمام أحمد السرهندى (١٠٣٤ هـ/١٦٢٦م) المشهور فى الهند بمجدد الألف الثانى –يحدد موقفه وموقف الإمام الدهلوى بقوله:

(بأنهما كانا فى مقام استولت عليهما فكرة وحدة الوجود، وكانت هذه النظرية تبدو لهما مؤيدة بالمقدمات الكشفية والدلائل اليقينية، ولكنه أدركهما التوفيق الإلهى فسما بهما إلى مقام أسمى من هذا المقام رجعا عنها)[(٢)].

والذى يشد انتباهنا متابعة تلميذه الشيخ عبد الباقى الدهلوى له أيضاً ويتضح ذلك من رده على سؤال خلاصته الاستفسار عن إمكان العقل بعد التزكية والتصفية الاقتراب من الله تعالى من غير حاجة إلى نبى يبعث ويتلقى الوحى بواسطة الملك.

وكانت إجابته عن السؤال متضمنة نفس الرأى الذى انتهى إليه ابن تيمية مما يدل على استقلال المنهج الإسلامي فى المعرفة بذاتيته الخاصة وتحذير علماء السنة الدائم من الجرى وراء المناهج تقليداً ومتابعة هنا وهناك.

= طاعة ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه، وبالحب فيه والبغض فيه عن الحب فيما سواه والبغض فيه، فلا يكون لمخلوق من المخلوقين – لا لنفسه ولا لغير نفسه – على قلبه شركة مع الله تعالى). ص٥١٧.

(١) الرد على المنطقيين ص٥١١ ويذكر أيضاً أن المعرفة لابد لها من شرطين: أحدهما قدرة العبد، ثم السبب الآخر: كالقوة فى السهم والقبول فى المحل، ولا ريب أن النظر هو السبب فإن كان ذلك فى دليل هاد –كالقرآن – تضمن ذلك النظر العلم والهدى (نقض المنطق ص٣١: ٣٢).

(٢) أبو الحسن الندوى: بين الدين والمدنية ص٣٣: ٣٤ مؤسسة الرسالة –بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

وبذلك أوصد الشيخ عبد الباقى الباب أمام كل صوفى يحاول اتباع طريقة الكشف المستوحى من (النرفانا)، قال:

(مهما اقترب العقل واتصل بالله تعالى إلا أن علاقته بهذا الجسم المادى لا تزول بتاتًا ولا يستطيع أن يتجرد عنه تمامًا، فلابد من حدوث الأوهام والشبهات بصفة دائمة، ولا تفارقه القوة المتخيلة والشهوانية والغضبية بأى حال، وكذلك رذائل الطمع والشره ترافقه بصفة مستمرة، أضف إلى ذلك صفات السهو والنسيان والخطأ التى هى من لوازم النوع البشرى لا تنفك عنه أبدًا.

ولذلك فإن العقل ليس موضع ثقة فى قضية الأحكام الإلهية (إذا تلقاها لم تكن بنجوة عن موضع الشك والارتياب، ولا تفارقه شائبة النسيان ومظنة الخطأ بخلاف الملك الذى هو مصون عن جميع هذه الصفات البشرية، وبعيد عن هذه الرذائل، فلابد من أن يكون محفوظًا عن كل شائبة من شوائب الوهم والخطأ والنسيان[1].

انتهينا إذن من عرض النرفانا كطريقة للمعرفة والإشراق عند بوذا وصداها عند الصوفية، وسنبحث الآن فى البوذية كمذهب أخلاقى، ومنهج إصلاحى اجتماعى.

المذهب الأخلاقى فى البوذية:

إن السمات الأخلاقية بارزة أمام دارسى البوذية، بما تشتمل عليه من الحث على الفضائل واجتناب الرذائل.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: (الجزء الخصب فى البوذية هو مذهبها فى الأخلاق وإصلاح المجتمع وتخفيف ما فيه من شقاء)[2].

كذلك فإن بوذا أدرك –كشأن أصحاب الدعوات الذين يريدون نشرها بين الناس –دور الدعاة فى نشر دعوته، فاعتنى بتربيتهم لاكتساب الخصال النفسية والفضائل الأخلاقية اللازمة لأداء رسالتهم على أحسن وجه، فأخذ يربيهم على الصبر واحتمال أذى المعارضين والخصوم، كما سنرى بعد قليل، وإن لاحظنا أن التربية اقتصرت على طرق المعاملة والتفاهم –أى الوسائل دون الغايات –فلم نعد

---

(١) المرجع نفسه ص٣٥: ٣٦.

(٢) الديانات القديمة ص٧١.

التربية بالعقائد في الأوقات المصيبة، كما تحدد الغايات بوعدها للطائعين بالثواب ويتوعدها للعصاة بالعقاب.

ومهما يكن من أمر، فإن الروايات المنقولة عن بوذا تمضى فتذكر أنه تردد في أول أمره بين أن ينعم وحده بالمعرفة التي نالها، أو أن يبشر به وينشره ثم استقر رأيه على دعوة الناس إليه بعد أن تغلب الخير على نفسه.

وبعد ذلك جمع عدداً من الشبان بلغ تعدادهم الستين، وأخذ يعلمهم مبادئه ويلقنهم دعوته فاشتهرت دعوته بتسميتها (بالنظام) أو (عجلة الشريعة).

وهناك نموذج من اختيار أعوانه أو مريديه بعد تربيتهم، يعبر عن مدى التصميم على الدعوة والاستعداد لتقبل التضحية مهما كانت الصعاب[1].

كان هذا المريد (ويسمى بودنا) يريد الذهاب إلى إحدى القبائل المعروفة بالشراسة والخشونة، فأراد بوذا اختبار مدى قدرته على التحمل، فقال له: إن رجال هذه القبيلة قساة سريعو الغضب فإذا وجهوا إليك ألفاظاً بذيئة خشنة ثم غضبوا عليك وسبوك فماذا كنت فاعلاً؟ فأجاب بودنا: أقول: لا شك أن هؤلاء قوم طيبون، لينو العريكة، لأنهم لم يضربوني بأيديهم، ولم يرجموني بالحجارة.

– فإن ضربوك بأيديهم ورجموك بالحجارة، فماذا كنت قائلاً:

– أقول إنهم طيبون لينون إذ لم يضربوني بالعصى ولا بالسيوف.

– فإن ضربوك بالعصى والسيوف؟

– أقول إنهم طيبون لينون إذ لم يحرموني الحياة نهائياً.

– فإن حرموك الحياة؟

– أقول إنهم طيبون لينون إذ خلصوا روحى من سجن هذا الجسد السيئ بلا كبير ألم.

فيُعجب به بوذا ويطلب منه الذهاب إلى تلك القبيلة موجهاً إياه بالوصية التالية: (وكما تخلصت فخلصهم، وكما وصلت إلى الساحل فأوصلهم معك

---

(١) باختصار، من كتاب ديانات الهند الكبرى ص١٤٦ :١٤٧– للدكتور أحمد شلبى.

وكما تعزيت فعزهم، وكما وصلت إلى مقام النيرفانا الكاملة فأوصلهم إليها مثلك)(١).

وعلى أية حال، فإذا مرت بنا بعض الصعوبات فى تحليل تجربة النرفانا لغموضها، فربما استطعنا أن نتقدم خطوة جديدة لفهمها عن طريق تحليل المذهب الأخلاقى للبوذية وشرح الطريق الذى خطه للقضاء على الآلام، وتحقيق المسرات، لأن المذهب نفسه منبثق من النرفانا.

الفضائل الأخلاقية وطرق اكتسابها:

تتدرج عناصر المذهب الأخلاقى حيث تبدأ بالنص على أركان أربعة، ثم تتلوها خطوات السير الحثيث فى ثمانى شعب:

أما الأركان الأربعة فهى:

١- الاعتراف بوجود الألم والشقاء.

٢- التسليم بوجود سبب للألم والشقاء.

٣- التصميم بإمكان إزالة هذا السبب.

٤- وجود السبيل لتحقيق إمكان هذه الإزالة.

وتتلخص سبل إزالة الألم فى (قتل الشهوة التى تربطنا بملذات الجسد وتدفعنا لطلبها، مع أن ما نطلبه يزول ويتغير، وكل ما يزول ويتغير ألم وشقاء، ولا نجاة ولا خلاص إلا بأن ننبذ ما تريده الشهوة، وفى ذلك قتلها، وفى قتلها النجاة والخلاص)(٢).

لهذا كان عماد بوذا فى مذهبه الأخلاقى أن يجاهد الشخص الشهوات ويروض إرادته على الصبر على الحرمان من اللذات، ويتحقق ذلك بسلوك الجادة المستقيمة بتقييد حياته بثمانية أمور هى:

١- الاتجاه الصحيح المستقيم إلى ما يريده اتجاهاً خالياً من كل سلطان للشهوة واللذات وما تبعثه من أمانى.

---

(١) دائرة المعارف لفريد وجدى ج٢ ص٣٨٩ : ٣٩٠ نقلاً عن ديانات الهند الكبرى ص١٤٧ :١٤٨.

(٢) الديانات والعقائد فى مختلف العصور ص١٢٧، أحمد عبد الغفور عطار.

٢- الإشراق الصحيح المستقيم، ذلك بأنه عندما يتجه الاتجاه الصحيح المستقيم، بناء على الأمر الأول، وتعتريه نورانية تجعله يستطيع الوصول إلى حقائق الأشياء.

٣- التفكير الصحيح المستقيم، وذلك أن العقل عند خلوه من شوائب اللذة أصبح تفكيره مستقيمًا لا تؤثر فيه نزعة هوى ولا جموع شهوة.

٤- ويترتب على الخطوات الثلاث السابقة أمر رابع وهو اطمئنان العقل والقلب إلى الاعتقاد الصحيح الذى يطمئن له القلب.

٥- يأتى بعد ذلك نطق الإنسان وأقواله مطابقة تمامًا لاعتقاده ولما ارتاح إليه.

٦- يصبح السلوك مستقيمًا فيكون العمل مطابقًا للعلم لا مجافاة بينهما.

٧- تتحقق بعد ذلك الحياة الصحيحة وقوامها هجر اللذات هجرًا تامًا ولا تشذ عن السلوك القويم.

٨- ويتوج ذلك كله المثابرة على بذل جهود الإنسان كلها فى سبيل أن تكون الحياة مستقيمة(١).

وهنالك أيضًا الوصايا العشر التى تشكل آدابًا عامة صالحة وهى:

١- لا تزهق روح أحد.

٢- لا تكذب.

٣- لا تزن.

٤- لا تأخذ مالاً محرمًا.

٥- لا تتناول مسكرًا.

٦- لا تأكل طعامًا غير ناضج.

٧- لا تشهد حفل رقص وغناء.

٨- لا تتزين ولا تستعمل عطرًا.

---

(١) الديانات القديمة: محمد أبو زهرة من ص٧٢: ٧٤، باختصار.

٩- لا تتخذ أى فراش وثير.

١٠- لا تقبل من أحد ذهبًا أو فضة(١).

وقبل تناول المذهب الأخلاقى بالتحليل والنقد التفصيلى، نلاحظ على عموم المذهب خلو الخطوات الثمانى من تحديد أو تعريف للصحيح، فكيف تتحدد الصحة؟، وما مقدارها وحدّها؟ فإن الناس قد يختلفون فى الاتفاق على الصحيح.

كذلك لا نجد ما يقابل الثواب أو العقاب لمن يطيع أو يخالف الوصايا العشر فكيف نلزم الناس على اتباعها؟

نترك الإجابة على هذه الاسئلة الآن، مكتفين بتأمل توجيهاته لاتباعه المنحصرة فى (الألم)، إنه يقول لهم: (أيها المريدون لا تفكروا كما يفكر الناس بل فكروا هكذا: هذا ألم، هذا مصدر الألم، هذا إعدام الألم، هذا سبيل إعدام الألم)(٢).

ومما يلفت النظر كما أشرنا إلى ذلك من قبل اقتصاره على توجيه أتباعه إلى الآلام والإلحاح عليها والدوران حولها بشكل يورث التشاؤم، ويصبغ النفس بالكآبة حيث يصبح فى مستقرها الآلام، وتدور فى داخلها معركة التخلص منها بحيث يظل شغلها الشاغل.

وربما يؤدى استمرار هذه الحالة الا يتخلص المرء من الألم، بل ربما ازداد، لأن المثابرة على ذلك تجمع وتعمق الإحساس بالألم أكثر وأكثر، إن التفكير بهذه الطريقة، والاقتصار على متابعة الألم وحده تجعل الإنسان وكانه يغرق فى دوامة من دوامات البحر فتغوص بالسابح ولا تترك له فرصة الطفو على السطح لأنها لا تقدم له طوق النجاة.

وطوق النجاة فى رأينا هو النصح بالتوازن فى رؤية الحياة، لأن رؤية الألم وحده لا تعبر عن واقعية الخبرات الإنسانية التى تمر بها ألوان من السرور لا ينكرها أحد: فإن الحياة -بالرغم من آلامها- تكتنفها ألوان من السرور والبهجة أيضًا متعددة المصادر: كالصحة والمال والأهل والأولاد والتمتع بالنعم التى لا تحصى من مآكل ومشارب وملابس، بل هناك أيضًا مصادر للسرور والبهجة عيرها، تتمثل فى رؤية

(١) المرجع نفسه ص٧٦ وانظر الديانات والعقائد فى مختلف العصور ص١٢٧ ـأحمد عبد الغفور عطار

(٢) ديانات الهند الكبرى ص١٦٧ :١٦٨

آيات الله تعالى فى الكون والمخلوقات من حوله على الأرض فى رؤية البحار والأنهار والشمس والقمر والنجوم وغيرها من آيات الجمال التى تبهج النفس وتحبب لها الحياة.

وكان الإمام ابن حزم أكثر توفيقًا وواقعية بما اقترحه لنا من علاج نداوى به آلام الحياة، ويرجع توفيقه إلى الانطلاق أولاً من عقيدة إيمانية راسخة، ثم رؤية للحياة أشمل ثانيا تتسع لحياة الدنيا والآخرة، فأرشدنا إلى (كل ما يعصم من الدنيا من جميع المخاوف والمكاره، ونخلص فى الأخرى من كل هول ومضيق)(١).

ويخبرنا ابن حزم فى المقدمة عن خلاصة تجاربه التى كان يراقب خلالها أحوال الناس بغية العثور على غرض واحد يجمعون على استحسانه والسعى إليه فعثر على غرض واحد سماه (طرد الهم) أى الحزن(٢)– أو القلق بلغة عصرنا –فإن الناس فى رأيه لا يسعون فى تحقيق أهدافهم من الأكل والشرب واللبس والأسفار والزواج واللعب وغيرها، إلا ليطردوا عن أنفسهم أضداد هذه الأفعال، ومع ذلك فإنها قد لا تتحقق بسبب عوارض كثيرة تعترضها كالعجز وظهور الآفات والخوف من التنافس وطعن الحساد وغيرها من العقبات التى تحول دون تحقيق الأغراض، وفى الوقت نفسه لم يجد عملاً سالمًا من كل عيب خالصًا من كل كدر، موصلاً إلى طرد الهم على الحقيقة إلا العمل لله تعالى لأن العامل للآخرة (إن امتحن بمكروه فى تلك السبيل لم يهتم بل يسر إذ رجاؤه فى عاقبة ما ينال به عون له على ما يطلب وزايد فى الغرض الذى إياه يقصد)(٣).

فأين ذلك من آراء بوذا؟...

إننا إذا أفضنا فى الشرح والمقارنة فلكى تصبح أحكامنا أدنى إلى الصحة بدلاً من الفتنة ببوذا وآرائه التى دفعت بأحد الباحثين إلى القول بأنه نبى، وهو ما لا يمكن تقديم الدليل عليه، بل إن صحت روايات إنكاره الألوهية تجعله أحد

---

(١) (كتاب الأخلاق والسير) فى (مداواة النفوس) المقدمة، تحقيق أحمد عمر المحمصانى –مطبعة السعادة بمصر.

(٢) يفسر الأصفهانى الهم بأنه (الحزن الذى يذيب الإنسان) المفردات ص٥٤٥.

(٣) ص١٢ –الأخلاق والسير فى مداواة النفوس.

الملاحدة[1] وأمام هذه الفتنة نرى ضرورة وضع الأخلاق البوذية فى مكانها الصحيح بعد النقد والمقارنة، إذ لا نستطيع الإغضاء عن أثر المديح الذى يملأ الكتب فى نفوس القراء ما لم يتسلحوا بالمعارف الصحيحة.

مآخذنا على المذهب البوذى فى الأخلاق:

١- من الناحية النظرية:

عندما اطلعنا على المذهب بدا فى ظاهره لامعًا جذابًا لاحتوائه على إرشادات قويمة فى شعبه الثمانى تتصل بمحاربة أهواء النفس ورغباتها فى اجتناب اللذات -إذا قصد بها اللذات المحرمة وحدها- لأن الاستغراق فى اللذات يورث الآلام، فضلاً عن الوصايا العشر الإيجابية، وتقابلها الرذائل المنهى عن الاتصاف بها.

كل ذلك حسن، ويبدو فى مظهره أنيقًا أخاذًا، ولكن إذا دققنا النظر فيه وكانت لدينا فكرة عن النظم الأخلاقية المتكاملة، وجدنا المذهب البوذى يتهاوى ويتساقط أمامنا، وهاكم نتائج تأملنا المدقق للمذهب البوذى:

(أ) تنقصه الفضائل المتنوعة بتنوع الحياة الإنسانية فى علاقتها المتشعبة كالفضائل فى العلاقات الاجتماعية، والفضائل العامة والعلاقات الدولية وأيضًا فى مجال الفضيلة الشخصية نفسها، كمبدأ (النية) باعتبارها لب العمل الأخلاقى[2].

(ب) تنقصه أيضًا ما يسمى فى علم الأخلاق بعناصر الإلزام (أو وسائل الردع)، وهى التى تلزم الناس بسلوك الطريق القويم، وتردع المنحرفين الخارجين عنها.

(جـ) ويخلو المذهب أيضًا من العقيدة التى لولاها لما استطعنا إقامة بناء أخلاقى متكامل، فقد رأينا بوذا أميل إلى إنكار الإله، وكان يتحاشى كل ما يتصل ببحث ما وراء الطبيعة (أو عالم الغيب)، فإنه جعل كل همه صرف أتباعه عن البحث فى هذه القضايا، وحثهم على الخوض فقط فى أعمالهم ودواعيها وميولهم وعواطفهم[3].

---

(١) تنظر الدراسة التى أجراها الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار بكتابه (الديانات والعقائد فى مختلف العصور) ص١٣٦ :١٣٧ وما بعدها حيث ناقش الدكتور محمد توفيق صدقى صاحب كتاب (الصلب والفداء) الذى سجل فيه هذا الرأى.

(٢) انظر الدراسة المستفيضة للدكتور محمد عبد الله دراز بكتابه (مدخل إلى القرآن الكريم ص١٠٥ وما بعدها.

(٣) أديان الهند الكبرى ص١٦٧ :١٦٨.

ونحن نرى فى ذلك هروبًا من مواجهة الإجابات عن الأسئلة المنبعثة من بواعث النفس السوية، فضلاً عن ضرورة العقيدة فى أى مذهب أخلاقى فهنالك من ألوان السلوك ما يكون الدافع إليها بعيداً عن تحقيق أى نفع عاجل، ويتضح ذلك فى عقيدة الإسلام خاصة -كعقد النية والإخلاص فى العمل ابتغاء مرضاة الله تعالى، وأملاً فى ثوابه، إلى جانب الترهيب من عقابه عز وجل.

وسيتجلى ذلك بصورة أوضح وأشمل إذا ما عرضنا للسمات الأخلاقية فى الإسلام بعد أن نستكمل نقدنا للمذهب البوذى لتعذر تنفيذه كمنهج للحياة اليومية.

٢- المنهج البوذى والتطبيق العملى فى حياتنا اليومية:

والآن، نأتى إلى مرحلة التجريب، فنحاول تنفيذ المنهج البوذى لإصلاح الأخلاق، فماذا نفعل لنحقق السعادة المنشودة ونتخلص من الآلام؟

إذا بدأنا فى التنفيذ، فإن أول ما نلاحظه أن الطريقة البوذية أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع، حيث تجمع بصورة تكاد تتشابه بين الاتجاه والإشراق والتفكير والاعتقاد، وكلها ذات صبغة تأملية نظرية، يختلط فيها الإدراك بالخيال، فلا نقف أولاً على حدود مميزة تعرفنا كيفية اجتياز مرحلة الاتجاه إلى مرحلة الإشراق ثم التفكير فالسلوك... إلخ.

هذا، بينما يبدو من الأمور الثمانية التى يتقيد بها الشخص فى شئون الحياة أنها على شكل مراحل متدرجة.

وإذا ما توقفنا لإعادة النظر ومحاولة التطبيق العملى مرة أخرى، اتضح لنا أن هذا المران العقلى التأملى المتخيل عند بوذا يفترض إنساناً آليًا يسير على قضبان كالقاطرة، وينتقل تلقائيًا من محطة إلى أخرى، ويقطع مسافة ما، لينتقل إلى غيرها، فلا ينحرف يميناً أو يساراً بحكم طبيعة الخط الحديدى الذى يحكم حركته.

وإذا سلمنا جدلاً بإمكان نجاح البعض جزئيًا فى رياضة إرادته على النحو الذى اقترحه بوذا، فلا يصلح تعميم الحكم على صنوف البشر جميعًا، أى إذا صلح هذا البرنامج فى مرحلة عمر الإنسان المتأخرة وبواسطة الرجال الحكماء الذين يغلبون

صوت العقل وتضعف شهواتهم وانفعالاتهم، فلا يصلح لمرحلة الشباب المتسمة بالحيوية والنشاط المليئة بالآمال والطموحات.

وإذا ناسب المشتغلين بالفكر والأدب والعلوم فإنه لا يناسب العاملين فى حقول الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من الأنشطة الإنسانية التى تستنفد جهود أصحابها ولا تترك لهم وقتًا للتأمل النظرى البحت إلا فيما ندر!

أما إذا أريد للإنسان أن يتجه دائمًا (الاتجاه الصحيح) فلابد من توافقه مع فطرته السوية التى خلق بها، لأن حرمان النفس من اللذائذ المباحة يمنعها من الاستمرار فى الاتجاه الصحيح والحياة الصحيحة أيضًا.

ونحن نملك البديل الإسلامى الكفيل بالمضى قدمًا فى الاتجاه الصحيح -أى عبادة الله تعالى فى أعمال الإنسان وسلوكياته أثناء اجتيازه للحياة الدنيا -كما سبق الإشارة عند حديثنا عن مفهوم (العبادة) الواسع.

لا يصلح إذن المنهج البوذى للتقويم الأخلاقى أو تدعيم النفس (المطمئنة)، ولكن الذى يصلح منهج آخر (مفصل) بحكمة بالغة على تركيبة الإنسان الروحية والجسدية، وملائم لأنشطته وحركاته، ويمده بالذخيرة الإيمانية لمواصلة حياته مهما كانت طبيعتها. يقوال الدكتور محمد عثمان نجاتى (وقد اتبع القرآن فى تربيته لشخصيات الناس وفى تغيير سلوك العمل والممارسة الفعلية للأفكار والعادات السلوكية الجديدة التى يريد أن يغرسها فى نفوسهم. ولذلك فرض الله سبحانه وتعالى العبادات المختلفة: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج. إن القيام بهذه العبادات فى أوقات معينة بانتظام يعلم المؤمن الطاعة لله تعالى، والامتثال لأوامره، والتوجه الدائم إليه فى عبودية تامة، كما يعلمه الصبر، وتحمل المشاق، ومجاهدة النفس والتحكم فى أهوائها وشهواتها)(1).

نبذة عن السمات الأخلاقية فى الإسلام:

يطول بنا الحديث لو استقصينا السمات الأخلاقية فى الإسلام، ويكفينا عرض بعض الملامح، ثم نترك للقارئ حرية الموازنة مع الأخلاق البوذية، التى تبدو حينذاك كقطرات فى مياه المحيط.

---

(1) القرآن وعلم النفس ص255 ط دار الشروق 1402 هـ- 1982م.

ومن هذه السمات :

أولاً : أن الشريعة الإسلامية نفسها، بأوامرها، ونواهيها تصطبغ بالصبغة الأخلاقية. يقول الأصفهاني : (ومكارم الشريعة هى الحكمة والقيام بالعدالة بين الناس والحلم والإحسان والفضل، والقصد منها أن تبلغ إلى جنة المأوى وجوار رب العزة تعالى)[1].

والشريعة فى هذا المجال لها دوران :

(أ) دور الردع والإلزام كما يرى ابن حزم حيث تكف الناس عن القتل الذى فيه فناء الخلق، وعن الزنا الذى فيه فساد النسل وخراب المواريث، وعن الظلم الذى فيه الضرر على الأنفس والأموال وخراب الأرض، وعن الرذائل من البغى والحسد والكذب والجبن والبخل والنميمة والغش والخيانة وسائر الرذائل[2].

(ب) دور الحث على الانصاف بمكارم الأخلاق كقول الله تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى** ﴾، وقوله تعالى : ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ...** ﴾ إلى انقضاء تلك الخصال [فى صورة الانعام : ١٥١ وما بعدها]. .

والآيات كثيرة فى هذا الغرض حيث تحقق الأخلاق الفاضلة بحيث تجعلنا نؤيد الرأى القائل بأن (الشريعة إنما هى تخلق بمكارم الأخلاق)[3].

ثانياً : تنوع الفضائل بتنوع شعب الحياة الإنسانية :

(أ) ففى مجال الفضيلة الشخصية -يكشف لنا الدكتور دراز عن مبدأ جديد لم تقره الشرائع من قبل -ألا وهو مبدأ (النية) باعتبارها لب العمل الأخلاقى. فقد كان موسى عليه السلام يغرى قومه بأرض الميعاد، والرخاء فى الحياة الدنيا والنصر على أعدائهم ويظهر من دعوة عيسى عليه السلام، طلب الانصراف

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص٩١، تحقيق د. أبو اليزيد العجمى -ط دار الوفاء ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م.

(٢) الفصل فى الملل والنحل جـ١ ص٧٩ : ٨٠ صبيح ١٣٤٧هـ.

(٣) تفسير القاسمى (محاسن التأويل) ج١ ص٩٠ تصحيح محمد فؤاد عبد الباقى -عيسى البابى الحلبى ١٣٧٦ هـ/١٩٥٧م.

عن الحياة الدنيا لأن السعادة لا تتحقق فيها، ولكن فى ملكوت السماء[1].

ويجمع القرآن الكريم بين هذين الوعدين، لا كباعث أخلاقى وإنما باعتبار أن الغاية التى يقصدها الإنسان الفاضل أعلى من هذا كله (إنه فى الخير المطلق، أى فى ابتغاء وجه الله تعالى الذى يجب استحضاره فى القلب عند أداء العمل الإنسانى بتنفيذ أوامره)[2].

(ب) الفضيلة فى العلاقات بين الأفراد: وتتضح من الآيات القرآنية العديدة التى أتت بتقنين عالٍ فى الأدب والذوق الاجتماعى. ومن هذا الآيات قوله تعالى: **﴿وإذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾** [النساء: ٨٦] **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾** [الحجرات: ١٢][3].

(جـ) الفضائل الجماعية والفضائل العامة: يعلمنا القرآن أنه توجد خارج الأخوة فى الله تعالى الأخوة فى آدم عليه السلام قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** [الحجرات: ١٣].

وقال عز وجل: **﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** [الممتحنة: ٨٨].

وفى الوقت نفسه ينبغى إعداد القوة الكافية لقمع العدو والقضاء عليه، وقد قال تعالى فى هذا الأصل: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾** [الأنفال: ٦٠]، وأمر بالحذر والتحرز من مكائد العدو وانتهازه الفرص فقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾** [النساء: ٧١]، وقال: **﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾** [النساء: ١٠٢][4].

أما داخل الجماعة الإسلامية فإن القرآن الحكيم يحدد مبدأين:

---

(١) د. محمد عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن ص١٠٥.

(٢) المرجع نفسه ص١٠٦.

(٣) وينظر أيضاً آية ٢٢ سورة النور وآية ٥٩ سورة الأحزاب.

(٤) الإسلام دين كامل، محمد الأمين الشنقيطى ص٢٢-٢٣ مكتبة ابن تيمية -الجيزة.

أحدهما: دعوة المؤمنين ليكونوا جماعة واحدة متماسكة ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والثاني: مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠] ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً** ﴾ [الأنفال: ٢٥] ﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ [العصر: ٣].

(د) الفضيلة في المعاملات الدولية وبين الأديان: لم تتح للديانتين اليهودية والمسيحية إقامة علاقات مع دول معادية ولكن الوضع اختلف في عصر النبي ﷺ، حيث أصبح أسوة في مجال الأخلاق، وقائداً في مجال السياسة أيضاً.

ونورد بعض المبادئ التي وضعها القرآن -بالإضافة إلى ماسبق- في الحرب الشرعية لدفع العدوان ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا** ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ثم تتوقف الحرب عند انتهائها ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [الأنفال: ٦١]، والأمر باحترام العهود والمواثيق في العلاقات الدولية ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا** ﴾ [النحل: ٩١].

لقد اقتضت مهمة الرسول ﷺ كسياسي وقائد، تشريعاً أخلاقياً لظروف الحرب والسلم، كما تبين لنا هذه الآيات وغيرها، إلى جانب القواعد التي حددتها السنة(١).

ثالثاً: جاءت طرق الإلزام في القرآن الكريم متنوعة كاملة، ففي الدراسة التي أجراها الشيخ نديم الجسر في هذا الصدد، بين طرق الإلزام التي فصلها القرآن الحكيم وشعبها، كما أوضح الكبائر والصغائر والأخلاق والآداب، مفصلاً أبواب الترهيب والترغيب، متبعاً طرق التربية الأخلاقية التي تهذب النفس وتقومها.

وتكاد تنحصر طرق الإلزام في القرآن الكريم في ستة أنواع، كما استخلصها

---

(١) المرجع نفسه ص١١٣.

الشيخ نديم الجسر في بحثه الجامع بين دراسة النفس والأخلاق في الإسلام. نلخصها فيما يلي[1]: -

١- الإلزام بوازع العقل:

إن مزية الإسلام الكبرى على باقي الأديان هو منحه العقل السلطة في الفهم واستنباط الأحكام، والآيات القرآنية التي تحث على تحكيم العقل، وترك اتباع الظن لا تكاد تحصى، ذلك لأن عقل الإنسانية في بدايته وأثناء مراحلة الأولى كان عاجزاً أمام التجارب المحدودة أن يدرك الخير، وأن يحدد مكارم الأخلاق ومساوئها، وكان الوحي السماوي يتولى هذا التحديد بواسطة الرسل. وعندما تكامل العقل الإنساني، وبلغ حداً يستطيع أن يعرف الحق والخير (أنزل الله سبحانه وتعالى آخر كتبه على آخر رسله -ﷺ- وجعل للعقل بمقتضى هذه الشريعة الأخيرة السلطان الأعلى في إدراك حكمة ما حدده القرآن من المبادئ العامة لخدمة الحق والخير ومكارم الأخلاق)[2].

إن آيات النظر العقلي، والحض على النظر والتفكير والتدبر، كثيرة في القرآن الحكيم، مع وصفه للغافلين بأنهم يعيشون كالأنعام، لاحظَّ لهم في تزكية الأنفس أو تثقيف العقول، وهكذا أبطل القرآن الحجر على حرية التفكير، حيث كانت التقاليد الدينية قد كبلت بهذا الرق البشرية (وأن أكثر ما ذكر فعل العقل في القرآن قد جاء في الكلام على آيات الله، وكون المخاطبين بها، والذين يفهمونها ويهتدون بها، هم العقلاء)[3].

ولئن كان من (أشرف ثمرة العقل معرفة الله تعالى وحسن طاعته، والكف عن معصيته)[4]، فإن من البديهي أيضاً الإلزام بوازع العقل في المحيط الأخلاقي[5].

---

(١) القرآن في التربية الإسلامية، للشيخ نديم الجسر، وهو بحث جامع عميق يحتوى على دراسة قضايا حيوية في النفس والأخلاق، ويقع في نحو ٧٥ صفحة من القطع الكبير، منشور في مجلة مجمع البحوث الإسلامية، عدد خاص بعنوان (التوجيه الإسلامي للشباب) ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م، ويعرف الإلزام بأنه إلزام المكلف بتصديق ما قرره من الحق وتنفيذ ما شرعه من الأحكام، والأخذ بما وصى به من مكارم الأخلاق، والعزوف عما نهى عنه من مساوئها.

(٢) نفس المصدر ص٨٨.

(٣) الوحي المحمدي -محمد رشيد رضا، ص١٨٣- المطبعة السلفية.

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة -للراغب الأصفهاني ص٦٦.

(٥) القرآن في التربية الإسلامية، لنديم الجسر، ص١٠٤.

٢- الإلزام بوازع الضمير (أو النفس اللوامة):

ولكن الإلزام العقلى لا يتم إلا للقلة من الحكماء، الذين يعبدون الله تعالى، ويطيعون أوامره، لأنه سبحانه مستحق بذاته للعبادة، وأن أوامره مستحقة الطاعة.

ولكن الكثرة الغالبة لا يكفيها وازع العقل، وتحتاج إلى وازع الضمير كزاجر يبعدها عن الذنوب التى تخفى على أعين الناس، ولا ينالها العقاب الأرضى بواسطة البشر. وضمير المؤمن موصول بالله سبحانه وتعالى، فهو يعيش فى حراسة ضميره، ويقظة (نفسه اللوامة)، وهى بمثابة (محكمة أمن) داخل الإنسان (لا يمكن خداعها ولا الإفلات منها ولا تجدى عنها المعاذير، لأنها مرتبطة برقابة عليا، إنها لوامة دائما، توجه إلى صاحبها إنذارات التأنيب، حتى ترده إلى الخير)[١].

٣- الإلزام بالترهيب والترغيب:

تنوعت أساليب القرآن الحكيم من حيث الترهيب والترغيب.

ففيما يتصل بالترهيب: فإن الله سبحانه وتعالى يحذر العاصى من انتقامه فى النفس والأولاد.. والثمرات، هذا فى الدنيا. أما فى الآخرة، فالتحذير من أهوال القيامة وعذاب النار.

وفى جانب الترغيب: وعد بخير الدنيا وزيادته لمن يشكر، وحفظ النعمة على من يحافظون على سلوك الطريق المستقيم. ووعد المتقين بالجنة فى الآخرة بما فيها من نعيم دائم، لتعويض المحرومين من خير الدنيا فى المآكل والمشارب والمساكن وغيرها (وهو وصف يعترض عليه بعض الجهال والمشككين الذين يملأ الزيغ قلوبهم، أما الذين يدركون خفايا النفس البشرية فى شدة حبها للخير والنعيم، ونقمتها من الحرمان، فإنهم ليعلمون أنه وصف لازم وضرورى، وفى منتهى الحكمة)[٢].

٤- الإلزام بوازع الكفارات[٣]:

ومن أساليب تربية الضمير، تفويض الله سبحانه وتعالى إلى العبد أن يعاقب

---

(١) دروس ونفوس ج١ ص٢١٠ للدكتور/ توفيق سبع- ط مجمع البحوث الإسلامية.

(٢) القرآن فى التربية الإسلامية، للشيخ نديم الجسر، ص١٠٥.

(٣) ويرى الشيخ أبو زهرة أن الإسلام جعل كفارات الذنوب تعاونا اجتماعيًا، فمن أفطر فى رمضان فعليه عتق رقبة، أو صيام ستين يومًا أو إطعام ستين مسكينًا، ومن قال لامرأته أنت حرام علىّ فإنه لا يقربها إلا إذا أعتق رقبة أو صام ستين يومًا أو أطعم ستين مسكينًا، ومن حلف وحنث فى يمينه كان عليه عتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، ص٢١، تنظيم الإسلام للمجتمع -دار الفكر العربى، بدون تاريخ.

نفسه جزاء لما اقترفت يداه، وتكفيراً عن بعض الذنوب كالصوم، وهى عقوبة جسدية، أو عتق رقبة أو إطعام المساكين وهى عقوبة مالية. وهكذا يظهر لون من امتحان الإيمان وتعود الإنسان على محاسبة نفسه، بعد الإقرار بذنبه والإذعان لحكم ربه (وفيها تربية للضمير، واستحضار للرقابة الإلهية، وتعويد على حفظ الإيمان، والكف عن بعض المخالفات.

٥- الإلزام بوازع الرأى العام:

ومن الأساليب التى امتاز بها القرآن فى التربية، هو الأخذ بمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على قدر الطاقة، ولا سيما فى النهى عن منكرات الأخلاق التى لا تمتد إليها يد القوانين، والحديث أيضاً يؤيد هذا الأسلوب وهو قول النبى ﷺ: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه»**.

٦- الإلزام بوازع السلطان:

وقد لا يصلح مع بعض الناس أنواع الإلزام السابقة، لذلك كان لابد من وازع أعظم، وهو وازع السلطان، حيث قيل: (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) (وهى العقوبات المختلفة التى فرضها القرآن على بعض الجرائم، وفوض أمرها إلى الحكام)[1].

وبعد هذه الدراسة المختصرة للأخلاق فى الإسلام، رأينا كيف تتضاءل الأخلاق البوذية إلى جوارها، وكيف تصبح متجردة من أية مقومات لترتفع بقامتها إلى المذهب الأخلاقى المتكامل كما وجدناه بشموخه وكماله متحققاً فى الإسلام، مما يؤكد مصدره الربانى.

ونتحول الآن لنعقد موازنة أخرى لكى نعرف منها كيف أثرت البوذية فى الديانة المسيحية، مكتفين ببعض النصوص المتطابقة فى المضمون، ولا تختلف إلا فى اسم المسيح عليه السلام بدل (بوذا).

---

(١) المرجع نفسه ص١٠٦.

البوذية أقوال البوذيين فى بوذا	المسيحية أقوال النصارى فى المسيح ابن الله
– ولد بوذا من العذراء مايا بغير مضاجعة رجل.	– ولد يسوع المسيح من العذراء مريم بغير مضاجعة رجل.
– ولد بوذا ابن العذراء مايا التى حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد (أى فى ٢٥ كانون الأول– ديسمبر).	– ولد يسوع ابن العذراء مريم التى حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد (أى فى ٢٥ كانون الأول– ديسمبر).
– لما كان بوذا طفلاً قال لأمه مايا إنه أعظم الناس جميعًا.	– لما كان يسوع طفلاً قال لأمه مريم (أنا ابن الله).
– لما أُرسل بوذا إلى المدرسة وهو ولد أدهش الأساتذة مع أنه لم يدرس من قبل، وفاق الجميع فى الكتابة والرياضيات والعلوم العقلية والهندسة والتنجيم والكهانة والعرافة.	– لما أرسل يسوع إلى المدرسة أدهش أستاذه ذاخيوس وقال لأبيه يوسف: (لقد أتيتنى بولد لأعلمه مع أنه أعلم من كل متعلم).
– وعمل بوذا عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكر أعظم العجائب مما يمكن تصوره.	– وعمل يسوع عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكر أعظم العجائب مما يمكن تصوره.
– ولما مات بوذا ودفن انحلت الأكفان وفتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية (أى بقوة إلهية).	– ولما مات يسوع ودفن انحلت الأكفان وفتح القبر بقوة غير اعتيادية (أى بقوة إلهية).
– وصعد بوذا إلى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض.	– وصعد يسوع بجسده إلى السماء من بعد صلبه لما تمل عمله على

	الأرض .
– ولسوف يأتى بوذا مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها .	– ولسوف يأتى يسوع مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها .
– قال بوذا إنه لم يأت لينقض الناموس، كلا، بل أتى ليكمله وقد عد نفسه حلقة فى سلسلة المعلمين الحكماء .	– وقال يسوع : (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل) .
– وجاء فى كتب البوذية القانونية المقدسة أن الجموع طلبوا من بوذا آية كى يؤمنوا به[1] .	– وجاء فى كتب النصارى الدينية المقدسة أن الجموع طلبوا من يسوع علامة (أى آية) ليؤمنوا به .

(١) مختارات من كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية)، محمد طاهر التنير –الفصل الثامن عشر –مقابلة النص الصريح بين بوذا ويسوع المسيح من ص١٣٢ :١٤٧– مكتبة ابن تيمية بالكويت .

وهناك مقارنات أخرى أجراها السير آرثر فندلاى بكتابه (صخرة الحق) حيث سجل به اكتشاف لوحة أثرية فى بابل تثبت أن إلههم (بعل) كان يتصف بنفس الصفات التى الحقت بعيسى عليه السلام، وأن هذه اللوحة كتبت حوالى ١٢٠٠ ق.م. كما قارن أيضًا بين المسيحية وعقيدة الفراعنة فى أوزوريس (من كتاب محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن) ص٧٩–٨١– إبراهيم خليل أحمد– مكتبة الوعى العربى بمصر.

ويقول يواكيم برنز (وبما أن أكثرية المسيحيين كانوا وثنيين متحولين لهذا فإن مسيرة المسيحية نحو الوثنية كانت تقتضى وتستدعى عدة تسويات وتنازلات ... وبالنسبة لكثير من الوثنيين اعتبرت مريم العذراء اسمًا جديداً لربة الخصب التى كانوا يعبدونها، فالمجموعة الأولمبية اليونانية من الآلهة الوثنية اتخذت أسماء جديدة بتغير بسيط، أو حتى دون تغيير فى قلوب ونوايا المؤمنين . (من كتابه : بابوات من حى اليهود ص٩٣) .

خاتمة:

لقد حققنا -بعد هذا العرض الوجيز والموجز للبوذية -بعض الأهداف على طريق دراستنا للأديان، منها:

١- زيادة الإيمان بأن الإسلام يتفوق على غيره ﴿ **لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** ﴾ [الفتح: الفتح: ٤٨] وقد لاحظنا ذلك حتى فى الجزئيات والفروع، فإن المذهب الأخلاقى البوذى بدا متهافتًا أمام المذهب الأخلاقى فى الإسلام.

٢- تسليح الدعاة بالمعارف اللازمة لمعرفة المدخل إلى دعوة أصحاب الأديان الأخرى إلى الإسلام، أى معرفة المحاسن، والمساؤى فى عقائدهم، وتقديم البديل الأكثر إقناعًا وواقعية وملاءمة للإنسان أيا كان عصره وبيئته، وبخاصة ونحن فى عصر يتشوق أهله لمعرفة الحق وتحقيق الحياة الطيبة فى هذه الدنيا بعد إخفاق الأنظمة الوضعية. يقول جارودى: (فللإسلام اليوم إمكانيات واحتمالات للانتشار فى العالم أكثر حتى من الوقت الذى وصل فيه إلى ذروته. فالمنهج الأمريكى والمنهج السوفيتى قد أثبتا فشلهما. أما الإسلام فهو يمنح الإنسان الأمل فى عالم يسوده الآن الخوف حتى على استمراره وعلى بقائه)[١].

٣- إزالة الغشاوة عن أبصار البعض المفتونين بكثير من النحل التى تتمتع ببريق زائف كالبوذية، والتحذير من الوقوع فى حبائلها تحت ستار رياضة (اليوجا)[٢]، أو توهم تحقيق السعادة عن طريقها، خاصة إذا جاءتنا عن طريق الكتاب الأوروبيين والمروجين لأفكارهم ترفل فى ثوب المديح الزائد. ويفيدنا

---

(١) من محاضرته التى ألقاها بجامعة الأزهر بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفى بعنوان (مستقبل الإسلام فى الغرب) ص٤٩ من كتيب صادر من وزارة الإعلام بمصر -ترجمة الدكتور رجاء ياقوت، رئيس القسم الفرنسى بكلية الدراسات بجامعة الأزهر.

(٢) يذكر الدكتور أحمد شلبى أن (منظمة اليوجا) ذات صلة بالصهيونية، وهى منظمة تدعى أنها تباشر ألوانا من الرياضة البدنية والتدريبات الروحية أو ما يسمى (باليوجا الروحية). وأهم ما تعنى به محاربة الأديان، والعمل على تحقيق ما يسمى الرباط الإنسانى، ثم يصلون بذلك إلى الدفاع عن اليهود باسم الإنسانية. ص٣٥٩ من كتاب (اليهودية) ط١٩٧٨م/ مكتبة النهضة المصرية. وينظر أيضًا كتاب (اليوغا فى ميزان النقد العلمى) للدكتور فارس علوان.

الاستشهاد هنا برأى الأستاذ العقاد حيث يقول: (وعلينا أن نحترس من مغالاة الشراح الأوروبيين بهذه الفلسفة البوذية. لأنهم يتعصبون لكل منسوب إلى الآرية على اعتبارها عنصر الأوربيين الأقدمين والمعاصرين، فقد رفعوها فوق قدرها بلا مراء)[1].

٤- وهناك ملاحظة أخيرة لابد من ذكرها، إذ تحولت البوذية عندما انتقلت من الهند إلى اليابان، فبعد أن كانت فى مصدرها الأصلى مليئة بالتشاؤم والانقباض والحزن، تحولت فى اليابان إلى (ديانة مرحة ضاحكة متفائلة، فيها بشر وغبطة وفرح، وحفلات واجتماعات ومعابد وإلهيات وبهجة وأعياد وفيها وعد للصالحين بالجنة وللأشرار بالجحيم)[2].

وهذا يثبت أنه فى غياب عقيدة محفوظة بالوحى ومصونة بمنهج ثابت تتلون العقائد بمزاج الأمم التى تدين بها.

كذلك لا يفوتنا فى النهاية التحذير من رياضة (اليوجا) التى أغُرم بها البعض تقليداً ومحاكاة -لا سيما عندما دارت دورتها وانتقلت من الشرق إلى الغرب بزعم تحقيقها للشباب الدائم والصحة والسعادة، إذ أثبت الدكتور فارس علوان -وهو طبيب متخصص - أنها على النقيض من هذا، فهى علمياً وعملياً تؤدى إلى اضرار وأخطار تصيب الجسم، وتقوض عقيدة التوحيد لأنها تلزم صاحبها السجود للشمس وترديد اسمها بانتظام: (وفيها تقليد للوثنيين، وتضر بالصحة، وتضيع الوقت، وتدعو إلى التشبه بالحيوانات، وقد يتردى ممارسوها فى تعاطى المخدرات...)[3].

******

(١) (الله) - بحث فى نشأة العقيدة الإلهية ص٧٩- ط دار المعارف بمصر عام ١٩٤٩م.

(٢) الديانات والعقائد فى مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار ص١٩٢.

(٣) اليوغا فى ميزان النقد العلمى، د. فارس علوان.

الفصل الرابع

الزرادشتية (أو المجوسية)

زرادشت بين الحقيقة والخيال:

تعد الزرادشتية من أديان الفرس ونحل المجوس، وقد فصل المسعودى هذه الأديان، فذكر منها ديانة الصابئة عبدة الكواكب ثم الزرادشتية، وما تلاها من مانوية –نسبة إلى مانى وهو القائل بالنور والبراءة من الظلمة، ومزدكية –نسبة إلى مزدك وكان يدعو إلى المساواة فى المال والنساء[1].

وإذا أردنا الحديث عن زرادشت فسنجد أنفسنا أمام روايات مختلفة، كالشأن عندما نفتقد الروايات التاريخية الموثقة الأسانيد بطريقة علمية، لذا فإننا أمام افتراضات حول حقيقة شخصيته وتاريخ حياته وعقائده، اختلط فيها أحياناً الواقع بالخيال: فمن الباحثين من أنكر وجوده بالكلية، واعتبره شخصية خرافية نسجت حولها الأساطير والروايات الخيالية التى لا سند لها من الواقع.

وفريق آخر خلط بين زرادشت وبين إبراهيم الخليل عليه السلام لاشتراكهما فى اتجاه كليهما (إلى التأمل فى كواكب السماء وملاحظة بزوغها وأفولها والانتهاء من هذا التأمل، وهذه الملاحظة إلى أن كائنات هذا شأنها لا يمكن أن تكون آلهة، وما يتعلق بمحاربة كليهما لما كان يعكف عليه قومه من عبادة الكواكب وما يمثلها ويرمز إليها من أصنام، وما يتعلق بإلقاء كليهما فى النار وجعلها برداً وسلاماً عليه)[2].

ويستبعد الدكتور وافى رأى هذا الفريق لعدة أسباب: منها أن زرادشت ظهر –فى أصح الروايات– فى القرن السابع قبل الميلاد، على حين أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان ظهوره حوالى القرن السابع عشر قبل الميلاد. وأن إبراهيم عليه السلام نشأ فى بلدة أور ببلاد الكلدان وإنه سامى الجنسية، على حين أن زرادشت نشأ

---

(١) منهج السعودى فى بحث العقائد والفرق الدينية، د. هادى حسين جمود، ص١٤٤ مطبعة عصام ببغداد ١٩٨٤م (دار القادسية للطباعة).

(٢) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام، د. على عبد الواحد وافى، ص١٢٦/١٢٧.

بأذربيجان في بلاد إيران، وأنه آرى الجنسية، وأن القرآن الكريم يحدثنا عن رحلة إبراهيم عليه السلام إلى مكة المكرمة، وإسكانه فيها ابنه إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر وبناء الكعبة، بينما يدل تاريخ زرادشت على أنه لم يرحل إلى بلاد الحجاز، ولم تكن له صلة بمكة المكرمة، ولا بالبيت الحرام.

وبعد استبعاد رأى الفريقين السابقين، يصبح الأرجح الأخذ برأى فريق ثالث يذهب إلى أن زرادشت شخصية حقيقية غير إبراهيم عليه السلام، وأنه إيرانى الجنسية ولد حوالى ٦٦٠ ق.م بأذربيجان، وأنه مات قتيلاً فى بيت من بيوت النار فى بلخ حوالى سنة ٥٨٣ ق.م أثناء إغارة الطورانيين[١].

وكتاب الزرادشتية هو (زندا فستا)، والكلمة مركبة من كلمتين: (زند) ومعناها شرح، وافستا: النص الأصلى، فمعنى الكتاب النص والشرح، والكتاب (يتضمن التاريخ الأدبى لأمة فى مدة طويلة من الزمن، مثلهم فى ذلك مثل كتاب اليهود المقدس أى العهد القديم. ومن المعروف أن هذا الكتاب المقدس ظل قرونًا طويلة يعتمد على الرواية الشفوية قبل التدوين)[٢].

وعندما دالت دولة الفرس للمسلمين الأوائل، وبدأت تتسرب بعض الأفكار أو ما نسميه بالغزو الثقافى -كما سنرى- إلى المجتمع الإسلامى، كان من أبرز الآثار التى سجلها المسعودى المؤرخ هذا التمييز بين الأصل والشرح، أو النص والتأويل. يقول المسعودى (وكان من أورد فى شريعتهم شيئًا بخلاف المنزّل الذى هو البستاه، وعدل إلى التأويل الذى هو الزند، قالوا: هذا زندى، فأضافوه إلى التأويل، وأنه منحرف عن الظواهر من المنزّل إلى تأويل هو بخلاف التنزيل، فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس، وقالوا: زنديق، وعربوه، والثنوية هم الزنادقة، وألحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم، وأبى حدوث العالم[٣].

وإننا لنجد تضاربًا كبيرًا بين الباحثين فى الديانات عند تناولهم للعقائد الزرادشتية، وربما يرجع ذلك إلى عدة عوامل، منها صعوبة قراءة كتابها المقدس،

---

(١) المرجع نفسه ص١٢٨.

(٢) فى العقائد والأديان-الديانات الكبرى المعاصرة، د. محمد جابر عبد العال، ص١٦٤ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م.

(٣) منهج المسعودى فى بحث العقائد والفرق الدينية، د. هادى حسين ص١٤٨.

(فإذا حاول الإنسان قراءة الأفستا فإنه يدرك لأول وهلة أن قراءتها مستحيلة، ذلك لأن الفصل فيها لا يتلاءم ليكون وحدة، ولا يتسق أى جزء مع جزء آخر، فهى أجزاء مفككة يتلو بعضها بعضًا، يصدق عليها القول إنها مجموعة جمل مفككة لا ينظمها عقد واحد)[1].

ومنها النقص فى الأسانيد والاضطراب فى الروايات التى نقلت لنا عقيدة زرادشت، مع اختلاف وجهات النظر بين من رأى أن عقيدته مستوحاة من تأملاته فى الحياة والصراع الدائر بين الخير والشر، ومن رأى أنها جاءته بطريق الوحى باعتباره نبيًا!

وممن يميلون إلى الرأى الأول جيمى هنرى برستد، الذى تحدث عن عناصر العقيدة الزرادشتية بقوله: (تأمل زرادشت الصراع المستمر بين الخير والشر، هذا الصراع الذى كان يراه حوله أينما سار.. وبدا له أن هذا الصراع قائم بين مجموعة من قوى الخير ومجموعة من قوى الشر، واعتقد أن الخير ليس إلا كائنًا إلهيًا أطلق عليه اسم (مازدا) الذى كان اسمًا لأحد الآلهة القدامى، أو (أهورا مازدا) ومعناها رب الحكمة، الذى رأى فيه أنه هو الله... ويقف ضد أهورا مازدا وأعوانه جماعة شريرة قوية أطلقوا عليها اسم (أهريمن)، وهو الذى أخذه اليهود ثم المسيحيون من بعدهم وعرفوه تحت اسم الشيطان)[2].

أما الرأى الثانى الذى يستند إلى بعض النصوص المرجح أصالتها وتصور زرادشت على أنه نبى، فقد ورد فيها ما يدحض الرأى الأول حيث يقول فيها مناجيًا ربه: (إلى أى أرض أفر؟ وإلى أى اتجاه يكون المهرب؟ إلى النبلاء والسادة وهم يقاطعوننى؟.. أم إلى الناس وهم غير راضين عنى؟، أم إلى حكام الأرض الخونة؟ كيف أبلغ رضاك يا أهورا مازدا)[3].

العقيدة بين زرادشت والأتباع:

يذكر الشهرستانى أن زرادشت دعا إلى التوحيد وإبطال الأصنام حيث أورد وصفًا كاملاً لعقيدته، ملخصًا إياها فى عبارة قال فيها (وكان دينه عبادة الله

---

(١) فى العقائد والأديان للدكتور محمد جابر عبد العال ص١٦٤.

(٢) انتصار الحضارة، جيمس هنرى برستد، ترجمة د. أحمد فخرى، ص٢٦٠، نقلاً عن المصدر السابق.

(٣) فى العقائد والأديان ص١٦٦

والكفر بالشيطان، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجتناب الخبائث) .

كذلك فصل عقيدته حيث وصف الله تعالى بأنه واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند، وأنه خالق النور والظلمة، ولا يجوز أن ينسب إليه تعالى وجود الظلمة .

أما عن نظرته للعالم أو المخلوقات فهى خاضعة لمبدئى النور والظلمة، حيث فسر عنصرى الوجود من نور وظلمة وخير وشر . فالأول – أى النور –له وجود حقيقى، والثانى –أى الظلمة والشر– ليس لها وجود حقيقى، مثل ظل الشخص حيث يرى أنه موجود ولكن ليس وجوداً حقيقياً كوجود الشخص نفسه .

كذلك يفسر حركة الموجودات بواسطة نظريته عن النور والظلمة كأصلين متضادين، فالخير والشر، والصلاح والفساد، والطهارة والخبث، إنما حلت حسب تفسيره من امتزاج النور والظلمة، ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم . والبارئ تعالى هو الذى مزجهما وخلطهما لحكمة رآها فى التركيب .

وبينما يحدثنا عن امتزاج النور والظلمة، ينقل عنه أيضاً أنهما يتصارعان ويتغالبان إلى أن يغلب النور الظلمة، والخير الشر، ثم يتخلص الخير فيرقى إلى عالمه الأعلى، وينحط الشر إلى عالمه الأسفل .

وينسب إلى زرادشت أيضاً تكليف الإنسان بحركات ثلاث هى :

١– الاعتقاد .

٢– القول .

٣– العمل (١) .

وإذا قصر الإنسان فيها خرج من الدين والطاعة، أما إذا جرى فى هذه الحركات على مقتضى الأمر والشريعة فاز الفوز الأكبر .

ويبدو من عرض الشهرستانى للزرادشتية أنه يلتزم بالوصف ويقرر مشاهداته ويسجل معلوماته المستقاة من مصادرها إذ يقول (هذا ما وجدته من مقالات أهل العلم ونقلته على ما وجدته، فمن صادف خللاً فى النقل فأصلحه، أصلح الله عز وجل بفضله حاله، وسدد أقواله وأفعاله) .

---

(١) الملل والنحل

لذلك فإن تمييزه بين عقيدة زرادشت وعقيدة أتباعه لابد أن تؤخذ فى الاعتبار عند النظر فى تعليل الاختلاف بين العقيدتين، فتلاحظ أن الشهرستانى ميز بين زرادشت الذى نص على أن للعالم قوة إلهية هى المدبرة لجميع ما فى العالم، وبين الفرق المنتسبة للزرادشتية بعقائدها التفصيلية الخارجة عن هذا الأصل.

ونحن نرى أن هذا التغيير ربما استحدث بفعل الأتباع والمريدين -لا سيما المتأخرين منهم عن عصر زرادشت -وهذه هى الآفة الغالبة على معظم أصحاب الديانات والعقائد والنظريات الفلسفية، إذ تحدث على أيدى الاتباع تحولات ملحوظة، منها ما يتناول الفروع، ومنها ما يتحول عن الأصول الجوهرية ويقطع الصلة بما قاله واعتقده الأوائل فلا يبقى إلا الاسم والنسبة، والدليل على تحول الزرادشتية أن الاعتقاد فى النار أخذ يتدرج خطوة خطوة، فبعد تعظيمها فى أول الأمر بالاتجاه إليها وإلى الشمس ساعة الصلاة لأن (النور) رمز الإله فى زعمهم، انحرف بهم طائفة رجال الدين إلى اتخاذها بذاتها قبلة فى العبادات، ثم جاءت الخطوة الأخيرة فعبدوا النار، وصاروا يبنون لها الهياكل والمعابد، بحجة أنها جوهر شريف علوى، وإنها لم تحرق الخليل عليه السلام ويظنون أن تعظيمها سينجيهم من عذابها يوم القيامة!

ومن المؤيدين لهذا الرأى أيضاً فى العصر الحديث الدكتور على عبد الواحد وافى، إذ يرى أن الديانة الزرادشتية كانت فى أصلها ديانة توحيد، تدعو إلى عبادة إله واحد هو «آهورا مزدا» وتحارب الشرك وعبادة الأصنام والكواكب وقوى الطبيعة، فأهورا مزدا يطلق فى (البستاق) على الذات المتصفة بصفات القدم والبقاء والقدرة والإرادة والعلم، وإنه يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار، ويعلم حقيقة ما فى السماوات والأرض، ولا يصل أحد إلى معرفة حقيقته. بل إن اسم (أهورا مزدا) يدل على معناه فى الفارسية على ذلك، فهو مركب من ثلاث كلمات وهو (أهو) و(را) و(مزدا) ومعناها على الترتيب:

أنا -الوجود- خالق، أى أنا وحدى خالق الوجود[1].

وجاءت المرحلة التالية فى تغيير العقيدة بسبب دخول الرمز على الذات الإلهية

---

(١) الأسفار المقدسة ص١٤٣.

فى الزرادشتية حتى تقوى الجماهير على إدراكها باعتبارها ذاتًا روحانية خالصة مجردة من شوائب المادة، فاشير إليها برمزين أحدهما سماوى وهو الشمس، والآخر أرضى وهو النار (فكلاهما عنصر متلالئ مضىء طاهر مطهر لا يتطرق إليه الخبث ولا الفساد، وتتوقف عليه الكائنات، وهذه الصفات تشبه طائفة من صفات نفسه، وترمز إليه)[١].

وانتهت الزرادشتية كما بينا آنفًا إلى تقديس النار فى ذاتها وعبادتها بعد أن كانت رمزًا للإله[٢].

منهج العامرى (٣٨١ هـ) فى دراسة الزرادشتية:

بقدر اتساع منهج دراسة الأديان وشموله، بقدر ما يتمكن الباحث من تقويمها، فإن بعض العلماء من ينظر إلى الأديان بأفعال المتدينين، ومن يقومها بعقائدها وتصوراتها، وهناك من يقدرها بقيمها ومثلها العليا، وما تحث عليه من فضائل الأعمال وترك رذائلها. وهناك من ينظر إلى آثارها فى إقامة المجتمعات وبناء الحضارات.

وربما انفرد عالمنا العامرى بتقويم الزرادشتية من هذه الجوانب كلها، مقارنًا بينها وبين الأديان الستة الواردة بالآية الكريمة ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [الحج: ١٧].

ولكن تظهر جدة الدراسة التى أجراها العامرى فى تناوله للعنصر السياسى التاريخى (ولذلك يشير إليها على أنها «الأديان الستة التى لها خطط وممالك». أى أن كل دين منها قد كون مجتمعًا، وأقام دولة فى فترة من فترات التاريخ)[٣] غير أن المجتمعات التى نشأت عن الأديان الستة تختلف فيما بينها، فلما جاء الإسلام ناصبته باقى الأديان العداء لأسباب مختلفة، منها أنه أطاح بنفوذ رجال الدين كما أنه ألغى النظام الطبقى الجائر، لا سيما فى المجتمع الفارسى، حيث قسم ملوك

---

(١) نفسه ص١٤٣ / ١٤٤ وترجمة معنى الإله، نقلاً عن كتاب (زرادشت الحكيم) لحامد عبد القادر.

(٢) نفسه ص١٤٦.

(٣) مقدمة كتاب العامرى (الإعلام بمناقب الإسلام) للدكتور أحمد عبد الحميد غراب، ص٤٣، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بمصر ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧م.

الفرس رعاياهم إلى خمس طبقات: أعلاها رجال الدين يليها الوزراء ثم قواد الجيش ثم الكتاب ثم الشعب أو الطبقة العاملة.

يقول العامرى (إن دين الإسلام لما كان ناسخًا للأديان كلها وكان ملكه قادحًا فى الرياسات بأسرها، وقد امتلأت القلوب غيظًا عليه، لهدمه كراسى علماء الكتابيين، وطيه مقاعد الملوك والسلاطين، ثم كان مع ذلك فى نهاية الحسن) ويعنى بذلك أنه جاء بمبادئ تهدم هذه المزايا المصطنعة من وضع البشر، فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عند الله أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣][(١)].

وقال الرسول ﷺ: «إن الناس كلهم لآدم وآدم من تراب» وقال أيضًا «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»[(٢)].

وإذا كان الفرس قد أقاموا مدنية الأكاسرة، إلا أنهم ابتلوا -فى رأى العامرى- بمحنتين عظيمتين لا يدانيهما شيء من المحن الدنيوية فى الفظاعة والنكر:

إحداهما: عوق الموابذة (وهم أعلى طبقة من رجال الدين الزرادشتى) لدهمائهم -بالقهر- عن اقتناء الحكمة الإلهية، أى احتكارهم لتفسير الدين ومنع العامة من النظر والاستدلال. ويفسر العامرى هذا الاحتكار بحرصهم على الإبقاء على نفوذهم وسيطرتهم على العامة، وحتى لا يكتشف الناس -إذا ما نظروا وتحققوا - زيف اعتقادات زرادشت (وكان سببه أن زرادشت المتنبى لما أسمى لهم فى الأبواب الاعتقاد بتلك الأصول الدالة على نزارة حظه من الحكمة للنظرية: نحو كون العالم من قديمين، وحول جبلته من امتزاج الضدين، وأنواع هذيانه فى العفاريت والشياطين، وخطئه الفاحش فى شكل الأرض وتخطيط الأفلاك -صيرهم بالمأخذ التقليدى مزجورين عن الحكمة الإلهية، تحرزاً من أن يتنبه الناظر فيها، والمتحقق لبراهينها، على سخافة دعاويه)[(٣)].

والأخرى: التمييز الطبقى، فإن طبقاتهم بأسرهم كانوا مضطهدين بسياسة الاستعباد، ويزيدنا البيرونى إيضاحًا فيصف النظام الطبقى الصارم الذى طبقه الملوك القدماء، فكانوا يلزمون كل طبقة ما إليها من عمل أو صناعة أو حرفة، ولا

---

(١) نفسه، المتن ص١٩٤.

(٢) نفسه ص١٧٦

(٣) نفسه ص١٧٤، ونلاحظ أنه اعتبر زرادشت من المتنبئين الكذبة!.

يرخصون لأحد فى تجاوز رتبته ويعاقبون من لم يكتف بطبقته[١].

إن الفكرة التى تنبه إليها العامرى سبق بها عصره -لا لأنه عرف فكرة المساواة التى نص عليها الإسلام -فهى مطروقة منذ نزول الوحى، وطبقت فى العصور الأولى، ولكن العامرى تنبه إلى صلة العقيدة الدينية بالبنية الاجتماعية، وقد ثبت أنه بغير الدين الحق لا تتماسك المجتمعات، بل تظهر فيها إحدى الآفتين: إما النظام الطبقى المرذول الذى وجدناه فى المجتمع الفارسى وقيام فئة بالإمساك بزمام الأمور فى مجتمعاتها، والتسلط على غيرها من الفئات بوسيلة أو بأخرى، أو التعرض للتفتت.

وبتطبيق ذلك على مجتمعاتنا المعاصرة نجد أنموذجا متحققًا فى المجتمعات الغربية:

ويتلخص التحليل العلمى الذى قام به الدكتور حسين مؤنس إلى أن الدين جزء من البنية، بل هو نواة البنية نفسها، فهو وحى من الله وإرادة إلهية لا ظاهرة اجتماعية أو فكر بشرى. وعلى ضوء افتقاد هذه البنية بهذا المفهوم، فإنه بالنظر إلى المجتمعين الروسى والغربى، نجد أن كليهما استعاض بالبنية الدينية وسائل أخرى، فلم تصل روسيا إلى ما وصلت إليه بواسطة الماركسية -كما زعمت من قبل (ونحن الآن نراها تتهاوى)- بل بالمذابح التى أنزلها الشيوعيون بالناس فى المجتمعات التى يسودونها، وبتخلخل البنية الدينية فى الحضارة الغربية بدأ الانحدار الذى يعلله أرنولد توينبى بسبب التوسع والسيطرة على البشر جعلت منها ما يسميه (الحضارة العالمية أو الجماعة العالمية) نتيجة لابتلاعها لكل ما استطاعت ابتلاعه من عناصر الحضارة المعاصرة، فدخلت فى تركيبها اليوم عقائد غير مسيحية مثل البوذية والهندوكية، البدائيين.. وأخذوا من الهند والصين أشياء مثل اليوجا والكاراتيه، وكل ذلك ناشئ من أن بنية مجتمعاتهم تخلخلت وفقدت تماسكها الأول[٢].

ويرى الدكتور حسين مؤنس أن حالة التقلقل فى قواعد المجتمع نتيجة فساد

---

(١) نفسه ١٧٥ وتعليق محقق الكتاب د. احمد عبد الحميد غراب.

(٢) التاريخ والمؤرخون، د. حسين مؤنس ص٤٤١ / ٦٤١ باختصار، ط دار المعارف بمصر ١٩٨٥.

البنية أدت إلى محاولة البحث عن وسائل أخرى ما دامت المناعة الداخلية للمجتمع قد ضعفت ولم تعد كافية للحفاظ على المجتمع، فاتجهت الكتلة الغربية إلى الحماية الخارجية عن طريق التسلح والإنفاق فى غير حساب على غزو الفضاء وما إلى ذلك.

ونعود إلى العامرى فى كتابه (الإعلام بمناقب الإسلام) الذى التزم بمنهج المقارنة متتبعًا الأدلة، باحثًا عن آثار الدين الحق وثمراته على الفرد والمجتمع، مميزًا بين ذلك وبين صور التدين المنحرف وآثاره الاجتماعية، وقد شغل أيضًا بتعليل مواقف الخارجين على الدين الصحيح أو المنكرين له ورأى أنهم لا يتعدون أسبابًا ثلاثة:

١- المشرك وأكثر آفاته هو ما يظهر لحاستى سمعه وبصره فى الأوثان المنحوتة من أنواع الأعجوبات، ثم (بمرور الزمن يتطور تعظيم الأصنام إلى عبادتها)(١).

٢- الملحد بسبب استحباب اللذات الحسية التى تعميه عن تأمل العواقب وتدعوه إلى إشباع نفسه بالشهوات.

٣- الكتابى وأكثر آفاته هو ما وقع فى كتبهم من التأويلات المختلة وتسلط على إنجيلهم من الأهواء المضلة.

ويضيف إليهم كلاً من المجوس والثنوية الذين يشبهون المشرك مرة، والكتابى مرة أخرى(٢).

أثر الفرس فى بعض عقائد الشيعة:

يبدو أن بعض الفرس ظلوا مستمسكين بعقائدهم الأصلية، محافظين على شعائرهم، حتى بعد اعتناق الأغلبية للإسلام، وكان هذا دأبهم منذ غزو اليونان لبلادهم، فإن الإسكندر الأكبر عندما غزا بلاد الفرس بعد موت زرادشت بنحو ثلاثمائة عام، مزق الأفستا وأقام بدل الزرادشتية عقيدة اليونان، ولكن الشعب الفارسى ظل محافظًا على ديانته يعلمها سرًا لأبنائه وأحفاده.

وبعد انتهاء الاستعمار اليونانى -أى بعد نحو خمسمائة عام- جمع الشعب ما

---

(١) الإعلام بمناقب الإسلام ص١٦٦ / ١٦٧ وتعليق د. غراب.

(٢) نفسه ص١٦٧.

تبقى من الأفستا فى كتاب واحد، بالرغم من ضياع أجزاء كثيرة منها، وبنى معابد جديدة للنيران[1]، مما يدل على أن الغزو اليونانى لم يفت فى عضدهم، ولم يستطع اجتثاث العقائد المجوسية من قلوبهم بالرغم من مضى نحو خمسة قرون. (وبعد أربعمائة عام أخرى غزا العرب فارس وجاءوا بدينهم الجديد الذى أرسل به محمد ﷺ وهو الإسلام، ولكن عدداً من الناس فى إيران فضلوا الموت على اعتناق الدين الجديد، وإن فضّل عدد آخر منهم اعتناق الإسلام. أما الآخرون فقد هربوا إلى بلاد سُمح لهم فيها بممارسة طقوس عبادتهم كما يشاءون)[2].

لذلك فإن بعض الباحثين فى عقائد فرق الشيعة -لاسيما الباطنية- يلاحظون تشابهاً بينهم وبين الفرس، بل أطلق اسم (المجوس) على (القدرية) أيضاً كما سنرى:

قال الأستاذ أحمد أمين (والحق أن التشيع كان مأوى لجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية.. وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية وما فى نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم، والسعى لاستقلالهم)، ويستند أيضاً إلى ما ذهب إليه المقريزى فى تعليله لاختفاء بعض الفرس وراء الإسلام بعامة والتشيع بخاصة لمحاربة الإسلام، لأنهم كانوا أهل ملك وعلو على جميع الأمم، يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما انتصر العرب المسلمون عليهم وكانوا يعتبرون العرب أقل الأمم خطراً، تضاعفت لديهم المصيبة، فأرادوا كيد الإسلام بالمحاربة عن طريق الحيلة لعجزهم عن المواجهة الصريحة المباشرة (فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستبشاع ظلم على ثم سلكوا بهم مسالك شتى أخرجوهم بها عن طريق الهدى[3]. ولكنهم لو فحصوا ما دار حول الخلافة منذ تولاها أبو بكر، لعلموا أن عليا لم يُظلم كما يتوهمون، بل إنه بايع وأقر بخلافة الخلفاء قبله رضى الله عنهم جميعاً.

---

(1) قصة الديانات: سليمان مظهر، ص١٣٨ ط دار الوطن العربى، بدون تاريخ.

(2) نفسه ص ٣١٩.

(3) فجر الإسلام، أحمد أمين ص٢٧٦ / ٢٧٨ نقلاً عن (الشيعة والتشيع- فرق وتاريخ)، إحسان إلهى ظهير ص٤٠١ ط، إدارة ترجمان السنة بباكستان ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م

ويرى المستشرق «دوزى» أن الشيعة كانت فى حقيقتها فرقة فارسية مستنداً إلى أن الفرس لم يعرفوا غير مبدأ الوراثة فى الحكم، لهذا اعتقدوا أنه ما دام محمد ﷺ لم يترك ولداً يرثه، فإن علياً -رضى الله عنه- هو الذى يجب أن يخلفه وأن الخلافة يجب أن تكون وراثية فى آل علي، ويضيف أيضاً أنهم اعتادوا أن يروا فى ملوكهم أحفاداً منحدرين من أصلاب الآلهة الدنيا، فنقلوا هذا التوقير الوثنى إلى على وذريته[1]!

ولا نجد للشيعة سنداً يعتد به فى هذا الانحراف العقدى، ولو درسوا التاريخ بأمانة لوجدوا الاعتراض التام عليه، إذ عبر المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن دهشته واعتراضه على اتخاذ الفرس بعضهم أرباب بعض حيث كان الأكاسرة يدعون أنه يجرى فى عروقهم دم إلهى، ولذلك علق المغيرة على ما لاحظه من تلك المظاهر مخاطباً رسم قائدهم: (وإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نفعله) معبراً بذلك عن عقيدة التوحيد التى تجعل من المسلم عبداً لله تعالى وحده.

ولما زحفت تأثيرات الزرادشتية على العالم الإسلامى فى عصور متأخرة، رأينا ابن تيمية يحذر من الوقوع فى براثنها مذكراً المسلمين بالحديث الصحيح **«لتأخذن مأخذ الأمم قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: فارس والروم؟، قال: فمن غيرهما»**.

ويرى شيخ الإسلام أن هذا الحديث ينطبق على كل من اتخذ عقيدة أو سلك سلوكاً مشابهاً لهاتين الأمتين. ونحن نعلم أنهما فى عقيدتهما يعبران عن الشرك فى جميع صوره، والمتدبر للقرآن الحكيم يدرك لمَ لمْ يعن بالرد على منكرى وجود الله عز وجل؟ وكأنه لم يفرض وجودهم أو كأنه نظر إليهم على أنهم خارجون عن نطاق البداهة والعقل، ولذلك لم يوجه إليهم قولاً يشعر بأن لهم وزناً، وإنما وجه حديثه الأكثر إلى المشركين مع الله تعالى آلهة أخرى.[2]

ويقول الدكتور جميل عبدالله:

(وكان للزرادشتية الثنوية أثر فعال فى طوائف الشيعة والباطنية من قرامطة وحشاشين ونصيريين ودروز وغيرهم ثم اعترفت به البهائية أخيراً، ووجدت فى

---

(١) ويرى ذلك أيضاً المستشرق الألمانى ولهوزن المتعاطف مع الشيعة، فيذكر أنه لا سبيل للشك فى أن آراء الشيعة كانت تلائم الإيرانيين (نفسه ص٣٩٤).

(٢) الفصل المؤصد - أدب الدين من طريقة الفكر، ص ٢٤/٢٥ عبد المنعم محمد خلاف، دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م (محمد حلمي المنياوي)

الزندافسته – كتاب الزرادشتية – بشارات بالبهاء والباب، فى نصوص نقلها البهاء عن الشهرستانى)![1].

مكانة الشيطان ودوره فى الزرادشتية:

كان للفصل القاطع بين الخير والشر والتمييز بين فاعل كل منهما فى العقيدة الزرادشتية الوثنية أثره فى المغالاة فى دور الشيطان وتأكيد فاعليته، فمما عرف عن زرادشت أيضًا اعتقاده (أن «أهورا» هو الخالق أو هو الحياة، أو هو خالق الحياة أو هو الخير، وأن (مازدا) هو خالق المادة أو هو الشر أو هو الشيطان أو مدمر الحياة أو هو المميت)[2].

لهذا فقد وصف الأديب الإيطالى جوفانى بابينى ما فعله زرادشت بقوله (إن زرادشت هو أول من ارتفع بمستوى الشر فى التاريخ، فهو الذى جعل الشيطان شريكًا فى الخلق، وملحًا لكل طعام، ومرضًا لكل جسم، ولهيبًا يحرق كل شىء)[3].

ولتصحيح هذا الوضع الخاطئ الذى التبس على الكثيرين فلابد من الاستنارة بعقيدة أهل السنة والجماعة، إذ يتضح على ضوئها أن الإنسان هو الفاعل الحقيقى

---

(١) ص ٩٧ من كتاب (الإسلام فى مواجهة الحركات الفكرية زمن الدولة الأموية).
للدكتور جميل عبد الله محمد المصرى – دار أم القرى – الأردن – عمان ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

(٢) ديانات أخرى، أنيس منصور ص٢٦ / ٢٧.

(٣) نفسه ص٣١.

وقد وجد المؤلف صدى لزرادشت عند الفيلسوف الألمانى (نيتشه) بكتابه (هكذا تكلم زرادشت)، الذى نسب أقوالاً إلى زرادشت لم يقلها ولكنه -أى نيتشه- أراد (أن يتجاوز الإنسان إلى عبادة الإنسان الأعلى. إلى عبادة النبل والقوة والسمو فى الإنسان نفسه.. أليس الإنسان أسمى مخلوقات الله؟ إن عبادة الإنسان للإنسان هو تقديس لأقدس ما خلق الله). ومن المعروف أن نيتشه كان فيلسوف القوة ومنظّر النازية. (نفسه ص٣٣).

ولابد من الإشارة أيضًا فى عجالة إلى العمل الأدبى المشهور للشاعر الألمانى (جوته) الذى صور فى رواية شعرية موضوع غواية إبليس لآدم -عليه السلام- وانتقل به إلى الأرض، مصورًا مأساة الإنسان مع الشيطان معبرًا عن ذلك فى الصراع الذى دار فى كيان (فاوست) العالم المسن، حيث انشطر كيانه نصفين وأصبح (مفيستوفيليس) هو الشيطان وفاوست هو (الإنسان) ويصور انتصار الشيطان فى النهاية بعد أن أغراه بفتاة جميلة، ومات العالم فى النهاية على أسوأ صورة، لأنه باع روحه واتبع خطوات الشيطان.

(الإسلام حضارة، للدكتور حسين منصور ص١٤ / ١٥ واسم العالم فى الرواية الشعرية (مفيستوفيلس فاوستوسى) ط الدار السعودية بجدة ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

للشر إذا ما اقترفه وفعله، وليس الشيطان هو الفاعل، فللشيطان الهاتف والوسوسة فقط، ولكنه لا يمسك بتلابيب الإنسان أو يدفعه مستخدمًا قوته أو يجذبه من يديه أو رجليه، كل ما هنالك أنه يغرى ويغوى ويظل يهتف حاضًا على فعل الشر.

أما (السلطان) الوارد فى الآية ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾، فإن العلامة ابن مفلح يفسر السلطان المنفى فى هذه الآية بالحجة والبرهان، استنادًا إلى قول ابن عباس: (إنى ما أظهرت لكم حجة إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى وصدقتم مقالتى واتبعتمونى بلا برهان ولا حجة). وأما السلطان الذى أثبته الله تعالى فى قوله: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ﴾ فهو تسليطه عليهم بالإغواء والإضلال وتمكنه منهم بحيث يؤزهم إلى الكفر والشرك ويزجهم إليه كما قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: ٨٣](١).

ولكن لا يحملنا ذلك على الاستهانة بالشيطان، أو التهوين من شأنه بل ينبغى الحذر منه والتحصن ضده بأنواع الأدعية والأذكار الواردة فى السنة. يقول ابن مفلح (اعلم أن الشيطان يقف للمؤمنين فى سبع عقبات: الكفر، فإن سلم منه ففى عقبة البدعة ثم فى عقبة فعل الكبائر ثم فى عقبة فعل الصغائر، فإن سلم منه ففى عقبة فعل المباحات فيشغله بها عن الطاعات، فإن غلبه شغله بالأعمال المفضولة عن الأعمال الفاضلة، فإن سلم من ذلك وقف له فى العقبة السابعة، ولا يسلك منها المؤمن إذ لو سلم منها أحد لسلم منها رسول الله ﷺ وهى تسليط الأعداء الفجرة بأنواع الأذى)(٢).

---

(١) مصائب الإنسان من مكائد الشيطان، ابن مفلح ص٤٩، الناشر: على رحمى / دار مرجانة للطباعة بمصر ١٩٨٠م.

(٢) نفسه ص٦٩.

وينظر مادة (شطن) بكتاب المفردات للراغب الأصفهانى ص٢٦١ إذ قال: (شطن: الشيطان النون فيه أصلية وهو من شطن أى تباعد ومنه بئر شطون وشطنت الدار وغربة شطون.

وقيل بل النون فيه زائدة من شاط يشيط احترق غضبًا فالشيطان مخلوق من النار كما دل عليه ﴿ وخلق الجان من مارج من نار ﴾.

ولكونه من ذلك اختص بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة وامتنع من السجود لآدم. قال أبو عبيدة (الشيطان اسم لكل عارم من الجن والإنس والحيوانات، قال ﴿ شياطين الإنس والجن ﴾ وقال ﴿ الشياطين ليوحون ﴾ - ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾).

ولكن فى ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة لا يستقل الشيطان بفعلٍ ما بغير مشيئة الله تعالى وإرادته، مع نسبة فعل الشر إلى الإنسان الفاعل حقيقة. ونكتفى بمثال واحد ضربه الأصفهانى فى تفسير قوله تعالى: ﴿ **نحن قدرنا بينكم الموت** ﴾ فإنه تنبيه أن ذلك حكمة من حيث إنه هو المقدر، وتنبيه أن ذلك ليس كما زعم المجوس أن الله يخلق وإبليس يقتل)(١).

المجوس ونفاة القدر (أو القدرية):

وهذا ما أدى إلى تشبيه نفاة القدر (أو القدرية) بالمجوس، وتضمنت كتب العقائد الإسلامية آراء علماء الإسلام فى ذمهم وبيان انحرافهم عن العقائد الصحيحة، بل أثبت بعضهم صحة الحديث المروى عن أبى عبد الرحمن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة**» ورواه الترمذى وحسنه وصححه الحاكم(٢).

ومهما كان الاعتراف فى تصحيح هذا الحديث فإن المتن يعنى أن هؤلاء الذين ينفون القدر، يثبتون للإنسان قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى، ونفوا أن تقع الأفعال بقدر الله تعالى وقضائه!

وفى حديث آخر رُوى مرفوعًا عن أبى هريرة رضى الله عنه (**تكون قدرية ثم تكون زنادقة ثم تكون مجوس، وإن لكل أمة مجوسًا وإن مجوس أمتى المكذبة بالقدر، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم ولا تتبعوا لهم جنازة**).

وقال الخطابى فى شرح الحديث: «إنما جعلهم مجوسًا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس فى قولهم بالأصلين: وهما النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره، والله تعالى خالق الأمرين جميعًا)(٣).

---

(١) المفردات ص٣٩٥.

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، للسفارينى، ج١ ص٣٠٥، المكتب الإسلامى - بيروت، مكتبة أسامة- الرياض.

وإن كان ابن الجوزى قد عده من الموضوعات، وذكر الحافظ المنذرى أن فى سنده انقطاعًا. إلا أن السفارينى يميل إلى تصحيحه.

(٣) نفسه ص٣٠٥ وينظر أيضًا الحديث المروى بصيغة أخرى مع اتفاق المضمون حيث ورد بلفظ (**والمكذب بقدر الله**). ورواه الإمام أحمد عن ابن عمر ولفظه (لكل أمة مجوس، ومجوس أمتى الذين يقولون: لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم) حسنّه الشيخ الألبانى ص ٣٨ من كتاب (منهاج السنة النبوية) رجائى بن محمد المكى المصرى - مكتبة التوعية الإسلامية بالجيزة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

ويأتى فصل الخطاب على لسان شيخ الإسلام ابن تيمية الذى أوضح الموقف العقدى الصحيح بين فريقى الجبرية والقدرية، مرجحًا عقيدة أهل السنة والجماعة باستعراضه لقصة خلق الإنسان منذ البداية، وطاعة آدم عليه السلام لربه عز وجل وعصيان إبليس، مبينًا أن الإيمان بالقدر لا يتنافى مع الإقرار بمسئولية الإنسان عن أفعاله.

قال ابن تيمية: (فمن نظر إلى الحقيقة القدرية وأعرض عن الأمر والنهى والوعد والوعيد كان مشابها للمشركين، ومن نظر إلى الأمر والنهى وكذب بالقضاء والقدر كان مشابها للمجوسيين، ومن آمن بهذا وبهذا، فإذا أحسن حمد الله تعالى، وإذا أساء استغفر الله تعالى، وعلم أن ذلك بقضاء الله وقدره، فهو من المؤمنين. فإن آدم عليه السلام لما أذنب تاب فاجتباه ربه وهداه، وإبليس أصر واحتج فلعنه الله وأقصاه، فمن تاب كان آدميًا ومن أصر واحتج بالقدر كان إبليسيًا، فالسعداء يتبعون أباهم والأشقياء يتبعون عدوهم إبليس)[1].

دور الفرس فى الغزو الثقافى:

ونأتى أخيرًا إلى بعض الأدلة التى نقدمها لمن يشكك فى الغزو الثقافى الغربى المعاصر، إذ إنه فى حقيقته كسلسلة فى حلقات الغزو المتكررة فى تاريخنا، ولكن لم تستطع تفريخ نتاجها كاملاً أيام سطوة الحضارة الإسلامية، فحوصرت وضعفت فاعليتها بما لا يقاس بما أدته فى العصر الحاضر بسبب سطوة الحضارة الغربية وانحسار حضارتنا.

وعلى أية حال فإننا نقدم فى هذا الحيز من البحث بعض الأدلة من تاريخ احتكاك ثقافتنا بثقافات الأمم قبلنا -كالفرس واليونان - وأمامنا علامات ودلالات على طريق الغزو الدينى والثقافى، رأينا شقه الأول -أى الدينى- فى التشيع، وسنراه الآن بشقه الثانى -أى الثقافى- فى بعض الأعمال الأدبية، وقد يجتمعان معًا ويختلطان بحيث يتعذر فرزهما:

كما قام العامرى بإبراز حقيقة ربما كانت خافية من قبل، وهى أن كتاب « الأدب الكبير » لابن المقفع، يحتوى على ترجمة ملخصة للوصايا الأخلاقية والآداب

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج٨ ص٦٤ طبعة الرياض.

الموجودة فى (الأوستا) –الكتاب الدينى للزرادشتية[١]. ويذكر المسعودى ضمن الأخبار الموضوعة من خرافات مصنوعة بكتب منقولة إلينا من الفارسية والهندية والرومية مثل كتاب (خزارأفسانه) وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية (ألف خرافة) والخرافة بالفارسية يقال لها أفسانه، والناس يسمون هذا الكتاب (ألف ليلة وليلة)، وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها وهما شيرزاد وينازاد)[٢].

كذلك أورد الجوينى بكتابه (الشامل فى الأصول) ما ذكرته طائفة من الثقات المعتنين بالبحث عن البواطن أن الحلاج والجبائى القرمطى وابن المقفع تواصوا على قلب الدول وإفساد المملكة واستعطاف القلوب، وارتاد كل منهم قطراً، فقطن الجبائى فى الإحساء، وتوغل ابن المقفع فى أطراف بلاد الترك، وقطن الحلاج ببغداد[٣].

وجاء ابن تيمية فنوه بجهود العلماء قبله الذين قاموا بالكشف عن أستار هؤلاء المتآمرين على عقائد الوثنية ضمن عقائد المسلمين بإلباسها ثوباً إسلامياً خادعاً لستر حقيقتها الباطلة. قال (وكذلك ذكر الكاشفون لأسرار القرامطة وألا تكون لأستارهم كالقاضى أبى بكر بن الطيب (٤٠٣هـ) والقاضى أبى يعلى (٤٥٨ هـ) وطوائف كثيرة ما وجدنا مصداقه فى كتب القرامطة من أنهم وضعوا لأنفسهم اصطلاحات روجوها على المسلمين، ومقصودهم بها مقصود الفلاسفة الصابئين والمجوس الثنوية)[٤].

وكشف الدكتور عبد القادر محمود، النقاب عن دور كل من الفرس واليهود فى تأسيس الحركة الشعوبية بزعم أرستقراطية الدم الفارسى وعقيدة شعب الله المختار. وكان دور علماء وأدباء وشعراء الفرس إفساد الدين بالزندقة وإفساد العلم بالأكاذيب، وكان أصحاب رسائل إخوان الصفا وابن المقفع وبشار بن برد وابن الراوندى والرازى الطبيب والمعرى[٥].

---

(١) مقدمة كتاب (الإعلام) للدكتور أحمد غراب ص٦١ / ٦٢

(٢) مروج للمسعودى ج٢ ص٢٦٠ ط دار الفكر ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣م.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزى ص٥٤٨، وإن صح النقد الموجه منه للجوينى فى الخطأ التاريخى، ولكن ألا يتفق الثلاثة فى الهدف ولو اختلفت عصورهم؟. مع العلم بأن زمان الحلاج والقرمطى متقاربان.

(٤) بغية المرتاد فى الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ص١٩٣ / ١٩٤ تحقيق ودراسة/ موسى بن سليمان الدوينى –مكتبة العلوم والحكم ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.

(٥) يُنظر كتابه (الفكر الإسلامى والفلسفات المعارضة فى القديم والحديث) ص ١٤ /١٥ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٦م.

الفصل الخامس

اليهـوديـة

تمهيد:

إن ما يغنينا عن الاستطراد فى عرض العقائد والأديان باستقصائها جميعًا أننا اكتفينا بتلك التى سادت فى أقطار واسعة من العالم واعتنقتها الملايين كالهندوسية والبوذية والزرادشتية، وبقى علينا أن نعرض للديانتين: اليهودية والنصرانية.

وتمهيداً للحديث عنهما نود أن نبين أولاً الغرض من هذه الدراسة فى دائرتين:

الأولى: فى داخل مجتمعاتنا، لتصحيح المفاهيم العقائدية فى ضوء حملات التشكيك والتجهيل.، حيث تخرجت أجيال وفق المناهج التعليمية التغريبية التى كان من أغراضها: إما أن تصبح العقيدة باهتة منزوع منها إيجابية الجهاد والاضطلاع بمسئوليات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وغيرها من شُعب الإيمان الكفيلة بتحقيق المجتمع الإسلامى الذى يعين الأفراد على الحياة وفق تعاليم الإسلام وآدابه، أو إشاعة فكرة التقريب بين الأديان، أى تمييع فكرة ذاتية الحق تفرده دون صور الباطل المتعددة.

الثانية: فى التعامل الخارجى، ونقصد بذلك معرفة نفسيات وأخلاقيات من نتعامل معهم من أهل الكتاب، فلا تخدعنا الكلمات والعبارات المعلنة لأغراض سياسية وأهداف اقتصادية أو دعاوى للتقارب والنقاش وتبادل الرأى لمواجهة الإلحاد، بينما خطط التبشير تمضى قدمًا لاجتياح الأقطار الإسلامية فى أفريقيا وآسيا. لا ينبغى أن تخدعنا هذه المظاهر وتحول بيننا وبين الفهم الحقيقى للنفسيات والأغراض، ويصبح المفتاح المؤدى للفهم هو معرفة العقائد[1] الدينية التى يحملونها فى قلوبهم، وتنطوى عليها جوانحهم، فإن اليهود مثلاً عندما يبالغون

---

(١) قالت جولدا ما ئير ذات يوم: (إن هذه الدولة-إسرائيل- موجودة نتيجة وعد أعطاه لها الله ويكون من السخف أن يطلب الاعتراف بشرعيتها) من مقال بيتر مانسفيلد- الشرق الأوسط- ١٦/٦/١٩٩٠م.

في القتل والتمثيل والتعذيب، فإنما ينفذون التعاليم المدونة في كتبهم المقدسة بتأكيد وإصرار، مع التهديد بسوء مصيرهم إن هم أخلوا بتطبيقها[1] ويعلق الأستاذ كمال عون على ذلك بقوله: (لو كان ما يأتيه اليهود من جرائم بشعة عملاً طارئًا يخالفونه تثبيتًا لحكومة أو تأكيداً لسياسة، أو دفاعا عن النفس، ولو أن تلك القسوة التي يمثلونها كانت من وحى الظروف المحيطة بهم أو من آثار الويلات التي طالما كرثتهم على مدى تاريخهم، أو من باب المعاملة بالمثل لرجى أن تزول بزوال الباعث عليها، أما أن تستمد روحها من تعاليم الدين، وتنزل من نفوسهم منزلة اليقين، وتسقاها قلوبهم منسوبة إلى الهداة المرشدين، فذاك الداء الذي لا أمل معه في دواء، ولا يرجى منه شفاء، ما دام للدين أتباع، وما قامت باتباعه تلك التعاليم)[2].

يحدث هذا على مسمع من العالم وبصره، وفي العصر الذي راجت فيه -إلى وقت قريب- طنطنة زوال صراع العقائد والأديان، وأنه عصر التسامح.

وأسفرت الأحداث أننا كنا نعيش في أوهام، فإذا كان الاستعمار العسكري قد انتهى، فإنه يحاول استعادة نفوذه -كما يذكر الدكتور أحمد شلبي- بطريق المبشرين أحيانًا، وأحيانًا بطريق عملائه من السكان الأصليين، ويقول (وكان كثير من السكان الأصليين يتجمعون حول راية الإسلام إبان الصراع للتحرر، إذ كانت المسيحية تعد دين المستعمر، والإسلام دين المقاومة، فلما انتهى الاستعمار خفت صوت التجمع الإسلامي، وقلت شوكته بوصفه أدى مهمته، وانتهت أغراضه، في حين زاد التجمع لنشر المسيحية وكثرت وسائله)[3].

كذلك ينبهنا الدكتور أحمد شلبي إلى آثار عمليات التنصير في بلاد المسلمين التي تستغل جهل بعض المسلمين بدينهم أو تنتهز فرص الفقر والمرض لجذب

---

(١) اليهود من كتابهم المقدس- اعداء الحياة الإنسانية ص٤٣- كمال أحمد عون- ط دار الشعب بالقاهرة ١٩٦٩م.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) مقارنة الأديان (٢- المسيحية) ص٣١ مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٦٥، وينظر كتابه (الحروب الصليبية: بدؤها مع مطلع الإسلام واستمرارها حتى الآن) مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٦م. وقد صدّره بعنوان (تحذير للمسلمين) أورد فيه كلمة نيكسون الرئيس الأسبق لأمريكا بمجلة الشئون الخارجية عام ١٩٨٥م قال فيها: (روسيا وأمريكا يجب أن تعقد تعاونًا حاسمًا لضرب الصحوة الإسلامية).

المعوزين والمحتاجين، وآثار ذلك سياسيًا واقتصاديًا، لأن المسيحية التى يعلمها المبشرون ليست المسيحية التى جاء بها عيسى -عليه السلام- (إنما هى التى نسميها «المسيحية السياسية» التى ترمى أولاً إلى ربط دول آسيا وأفريقية بعجلة الغرب عن طريق نشر الدين، وترمى ثانيًا إلى خلق فكر مسيحى يقف أمام المسلمين وأمام الفكر الإسلامى فى جميع الميادين السياسية والاقتصادية والدولية)[1].

وتقتضى المناسبة شرح بعض أبعاد الحركة المسكونية[2] المتولدة من الحركة التبشيرية التى تبناها المؤتمر التبشيرى العالمى بادنبره سنة ١٩١٠م، وقد هذا المؤتمر ١٢٠٠ مندوب أغلبهم من الإنجليز والأمريكان، من بينهم (بلفور) واعتذر (روزفلت) الرئيس الأمريكى الأسبق فى آخر لحظة.

ورأس المؤتمر جون موت الأمريكى ومخطط أعمال التبشير فى المؤتمرات على مدى نصف قرن، وكان شعاره: تنصير العالم خلال ٣٠ عامًا. ومن أقوال بلفور عقب انتهاء المؤتمر: (إن المبشرين هم ساعد لكل الحكومات فى أمور هامة ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيرًا من العقبات)[3].

وعندما نقوم بدراسة الديانتين اليهودية والنصرانية لا ننسى الصلة بين عقائد اليهود والبروتستانت من النصارى، وانه ليس هناك يهودية بلا صهيونية. (٤)

وسنبدأ أولاً باليهودية، ممهدين لذلك بإعطاء فكرة عامة عن تاريخ بنى إسرائيل.

تاريخ بنى إسرائيل:

إن دراسة تاريخ بنى إسرائيل يشكل ركنا مهمًا فى دراسة العقيدة اليهودية والتطورات التى مرت بها، حيث حرفوا الوحى الإلهى بالتوراة الأصلية الضائعة التى

---

(١) المسيحية ص١٣.

(٢) من خطاب اللواء أحمد عبد الوهاب إلى جريدة الأهرام فى ٢٣/٢/١٩٨٩م.

(٣) ويُطلق على بابا روما أنه مسكونى، أى له نفوذ يمتد إلى جميع الأرض المسكونة، كما يُعد مجمع نيقية أول مجمع مسكونى.
ص ٩١، ص١١٦ من كتاب: بابوات من الحى اليهودى.

(٤) ص٩٤ من كتاب د. سعيد اللاوندى ١٤٥ (فوبيا الإسلام فى الغرب)، ويذكر أن المظاهرات اليهودية رفعت شعار (كلنا صهاينة) وحدث هذا فى مدن غربية كبرى مثل باريس وروما ونيويورك ص١٥٦ فى كتاب اليوم (العدد ٤٨١ - ابريل ٢٠٠٢م)

أنزلت على موسى عليه السلام، فقد اصطبغت العقيدة اليهودية بصبغة الأحداث على مراحل تاريخ الإسرائيليين، وصاغها الحاخامات فى كتبهم، ومنها (التلمود)، و(بروتوكولات صهيون) اللتين تعد محتوياتهما المفتاح الحقيقى لفهم شخصية الصهيونى المعاصر. يقول الدكتور على عبد الواحد وافى: (الأسفار الخمسة الخمسة بالتوراة مكتوبة بأقلام اليهود، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التى كانت سائدة لديهم فى مختلف أدوار تاريخهم الطويل)[1].

كذلك فإن الإحاطة بتاريخهم يوضح الحقائق المحيطة بقضايا كثيرة، فإن من أبرز معالم تاريخهم صور العداء مع الشعوب المختلفة. يقول الأستاذ العقاد فى وصفه لطباعهم: (لا يعرف التاريخ لهؤلاء القوم فترة واحدة جمعتهم على ألفة ووئام مع جيرانهم، فدخلوا مصر ونفر منهم المصريون، وعادوا إلى كنعان ونفر منهم الكنعانيون، وقامت لهم فى عهد النبى داود –عليه السلام– فشغلتهم الإغارة على جيرانهم، واتقاء الغارة من أولئك الجيران، ثم جاء سليمان الحكيم –عليه السلام– فبنى لهم الهيكل فثاروا عليه.. ثم انقسموا بعده قسمين: إلى الشمال وإلى الجنوب. وحفظت كتبهم ما قاله الشماليون فى الجنوبيين، وما قاله الجنوبيون فى الشماليين، ثم سباهم البابليون، وحملوهم إلى أرض بابل، فلم تنعقد الألفة بينهم وبين جيرانهم، وسرحهم (كورش) عاهل الفرس بعد حين.. إلى أن يقول فى ختام وصفه لهم: (وجملة تاريخهم بعد العودة من السبى تكرار لهذا التاريخ، ولما تفرقوا فى البلاد بعد هدم الهيكل، حدث لهم فى كل بلد ما حدث فى البلد الآخر)[2]... هذا هو التاريخ العام لهم، وسنعود له مرة أخرى معللين مفسرين.

---

(١) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام، الدكتور على عبد الواحد وافى –مكتبة نهضة مصر بالفجالة– مصر– ١٣٨٤ هـ– ١٩٦٤م.

(٢) الصهيونية العالمية، عباس محمود العقاد ص٤١ مكتبة غريب بالقاهرة ١٩٦٨م أما الانقسام المذكور فالمقصود به: إسرائيل فى الشمال ويهوذا فى الجنوب وقامت الحروب بينهما وظلت مشتعلة الأوار يرثها خلف عن سلف، حتى لتقرأ فى ختام الحديث عن كل ملكين متقابلين فى يهوذا وإسرائيل هذه العبارة بنصها (وكان بينهما حرب كل الأيام). وقال تعالى: ﴿ **بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون** ﴾) ص٦٦. وينظر كتاب (اليهود من كتابهم المقدس) للأستاذ كمال أحمد عون، ص٦٦ / ط دار الشعب عام ١٩٦٩م.

أما عن القسوة والوحشية فى الحروب، فحدث ولا حرج عن بشاعتها مما سجلته التوراة نفسها، كما يقرر العلامة غوستاف لوبون (ويعرف جميع قراء التوراة وحشية اليهود التى لا أثر للرحمة فيها، وما على القارئ، ليقنع بذلك، إلا أن، يتصفح نصوص سفر الملوك التى تدلنا على أن داود كان يأمر بحرق جميع المغلوبين وسلخ جلودهم ونشرهم بالمنشار، وكان الذبح المنظم بالجملة يعقب كل فتح مهما قل، وكان الأهالى الأصليون يوقفون فيحكم عليهم بالقتل دفعة واحدة فيبادون باسم (يهوه) من غير نظر إلى الجنس ولا إلى السن، وكان التحريق والسلب يلازمان سفك الدماء)[١].

وإذا عرفنا من هذه اللمحات فى تاريخ بنى إسرائيل بعض الحقائق المتعلقة بنفسياتهم وطبائعهم التى لم تتغير فى واقعهم المعاصر، فإننا نريد بعد ذلك الوقوف على بعض الواقعات المهمة فى تاريخهم توطئة لاستقراء وقائعها وتحليل أبعادها، بل إن الديانة اليهودية نفسها قد تأثرت بديانات ومعتقدات بابل -بإقرار أحد مراجعهم وهو قاموس التوراة الذى يقرر: (أن تفهم الديانة العبرية مستحيل ما لم تؤخذ بعين الاعتبار، وبشكل مستمر، الديانات والثقافات الأخرى التى نمت وترعرعت فى وادى الفرات . . إن الأصول القضائية البابلية، وكذلك الطقوس المعمول بها فى المعابد البابلية، يجب أن تؤخذ كعوامل حاسمة التأثير على الشرائع العبرانية فى الأصول القضائية والطقوس الدينية)[٢].

إن هذا الخليط من الديانات والثقافات والطقوس أفقد التوراة وحدة الموضوع لأنها ترجع إلى مصادر متعددة (وهو الرأى الذى يجمع عليه العلماء اليوم سواء كانوا من رجال اللاهوت أو غيرهم)[٣].

---

(١) اليهود فى تاريخ الحضارات ص٤٧، غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر -ط عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٩٧٠م. وإننا نعتقد براءة داود عليه السلام مما نسب إليه، ولعل صاحب هذا النص يحاول تبرئة قومه من هذه الأفعال بنسبتها إلى النبى داود عليه السلام، وقد أشار لوبون إلى أن التوراة كتاب ألف فى أدوار مختلفة أشد الاختلاف (ينظر ص٧٢ من المرجع السابق).

(٢) قاموس التوراة -منشورات سكربنبر -نيويورك ١٩٠٩م نقلاً عن: التوراة- تاريخها وغاياتها ص٢٨ -سهيل ديب- ط دار النفائس ١٤٠٦ هـ-

(٣) التوراة الهيروغليفية ص٤٦. للدكتور فؤاد حسنين ط دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة بدون تاريخ

أهم الواقعات التاريخية لبنى إسرائيل:

سنقتصر على أهم الواقعات التاريخية لبنى إسرائيل بغية الإجابة عن السؤال التالى:

هل أقاموا حضارة مستقرة بفلسطين، وكانت لها صفة الاستمرار ومن ثم تصبح دعوى إعادتها دعوى مقبولة على ضوء تاريخ الحضارات التى أقامها غيرها من الأمم؟

وربما كان التطلع إلى إجابة سؤال آخر أهم وهو ....

إذا أقيمت لهم دولة مرة أخرى، هل تلتزم بالقيم الأخلاقية وتقيم كيانًا حضاريًا يفيد البشرية، أم تستأنف نشاطها الهدام العدائى للأمم والشعوب كدأبها طوال تاريخها، ومن ثم يصبح مصيرها إلى الزوال ما دامت قائمة على الاستعمار والظلم واغتصاب الأرض -فلسطين- من أهلها الأصليين[١]؟

إذا بدأنا بتاريخ هجرة يعقوب -عليه السلام- (الملقب بإسرائيل) من بلاد كنعان (فلسطين وما إليها) إلى مصر بسبب المجاعة، قد كان الوزير حينذاك بمصر هو يوسف -عليه السلام- وظلت سلالات بنى إسرائيل بمصر تنعم بالحياة هناك، ثم تغير موقف المصريين القدماء حيث اتخذوا من بنى إسرائيل خدمًا وعبيدا.

وبقى بنو إسرائيل كذلك إلى أن أرسل الله تعالى إليهم وإلى فرعون وقومه رسولين من نسل (لاوى) (ليفى Levi) - أحد أبناء يعقوب هما موسى وأخوه هارون عليهما السلام يدعوانهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الكواكب وأرواح الموتى والملوك والحيوان والنبات.. وظل موسى وفرعون وقومهما فى مشادات مع فرعون حتى أتيح لهم الخروج من مصر إلى سيناء[٢].

وخلال أربعين سنة كان بنو إسرائيل (يتيهون) فى صحراء سيناء عقابًا لهم على رفض الانصياع إلى أوامر موسى -عليه السلام- بدخول الأرض المقدسة وهى فلسطين[٣].

---

(١) زوال إسرائيل حتمية قرآنية، الشيخ أسعد التميمى، ط المختار الإسلامى بمصر.

(٢) يقول الدكتور عمر فروخ بكتابه (الإسلام والتاريخ) ص١٦٢:١٦٣ -ط- دار الكتاب العربى ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م. يقول: إن الأمة التى تزول حضارتها عن سطح الأرض لا تعود مرة ثانية إلى سطح الأرض وبالحضارة التى زالت معها بينما الأرض تموت (ويذوى نباتها ثم يتيبس ويكون حطامًا) ولكنها ترجع فى (العام التالى) إلى الحياة بالنبات الذى كان لها فى العام السابق).

(٣) باختصار من كتاب (الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة قبل الإسلام) ص٧ للدكتور عبد الواحد وافى.

وبعد فناء هذا الجيل الجبان نشأ جيل آخر تمرس بشئون القتال فأكمل الله تعالى دينهم، وأتم عليهم نعمته بعد أن تلقى موسى عليه السلام من ربه عز وجل التوراة.

ثم يأتى الانتصار على يد يوشع خليفة موسى عليه السلام بعد وفاته، على بلاد (كنعان، فلسطين) واحتلوها بعد إبادة معظم أهلها.

ويرى جوستاف لوبون أنه (لم يكن هنالك فتح بالمعنى الصحيح على الرغم من أقاصيص مؤرخيهم المملؤة انتفاخًا ومن تعداد الانتصارات، وتقتيل الأهالى وانهيار أريحا)[١].

ويفسر سبب نجاح بنى إسرائيل بانقسام العشائر الكنعانية قائلاً: (ويفسر انقسام العشائر الكنعانية الكبير حقيقة النجاح الذى ناله بنو إسرائيل القليلو الذوق والضعيفو الأهلية للحرب والسيئو السلاح)[٢].

ولا يقر جوستاف لوبون لبنى إسرائيل بإسهامهم فى أية حضارة، معللا ذلك بأن فلسطين أو أرض الميعاد –لم تكن غير بيئة مختلفة لهم، فالبادية كانت الوطن الحقيقى لهم[٣]، ويحدد بداية تاريخ اليهود الحقيقى فى عهد ملوكهم وربما يقصد بذلك الفترة التاريخية التى أصبح فيها رؤساؤهم ملوكًا ذوى سلطان كبير ومنهم داود وسليمان –عليهما السلام– بعد أن كان رؤساؤهم السياسيون هم القضاة[٤].

أما النكبات التى حلت بهم فإن من أشهرها غارة بختنصر ملك بابل فى سنتى ٥٩٦ و ٥٨٧ ق.م، بما يعرف فى التاريخ (بنفى بابل) حيث ظلوا فى الأسر زهاء

---

(١) اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص٣٤ –جوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر –ط الحلبى بمصر ١٩٧٠م، ويدلل لوبون على مدى تضخيم الانتصارات بقوله: (إن من يقرأ سفر صموئيل وسفر القضاة بشىء من روح النقد يبصر دور العنت الذى جاوزه بنو إسرائيل فى استقرارهم بفلسطين، غير أن هذه الأقاصيص نفسها إذا ما نظر إليها من خلال أبخرة الحماسة الدينية ألقت فى النفوس وهما قائلاً إن ذلك الفتح ساطع معجز) ص٣٦.

(٢) المرجع نفسه ص٦ (ولا يقر لهم بإنشاء أمة إلا ببداية شاول – أو طالوت) فاستحقوا أن تفتح لهم صفحة صغيرة من التاريخ الحقيقى الذى كان لهم فى العالم.

(٣) المرجع نفسه ص٣٢، ويقول فى مقدمة كتابه (لم يكن لليهود فنون ولا علوم ولا صناعة ولا اى شىء تقوم به حضارة) ص١٥.

(٤) الأسفار المقدسة للدكتور وافى ص٨.

خمسين عاما حتى تغلب قورش ملك الفرس على البابليين عام ٥٣٨ ق.م.. فوقعوا تحت سيطرة الفرس زهاء قرنين كاملين، ثم تحت سيطرة المقدونيين خلفاء الإسكندر الأكبر ثم تحت سيطرة الرومان.

وعندما قاموا بثورة فى عهد الإمبراطور أدريان ١٣٥م أخمد الرومان ثورتهم وأخرجوهم من ديارهم، فأصبحوا مشتتين فى مختلف بقاع الأرض(١).

وإذا عدنا إلى الفترة التى سمح لهم قورش بدخول فلسطين، وإعادة بناء هيكلهم، فإنهم لم يتمتعوا خلالها باستقلال حقيقى لأنهم كانوا (مهددين من قبل ملوك فارس الذين كانت تساورهم الريب حول كل حجر يضاف إلى الأسوار آمرين قساة بوقف العمل فى غير مرة)(٢).

لهذا حق لجوستاف لوبون فى تأريخه للحضارات والأمم أن يستخلص أن استقلال اليهود لم يكن غير اسمى، ويستطرد فيقول: (وما فتئ الفرس والأغارقة والرومان يبسطون سلطانهم المرهوب بالتتابع على تلك المملكة الهزيلة، فتتميز هذه المملكة غيظًا من هذا الاستعباد المتصل، فلا تجد ما تتعزى به عن عجزها سوى إلقاء فارغ الخطب)(٣).

ويبدو أن لوبون اكتفى بظاهر الوقائع والأحداث، ولم يتتبع النشاط الخفى لليهود طوال تاريخهم، إذ من دأبهم العمل من وراء الستار وتكوين الجمعيات السرية التى تضم لها الشخصيات من ذوى النفوذ والسلطان، وتعويض النقص فى عددهم باستخدام غيرهم من أعضاء الأحزاب والجماعات والأندية.

ولكن المتابع لأنشطتهم الخفية يقف على محاولاتهم الدائبة للاستحواذ على الثروات، والسيطرة على الأمم، وسعيهم الحثيث للوصول إلى مراكز السلطة السياسية فضلاً عن مسئولياتهم عن الكثير من الثورات والحروب فى تاريخ العالم.

ولقد صدرت فى السنوات الأخيرة -عقب نكبة فلسطين- الكثير من الكتب والبحوث والدراسات حول دور اليهود فى أبرز الأحداث التاريخية والمعاصرة.

---

(١) الأسفار المقدسة للدكتور وافى ص٩.

(٢) اليهود فى تاريخ الحضارات، جوستاف لوبون ص٤١.

(٣) المرجع نفسه.

ومن الوثائق التى تسربت من أحد اجتماعاتهم السرية، ما يكشف النقاب عن بعض هذا الدور، تلك الوثيقة المتضمنة لخطبة أحد كبار الحاخامات فى روسيا قال فيها: (قد بلينا بسبى بابل، وذقنا به مر العذاب، أما الآن فقد صرنا وحدنا القادرين على كل شىء، هدمت هياكلنا، وحرقت مذابحنا، ولكننا شيدنا منها كثيراً، وأقمنا بدلها الآلاف المؤلفة، مضى علينا فى العبودية ثمانية عشر قرنا، وخرجنا من وهدة الذل وعلونا على كل الشعوب)[١].

وعلى أية حال، فقد خدع اليهود الأمم عندنا بنوا حركتهم على صلتهم التاريخية بفلسطين، (مع أن هذه الصلة قد انتفت نهائياً منذ تخريب الإمبراطور تيطس للهيكل سنة ٧٠م وتشتيتهم فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية سنة ١٣٥م فى عهد الإمبراطور هادريان)[٢].

كما ظهر من بينهم من يعارض هذا الزعم. يقول ادوين مونتاجو -الوزير البريطانى (١٩١٦-١٩٢٢): (إننى يهودى، ولكننى أعترف بأنه لا توجد قومية يهودية وأن فلسطين ليست لها علاقة باليهود)[٣].

وقد وُظِّفت العقيدة الدينية اليهودية فى تحقيق إقامة الكيان الصهيونى باسم (إسرائيل)، واتفق على ذلك المتدينون والعلمانيون معاً، وهى ظاهرة تبدو غريبة لأنها تخالف ما عهدناه من الخصومة التقليدية بينهما فى بلاد العالم.

وأرغمت إسرائيل العالم كله على الاعتراف بها، بل أصبحت محط الأنظار وموضع التبجيل والتقدير من الدول الكبرى قبل الصغرى، ويتضح ذلك من مراسم تشييع أحد رجال السياسة والحرب هناك[٤] (شارك فى جنازته خمسون رئيس دولة، إضافة إلى أربعة آلاف من الشخصيات الرسمية من إسرائيل وأنحاء العالم بينهم وفد أمريكى من مائة مسئول فى الإدارة على رأسهم الرئيس كلينتون .. ولم تكتف بريطانيا بإرسال رئيس الحكومة جون ميجور، بل كان هناك أيضاً ولى العهد الأمير تشارلز ... الخ).

---

(١) مكائد يهودية عبر التاريخ -عبد الرحمن حنبكة ص٤١٦ -ط دار القلم بيروت.

(٢) إسرائيل فتنة الاجيال، إبراهيم خليل أحمد ص٣٣١ -مكتبة الوعى العربى ١٩٧٠م.

(٣) نفسه ص٣٠٨.

(٤) مقالة غادة الكرمى (الحياة ٢٣/١١/٩٥) نقلاً عن كتاب (آليات الاختراق الإسرائيلى للمنطقة العربية) ص ٢٨٧ مصطفى عبد الرازق، كتاب الغد - دار الغد العربى - نوفمبر سنة ١٩٩٦م.

أما عن السرّ في التقاء المتدينين مع العلمانيين فيوضحه الكاتب اللبناني وجيه كوثراني الذي قسم الثقافة الإسرائيلية إلى نموذجين:

(أ) ثقافة تقليدية وتلمودية:

تتجه نحو أصول يهودية متعصبة وغير قابلة للتعايش مع الآخر، وهي متواصلة في أصولها المرجعية ومصالحها الراهنة مع الحركات الإنجيلية الأصولية الأمريكية التي انبعثت في عهد ريجان.

(ب) ثقافة صهيونية علمانية مأزومة:

تحاول أن تكيّف وتفسر التراث اليهودي الديني منذ انتصار عصر القوميات في أوروبا حتى الآن في فكر سياسي علماني معاصر مبرّر لنشأة إسرائيل ومواكب لتطورها السياسي والديني وبين حداثتها وتراثها.[1]

****

---

(١) ص ٨٩ من كتاب آليات الاختراق الإسرائيلي - مصطفى عبد الرازق، دار الغد العربي، نوفمبر سنة ١٩٩٦م.

مصادر العقائد والأفكار والخطط اليهودية

سنعرض فى هذا البحث لمصادر العقائد والأفكار والخطط عند اليهود وهى تتكون من :

أولاً : العهد القديم .

ثانيا : التلمود .

ثالثا : بروتوكولات حكماء صهيون .

أولاً : العهد القديم :

وسنتكلم بإيجاز عن كل واحد منها بادئين بالعهد القديم، مستندين إلى تقسيم الدكتور وافى بكتابه (الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام) حيث قسم العهد القديم إلى أربعة أقسام[١] :

القسم الأول :

كُتبْ موسى عليه السلام، أو الأسفار الخمسة وهى : سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر التثنية، وسفر اللاوين، وسفر العدد، وتشتمل هذه الأسفار الخمسة على التوراة فى نظر اليهود .

(١) سفر التكوين :

ويقص تاريخ العالم من تكوين السموات والأرض إلى استقرار أولاد يعقوب فى أرض مصر، مع تفصيل فى قصص آدم (عليه السلام)، وحواء ونوح والطوفان ونسل سام أحد أبناء نوح، وهو الذى انحدر منه شعب بنى إسرائيل)[٢] .

---

(١) ولكن الدكتور حسن ظاظا يحضره فى ثلاثة أقسام : التوراة والأنبياء والكتب (أو أسفار الحكمة) أما التوراة والأنبياء فإنهما يسيران فى نسق تاريخى متصل، ويحكيان قصة حياة العبريين منذ البداية إلى عودتهم من السبى البابلى فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد . أما القسم الثالث وهو الكتب فإنه تراث أدبى يكثر فيه الشعر والأمثال والقصص .

ص١٢-١٣ من كتابه : الفكر اليهودى - أطواره ومذاهبه . دار القلم - دمشق ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م .

(٢) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام، د. على عبد الواحد وافى ص١٤ - مكتبة نهضة مصر ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤م .

(٢) سفر الخروج :

يعرض تاريخ بنى إسرائيل فى مصر، وقصة موسى (عليه السلام) وخروجه مع بنى إسرائيل، وتاريخهم فى أثناء مرحلة (التيه) التى قضوها فى صحراء سيناء واستغرقت أربعين عاماً . وبجانب هذه القصص يشتمل الخروج على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية فى العبادات والمعاملات والعقوبات .

(٣) سفر التثنية :

شغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة وشئون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات .

(٤) سفر اللاوين :

شغل معظمه بشئون العبادات وخاصة ما تعلق منها بالأضحية والقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور . وقد نسب هذا السفر إلى اللاوين، وهم نسل (لاوى Levi) لأنهم سدنة الهيكل، والمشرفين على شئون الذبح والأضحية والقرابين، والقوانين على الشريعة اليهودية .

(٥) سفر العدد :

تضمن إحصائية عن قبائل بنى إسرائيل وجيوشهم وأموالهم[١] .

القسم الثانى :

ويسمى بالأسفار التاريخية، وهى إثنا عشر سفراً تعرض لتاريخ بنى إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين فى فلسطين، وتفصل تاريخ قضاتهم وأيامهم والحوادث البارزة فى شئونهم .

القسم الثالث :

يسمى أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية، وهى أناشيد ومواعظ معظمها دينى وعددها خمسة أسفار .

---

(١) المرجع نفسه ص١٥ .

أما عن اللغة التى دونت بها التوراة أصلاً فهى ليست العبرية، حيث يرى الدكتور فؤاد حسنين أنها دونت بالمصرية القديمة، بل إن موسى عليه السلام وسائر الإسرائيليين لم يتكلموا العبرية بل (الآرمية) ص٨د من كتابه : التوراة الهيروغليفية .

القسم الرابع :

يسمى أسفار الأنبياء، وعددها سبعة عشر سفراً يعرض كل منها لتاريخ نبى من أنبياء بنى إسرائيل الذين أرسلوا إليهم بعد موسى وهارون[1].

وبعد عرض هذا البيان الإحصائى، يأتى دور عرض آراء الباحثين بالأعين الفاحصة المدققة.

موجز لآراء بعض الباحثين:

يلاحظ أنه لم يتعرض باحث -قديمًا أو حديثًا[2] -فى مقارنة الأديان لموضوع مصادر العهد القديم (أو التوراة)[3]، إلا وأثبت أنها ليست التوراة الأصلية التى تلقاها موسى عليه السلام بالوحى[4].

وفى مقدمة مَنْ فحص هذه الأسفار علماءُ الكنيسة الكاثوليكية أنفسهم، حيث بحث المجمع المسكونى الثانى للفاتيكان (١٩٦٢-١٩٦٥) هذه المشكلة التى تتعلق بوجود أخطاء فى بعض نصوص أسفار العهد القديم، وأصدر صيغة تشير إلى وجود شوائب به. وفيما يلى نص الفقرة المدرجة بالوثيقة المسكونية الرابعة :

(بالنظر إلى الوضع الإنسانى السابق على الخلاص الذى وضعه المسيح تسمح

---

(١) المرجع نفسه ص١٥ :١٦.

(٢) وسنعرض فى بحثنا هذا لنموذج من كل منهما : أحدهما صاحبه الإمام ابن حزم، والثانى موريس بوكاى.

(٣) يرى الأستاذ إبراهيم خليل أحمد أن (التوراة) كلمة عبرية بمعنى (قرآن) (كتابه محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن ص٣٥)، بينما يفسرها الدكتور أحمد شلبى بأنها تعنى (الشريعة أو التعاليم الدينية) (كتابه اليهودية ص٢٣٨).

(٤) وبناء على الدراسة النقدية للفيلسوف اليهودى سبينور أثبتت أن موسى (عليه السلام) لم يكتب الأسفار الخمسة، بل كتبها شخص عاش بعده بقرون عديدة ص ٢٧١، ويقرر أننا نجهل مؤلفى كثير من الأسفار، ولا نملك هذه الأسفار فى لغتها الأصلية ص٢٥٥ / ٢٥٦ من كتابه رسالة فى اللاهوت والسياسة ترجمة د. حسن حنفى.

وينظر أيضًا كتاب (التوراة الهيروغليفية) للدكتور فؤاد حسنين على، حيث عرض لعدة شواهد تؤيد الرأى القائل بأن التوراة التى بأيدينا ليست لموسى عليه السلام ص٤٢. كذلك يرجح أنها وثيقة الصلة بالعقيدة المصرية التى بشر بها إخناتون ص٥٩ – ط دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة – بدون تاريخ.

الطريقة التى يتصرف بها الله فى عدله ورحمته مع الإنسان، غير أن هذه الكتب تحتوى على شوائب، وشيء من البطلان، ومع ذلك ففيها شهادة عن تعليم إلهى)[1].

وتقول دائرة المعارف الأمريكية: (لقد كان هناك نشاط أدبى بين الإسرائيليين فى عهد مبكر فسجلوا تقاليدهم القبلية، وقوانين الجماعة الإسرائيلية، وهذا بجانب الأغانى الشعبية وترانيم العبادة، وما ينطق به الكهنة والأنبياء من كهانة ووصايا.. وبعد أن استقرت حياة الطائفة الإسرائيلية بدأت تظهر بالتدريج، وعن غير قصد عناصر من هذه الآداب، اعتبرتها الطائفة ركائز لحياتها العقائدية. وبهذا أعطيت هذه العناصر وقارا خاصا تفردت به وتحولت بذلك إلى كتابات مقدسة. ولا شك أن الكتاب الأصليين لهذه الكتب لم يدر بخلدهم أن ما كتبوه وسجلوه سيكون له مثل هذه القداسة فى حياة الطائفة الإسرائيلية فى يوم من الأيام)[2].

ونفهم من ذلك أن القوانين والتقاليد وترانيم العبادة والأغانى الشعبية اختلطت بأقوال الأنبياء والكهنة، ثم استمدت قدسيتها من كثرة ترديدها جيلاً بعد جيل، وطغت الروح العامة للجماعة فلم يتوقف البعض للفحص والتمييز بين الوحى وغيره، بينما تثبت الدراسة الفاحصة لنصوص كثيرة بالأسفار الخمسة من أول وهلة -كما فعل الأستاذ ديدات -أنها ليست من عند الله تعالى، وقد أثبت ذلك فى أكثر من سبعمائة جملة. وما عليك -هكذا يوجهنا- إلا أن تفتح هذه الأسفار

---

(١) النبوة والأنبياء فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص٢٦٢، للمهندس / احمد عبد الوهاب- مكتبة وهبة بمصر ١٤٠٠ هـ/١٩٧٩م.

(٢) المرجع نفسه ص٢٥٥.

وإلى نفس المضمون تشير دائرة المعارف الفرنسية لاروس، فتقول تحت كلمة (توراة) : (العلم العصرى ولا سيما النقد الألمانى قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة فى الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات، أن التوراة لم يكتبها موسى، وأنها من عمل أحبار لم يذكروا اسمهم عليها، ألفوها على التعاقب معتمدين فى تأليفها على روايات سماعية) ص٩٩ من كتاب : اليهود من كتابهم المقدس، كمال عون.

ويقول رحمة الله الهندى (لم يثبت كون الكتب المسلّمة عندهم المنسوبة إلى الأنبياء بحسب زعمهم كتبًا إلهامية، بل ثبت عكسه وثبت أن بعض مضامين هذه الكتب يجب على كل مسلم أن ينكره أشد الإنكار، وثبت أن الغلط والاختلاف والتناقض والتحريف واقعة فيها جزمًا، فإنى معذور فى أن أقول : إن هذه الكتب ليست كتبًا إلهية، وأن أنكر بعض القصص مثل : إن لوطًا شرب الخمر وزنى بابنته وحملتا بالزنا منه، وأن داود عليه السلام زنى بامرأة أوريا وحملت بالزنا منه، وأشار إلى أمير العسكر لأن يدبر أمرًا يقتل به أوريا .. وأن هارون صنع عجلاً وبنى له مذبحًا فعمده مع بنى إسرائيل وسجدوا له وذبحوا أمامه، وأن سليمان ارتد فى آخر العمر وعبد الأصنام وبنى المعابد لها ... وإنه كان مشركًا .. ص ١٢ / ١٣ / ١٤ كتاب (إظهار الحق..) جـ١ تحقيق د / محمد ملكاوى. رئاسة البحوث العلمية بالرياض ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

فى أكثر من سبعمائة جملة . وما عليك -هكذا يوجهنا- إلا أن تفتح هذه الأسفار عشوائيا وسوف ترى :

(وقال الرب لموسى) سفر الخروج ٦ :١٣ .

(وكلم الرب موسى) سفر الأحبار ١١ :١ .

(فتكلم موسى بين يدى الرب) سفر الخروج ٦ :١

(فقال موسى للرب) سفر العدد ١١ :١١ .

(ثم قال الرب لموسى) سفر التثنية ٣١ :١٤ .

ومن الواضح هنا أن هذه ليست كلمات الرب، ولا كلمات موسى -عليه السلام- فالضمير هنا هو ضمير الغائب كما هو واضح، مما يعنى أن هذا الكلام لشخص ثالث يسجل أحداثًا سمع عنها)[١] .

بمثل هذا المنهج تعرض علماء كثيرون -مسلمون وغير مسلمين - للتوراة بالنقد العلمى، كالتثبت من صحة النصوص بالمقارنة بين السابق واللاحق أو مراجعة التسلسل للواقعات التاريخية، أو التحقق من مدى الاحتفاظ بالنسخة الأصلية التى كتبها موسى عليه السلام، أو الموازنة بين بعض النصوص وبين الديانات والثقافات التى كانت سائدة فى بابل[٢] .

---

(١) هل الكتاب المقدس كلام الله؟ ص٣٩، أحمد ديدات، ترجمة نورة أحمد النومان -ط مكتبة أبو القاسم / جدة .

ويأتى الدكتور فؤاد حسنين أيضًا بعبارات أخرى تتعلق بموسى عليه السلام يستحيل صدورها منه أمثال (وأما الرجل موسى فكان حليمًا جدًا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض) أو (أيضا الرجل موسى كان عظيما جدًا فى أرض مصر فى عيون فرعون وعيون الشعب) كذلك الخبر الخاص بوفاته (فمات هناك موسى عبد الله فى أرض موآب حسب قول الله ودفنه فى الخواء فى أرض موآب مقابل ..) ص٤٢ من كتاب (التوراة الهيروغليفية) .

(٢) يقول الأستاذ موريس فودن ناظر المدرسة العليا فى باريس والمدرس فى القسم الدينى بها عن التوراة : لو سألنا فى أى وقت جمع كل كتاب من كتب التوراة وفى أى حال وظروف، وبأقلام من كتب، لا نجد أحدا يجيبنا عن تلك الأسئلة وما شابهها إلا بأجوبة متخالفة جداً، وإن كافة ما كتب مشكوك فى كاتبه، وإن كل ما فى التوراة هو عبارة عن خليط من كتابات عديدة جدا جمعت فى أجيال متباينة، وأن المذاهب العلمية ترفض أغلب أقوال العلماء النقل التى هى أساس اعتقاد اليهود والنصارى وتقوض بنيان ادعاء السابقين وتبرئ الأنبياء من تلك الكتابات، وأن تصحيح هذه الكتب كالنقش فى الماء أو البناء على الهواء، ولكن ما الحيلة ونحن من مائة سنة حيارى بين أسانيد يمحو بعضها بعضًا ، فالجديد يناقض سابقه والسابق يناقض الأسبق، وقد تناقض أجزاء الدليل الواحد، وأيسنا من الوصول إلى معرفة صاحب الكتاب الحقيقى . وقد صدق على شهادة الأستاذ موريس فودن ٥٠٠ عالم فى جمعية دار المعارف الكبرى بباريس

من كتاب (محمد ﷺ نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن) ص٧١ :٧٢، للمستشار محمد عزت الطهطاوى -مكتبة النور / مصر الجديدة ١٩٨٦م .

والحق أن كثرة المؤلفات الناقدة للتوراة توقعنا فى حيرة: فأيها نختار وأيها ندع؟ وتزداد حيرتنا إذا كان أصحابها من أتباع اليهودية أو النصرانية أنفسهم فضلاً عن من أسلم من كبار علمائهم[1].

ومن بين هذه المؤلفات والبحوث سنقتصر على انتقاء بعض آراء كل من الإمام ابن حزم (المتوفى ٤٥٦ هـ) بكتابه (الفصل فى الملل والنحل)، والطبيب الفرنسى المعاصر موريس بوكاى بكتابه (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم): سنعرض باختصار لنقد الإمام ابن حزم للعقيدة اليهودية ومصادرها، وهو يعد من أبرز العلماء الذين استخدموا المنهج النقدى لمصادر المعلومات للعقائد كاليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها، بعد عرضها على الأدلة العقلية:

يقول ابن حزم: (نذكر إن شاء الله تعالى ما فى الكتب المذكورة من الكذب، لا يشك كل ذى مسكة تمييز فى أنه كذب على الله تعالى وعلى الملائكة عليهم السلام وعلى الأنبياء عليهم السلام، إلى أخبار أوردوها لا يخفى الكذب فيها على أحد كما لا يخفى ضوء النهار على ذى بصر)[2].

ويرى أن الإصرار على الاستمساك بما فى كتبهم من أكاذيب وأباطيل يرجع إلى مكابرتهم لعقولهم وغلبة أهوائهم عليهم وتقليدهم لأسلافهم وعصبية واستدامة لرياسة دنيوية.

---

(١) على سبيل المثال:

- الدين والدولة: على بن ربن الطبرى -تحقيق عادل نويهض.
- فى إثبات نبوة محمد ﷺ دار الآفاق الجديدة ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣م.
- رجال ونساء أسلموا (٣ حلقات)، عرفات كامل العشى -دار القلم- الكويت ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣م.
- محمد ﷺ فى الكتاب المقدس للبروفسور عبد الأحد داود ترجمة فهى شما -مراجعة أحمد محمد الصديق -رئاسة المحاكم الشرعية بقطر ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م.
- إفحام اليهود للسموأل بن يحيى المغربى -تقديم وتحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوى، دار الهدية بمدينة نصر/ مصر/١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م.
- محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، خليل أحمد -مكتبة الوعى العربى.
- حوار فى المسجد النبوى: رزق هيبة -مكتبة التراث الإسلامى بمصر ١٩٨٣م ويحكى قصة إسلام الأستاذ/ زكى عريبى عميد اليهود فى مصر.
- رسالة فى اللاهوت والسياسة، سبينوزا، ترجمة وتقديم د. حسن حنفى -مراجعة د. فؤاد زكريا.

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج١ ص١١٦، ط مكتبة المثنى ببغداد.

ولا يفوته المسارعة بالمقارنة بين مصادرهم ومصادر الإسلام الثابتة اليقينية فيقول: (نحمد الله كثيراً على ما هدانا له من الإسلام ونحلة السنة واتباع الآثار الثابتة ونسأله تثبيتًا على ذلك، وأن يجعلنا من الدعاة إليه حتى يدعونا إلى رحمته ورضوانه عند لقائه... آمين)[١].

ويعد الإمام ابن حزم من أوائل علماء مقارنة الأديان، حيث رسم المنهج ووضع الأساس، كما ناقش بعض علمائهم وأفحمهم بالأدلة العقلية والبراهين المنطقية[٢].

وسنلخص أبرز الانتقادات التى طعن بها التوراة التى بأيدى اليهود، حيث حرِّفت وبدلت.

أماالتوراة الحق التى أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، فإننا معشر المسلمين نقرها (لأنه تعالى أخبرنا بذلك فى كتابه الناطق على لسان رسول الله ﷺ ونقطع على أنها ليست هذه التى بأيديهم بنصها)[٣].

وأول ذلك أن التوراة التى بأيدى (السامرية) غير التوراة التى بأيدى سائر اليهود، يزعمون أنها المنزلة، ويقطعون أن التى بأيدى اليهود محرفة مبدلة، وسائر اليهود يقولون إن التى بأيدى السامرية محرفة ومبدلة.

ويستند أول ما يستند إلى نص فى التوراة منسوب إلى الله تعالى بقوله (أصنع بناء آدم كصورتنا كشبهنا).

ويرى ابن حزم أنه لو لم يقل إلا كصورتنا لكان له وجه حسن ومعنى صحيح، وهو أن نضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة الملك والخلق كما تقول هذا عمل الله، وتقول للقرد والقبيح والحسن هذه صورة الله أى تصوير الله، والصفة التى انفرد بملكها وخلقها، لكن قوله كشبهنا منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبل وأوجب شبه آدم لله عز وجل ولابد ضرورة، وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل إذ الشبه والمثل معناهما واحد وحاشا لله أن يكون له مثل أو شبه (ص٩٥ جـ١ ط صبيح).

وفى النص الذى يتناول لوط – عليه السلام– وعلاقته بابنتيه، يرى الإمام القصة

---

(١) المرجع نفسه ص١٧.

(٢) انظر على سبيل المثال ص٢٠٥ حيث يقول (ولقد فضحت بهذا وجه بعض علمائهم)

(٣) المرجع نفسه ص٢٠٣.

الواردة بالتوراة، ويعلق عليها بوصفها فضائح وسوآت تقشعر من سماعها جلود المؤمنين بالله تعالى، العارفين حقوق الأنبياء عليهم السلام[1].

وكذلك وصفه لإطلاقهم على نبى الله يعقوب عليه السلام، أنه خدع أباه وغشه بأنه من الفضائح والأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات، لأن هذا التصرف مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء، فكيف من نبى مع أبيه النبى أيضاً؟[2].

ويلحق نقده للتوراة بنقده لسائر كتبهم التى يضيفونها إلى الأنبياء عليهم السلام:

منها كتاب يوشع، ففيه براهين قاطعة بأن بعض متأخريهم ألفه لهم، حيث يتضمن نصاً يفيد بناء سليمان بن داود -عليهما السلام، لبيت المقدس.

(ومن المحال الممتنع أن يخبر يوشع أن سليمان -عليه السلام- بنى بيت المقدس ويوشع قبل سليمان بنحو ستمائة سنة)[3].

---

(١) المرجع نفسه ص١٣٣.

(٢) المرجع نفسه ص١٣٧.

(٣) المرجع نفسه ص٢٠٤، ويرى الدكتور حسن حنفى أن النقاد المسلمين اتبعوا هذه الوسيلة للكشف عن تلفيق الروايات، وأن الغالب على دراسات المسلمين هى إثبات التناقض فى النصوص والتحريف فى العقائد، وقد ضرب على ذلك مثلاً بابن حزم: (مقدمته لكتاب: رسالة فى السياسة واللاهوت لسبينوزا ص٢٧. وبهذه المناسبة يحسن توضيح معنى الحديث النبوى المتصل بهذا الموضوع، ومصدرنا كتاب التوحيد للإمام ابن خزيمة حيث قال: أما الحديث (**إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته**) ص٢٦، أولا (**لا يقولن أحدكم لأحد قبح الله وجهك ووجها أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته**) يقول الإمام ابن خزيمة فى شرحه للحديث: اراد ﷺ أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذى أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب ص٢٦ من كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل للإمام ابن خزيمة، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمى -ط دار الكتب السلفية بمصر ١٤٠٣ هـ.

وفى رواية (**لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن**) ص٢٧. ص٢٨ -أ-: ومعناه عند الإمام ابن خزيمة أن إضافة الصورة للرحمن فى هذا الخبر إنما هو من إضافة الخلق إليه لأن الخلق يضاف إلى الرحمن إذا خلقه الله، وكذلك الصورة تضاف إلى الرحمن لأن الله صورها، ألم تسمع قوله عز وجل ﴿**هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه**﴾ فاضاف الله عز وجل الخلق إلى نفسه إذ الله تولى خلقه، وكذلك قوله عز وجل ﴿**هذه ناقة الله لكم آية**﴾ فاضاف الله الناقة إلى نفسه، وقال: ﴿**تأكل فى أرض الله**﴾.. فاضاف الله الأرض إلى نفسه إذ تولى خلقها فبسطها... إلى أن يقول: فما اضاف الله إلى نفسه على مضافين: إحداهما إضافة الذات، والأخرى إضافة الخلق فتفهموا هذين المعنيين لا تغالطوا. =

ويفحص الإمام ابن حزم - بعناية - نصوص الكتاب الذى يسمونه (الزبور) ويتضمن المزامير المنسوبة إلى داود عليه السلام، ويبين مخالفتها الصريحة لأدلة العقل الصحيحة، منها فى المزمور الأول : (قال لى الرب أنت ابنى أنا اليوم ولدتك) ويتساءل الإمام فى هذا الموضع فيقول : (فأى شىء تنكرون على النصارى فى هذا الباب، ما أشبه الليلة بالبارحة) ؟

وفيه فى المزمور الرابع والأربعين منه (عرشك يا الله فى العالم وفى الأبد قضيب العدل قضيب ملكك أحببت الصلاح وأبغضت المكروه، ومن أجل ذلك دهنك إلهك بزيت القرح بين إشراكك)[1].

ويتضح من هذا النص إثبات إله آخر وهذا دين النصارى، وبعده يأتى نص آخر يخاطب الله تعالى : (وقفت زوجتك عن يمينك وعقاصها من ذهب، أيتها الإبنة اسمعى وميلى بأذنيك وأبصرى، وآنسى عشيرتك وبيت أبيك، فيهواك الملك وهو الرب والله فاسجدى له طوعًا) .

وعندئذ يعلق ابن حزم مبديًا تعجبه الشديد على النص والسابق عليه فيقول : (ما شاء الله كنا أنكرنا الأولاد فأتونا بالزوجة والأختان، تبارك الله فما نرى لهم على

= ب : فمعنى الخير إن صح عن طريق النقل مسندًا -فإن ابن آدم خُلق على الصورة التى خلقها الرحمن حين صور آدم ثم نفخ فيه الروح، قال الله عز وجل ﴿ خلقكم ثم صوركم ﴾ . ص٢٨ من كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل للإمام ابن حزيمة .

(١) ويقول ابن حزم (هذه سواة الأبد ومضيعة الدهر وقاصمة الظهر وإثبات إله آخر على الله تعالى دهنه بالزيت إكرامًا له ومجازاة على محبته الصلاح وإثبات إشراك الله تعالى . ص٢٠٥ .

ويلاحظ أن الفصل الثانى والعشرين من سفر الخروج يتكلم عن حكم الآلهة مرارًا وتكرارًا ولا سيما فى المباهلة (وإذا لم يوجد السارق يقدم صاحب المنزل إلى الآلهة ليحلف) . . (وكل دعوى جناية فإلى الآلهة ترفع . . ومن تحكم الآلهة عليه يعوض صاحبه مثلين) . من كتاب (التوراة بين الوثنية والتوحيد) سهيل ديب -دار النفائس ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م .

وما زال اليهود إلى الآن يدعون مع الله آلهة أخرى . انظر وثيقة الحاخام جوهاشيم برن، الذى شرح بها وثائق المخطط السرى اليهودى الأخير . وقال : (أيها الرفاق، هنيئًا لكم قرب تحقق وعود (يهوه) و(أدونارى) الكبير رب الأرباب، هذه الوعود هى أكثر مما نستحق، فلنتضرع إلى الآلهة لتستجيب دعاءنا .

من كتاب (مكايد يهودية) -عبد الرحمن حنبكة ص٣٩٥) .

النصارى فضلاً أصلاً ونعوذ بالله من الخذلان)[١].

ويمضى فى نقده على هذا المنوال مستنداً إلى عقيدة التوحيد والتنزيه لله سبحانه.

ثم ينتقل إلى عرض بعض النصوص التى تتصل بالإيمان بالآخرة والبعث، فمنها ما يتفق مع قول الملحدين الدهرية مثل (الناس كالشعب إذا خرجت أرواحهم نسوا ولا يعلمون مكانهم ولا يفهمون بعد ذلك).

ويرى الإمام ابن حزم أن دين اليهود يميل إلى هذا ميلاً شديداً لأنه ليس فى توراتهم (ذكر معاد أصلاً ولا الجزاء بعد الموت وهذا مذهب الدهرية) ثم يستنتج أن ما حوته كتبهم من عقائد باطلة يصبح حجة لنا على قيامهم بالتبديل والتحريف، ومعجزة لنبينا ﷺ[٢].

وقد اطلع ابن حزم على ما كتبه الأحبار فى (التلمود) مبيناً أن اليهود أخذوا دينهم من الأحبار وإليهم يرجعون فى نقلهم لتوراتهم، وكتب الأنبياء وجميع شرائعهم، وهم الذين بدلوا الدين بأنهم عملوا لهم هذه الصلوات عوضاً مما أمر الله تعالى به من القرابين[٣]، ثم يسرد بعض النصوص التى تعد حقاً من الخرافات التى كتبها الأحبار، وقد حصنوا أنفسهم بقداسة خاصة ومكانة يرتفعون بها حتى على الله تعالى، (فمما أجمع أحبارهم لعنهم الله أن من شتم الله تعالى وشتم الأنبياء يؤدب، ومن شتم الأحبار يموت أى يقتل)[٤].

ومن أعجب الوقائع التى يسجلها ابن حزم وسمع علماءهم يذكرونه ولا يتناكرونه أن أحبارهم اتفقوا على أنهم (رشوا بولس البنيامينى -لعنه الله- وأمروه بإظهار دين عيسى -عليه السلام- وأن يضل أتباعهم ويدخلهم إلى القول بألوهيته، وقالوا له نحن نتحمل إثمك فى هذا، ففعل وأبلغ من ذلك حيث قد ظهر)[٥].

---

(١) المرجع نفسه ص٢٠٦.

(٢) المرجع نفسه ص٢٠٧.

(٣) المرجع نفسه ص٢١٧.

(٤) المرجع نفسه ص٢٢١.

(٥) المرجع نفسه ص٢٢١.

ثم يقارن بين ما أحدثه (بولس) في النصرانية وما حاوله عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء اليهودى الحميرى لعنه الله ليضل من أمكنه من المسلمين (فنهج طائفة رذلة كانوا يتشيعون في على رضى الله عنه أن يقولوا بألوهية على)(١).

وإن كان اليهود قد نجحوا عن طريق بولس فى إفساد دين النصارى فإنهم لم يحققوا مآربهم في الإسلام، إذ لم يؤثر ابن سبأ إلا فى قلة ضئيلة، وهم الباطنية والغالية من الشيعة.

وكان العاصم من الوقوع فيما وقع للنصارى، سلامة منهج المسلمين فى القبول والتلقى، حيث إننا (لا نصدق فى ديننا بشيء أصلاً إلا ما جاء فى القرآن وما صح بإسناد الثقات ثقة عن ثقة، حتى يبلغ إلى رسول الله ﷺ فقط وما عدا هذا فنحن نشهد أنه باطل)(٢).

ويتضح لنا مما تقدم براعة الإمام ابن حزم فى نقده لنصوص الكتب الدينية عند اليهود، ومن ثم فإنه قد سبق عصره من حيث وضع المنهج فى نقد نصوص الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى، بينما لم يعرف علماء الغرب هذا المنهج إلا أخيراً جداً فى العصر الحديث. وفى هذا الصدد يقول موريس بوكاى: (إن معالجة الكتب المقدسة من خلال علم الدراسة النقدية للنصوص شيء قريب العهد فى بلادنا، ففيما يخص العهد القديم والعهد الجديد، ظل الناس يقبلونها على ماهما عليه طيلة قرون عديدة)(٣).

وفى التمهيد للحديث عن الأناجيل، يذكر موريس بوكاى أن قراءة النصوص الكاملة تثير اضطراباً عميقًا لدى المسيحيين وأغلبهم لا يعرف من الأناجيل إلا مقاطع مختارة تُقرأ عند القداس أو المواعظ، ولم تكن كتب التعليم تحتوى إلا على مقاطع مختارة من الأناجيل، ويقول: (وإذا وضعنا حالة البروتستانت جانباً فإنه لم تكن قراءة الأناجيل فى كليتها أمراً سائداً فيما عدا بعض المناسبات) ثم يحكى عن

---

(١) المرجع نفسه ص٢٢٢.

(٢) المرجع نفسه ص٢٢٤.

(٣) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم -دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، تأليف موريس بوكاى، الترجمة العربية -دار المعارف بمصر ١٩٨٧ م ص٩.

نفسه أيام الدراسة بالمرحلة الثانوية أنه لم توضع تحت يده نسخة من العهد الجديد بأكمله، وكان يتمنى الاطلاع على النص اليوناني، ولكن يعلل حجبه بواسطة أساتذته والامتناع عن تكليف الطلاب بالترجمة بأنه كان سيؤدى إلى طرح أسئلة، الرد عليها محرج[1].

وباتساع دائرة الروح النقدية عند قراءة الأناجيل بأكملها دفع الكنيسة إلى التدخل لمساعدة القراء للتغلب على حيرتهم، ويلخصُ بوكاى بعض أسباب الحيرة، فمنها كثير من المجاهيل لكتّاب لم يُتأكدَ من هويتهم، ومنها أن هذا المبشر أو ذلك كان شاهداً عياناً لأحداث محددة بينما تدعى دراسات متخصصة عكس ذلك، ومنها تقليل المسئولين من شأن الفترة الزمنية الواقعة بين نهاية رسالة المسيح – عليه السلام – وبين ظهور النصوص لإيهام الناس بوجود صيغة واحدة اعتمدت على تراث شفهى، بينما أثبت المتخصصون أن هذه النصوص أصابتها تعديلات كثيرة، ومنها محاولة تجنّب الأمور غير المعقولة أو المتناقضات أو الأخطاء الصارخة بحجج مديحية بارعة .ويضرب بوكاى مثالاً على مثل هذه المشكلات فيقول: (لا متّى ولا يوحنّا يتحدثان عن صعود المسيح – عليه السلام – أما لوقا فإنه يحدده بيوم القيامة فى إنجيله، وبعد أربعين يومًا فى – أعمال الرسل – التى يقال إنه كاتبها . أما فيما يخص مرقص فإنه يشير إليه (دون تحديد تاريخه)، وذلك فى خاتمة تعتبر حاليًا غير صحيحة . وعلى ذلك فليس للصعود أى قاعدة كتابية متينة . برغم ذلك فإن المعلّقين يتعرضون لهذه المسألة المهمة باستخفاف لا يُصدّق)[2].

ويعرض بعد ذلك للنتائج التى ترتبت على استخدام علم نقد النصوص حيث تم اكتشاف مشاكل مطروحة وخطيرة، منها ما توصل إليه بعض المؤلفين من المتناقضات والأمور البعيدة عن التصديق لكل من يريد أن يحتفظ بسلامة مقدرته على التفكير وحسه الموضوعى، وكان من المأمول التصريح بوجود هذه المتناقضات ولكن نرى الدكتور بوكاى يأسف حقًا لذلك الموقف الذى يهدف إلى تبرير الاحتفاظ فى نصوص التوراة والإنجيل ببعض المقاطع الباطلة خلافًا لكل منطق .

---

(١) القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل والعلم: ص ٦٥ دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاى ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٩م.

(٢) نفسه ص ٦٦/٦٧.

ويختم هذا الأسف بقوله: (ومع ذلك فقد أثبتت التجربة أنه إذا كان بعضهم قادر على فضح بعض مواطن الضعف من هذا النوع، فإن الغالبية من المسيحيين لم تدرك حتى الآن وجود هذا الضعف، وظلت فى جهالة تامة من أمر ذلك التناقض مع المعارف الدنيوية التى تعتبر غالبًا من المعارف الأساسية جدًا)(١).

وكشأن إمامنا ابن حزم، أقدم الدكتور موريس بوكاى على عقد مقارنة بين نصوص كتب اليهود والنصارى وبين القرآن الكريم، وخلص منها إلى التأكد بأن القرآن هو الوحى الذى أنزل على محمد ﷺ عن طريق جبريل -على السلام- وقد كتب فور نزوله، ويحفظه ويستظهره المسلمون عند الصلاة، وأنه لا يحتوى على مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العالم الحديث.

وكان لدى هذا العالم من الأمانة والشجاعة الأدبية بأن يصرح بذلك معلنا عن نتيجة بحثه المنهجى الموضوعى، فقال: (لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أى فكر مسبق، وبموضوعية تامة بحثا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث. وكنت أعرف قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات، أن القرآن يذكر أنواعًا كثيرة من الظواهر الطبيعية، ولكن معرفتى كانت وجيزة. وبفضل الدراسة الواعية للنص العربى، استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث)(٢).

وسنعرض فيما يلى بإيجاز لنقده للتوراة فى ضوء المعارف الحديثة:

---

(١) المرجع نفسه ص١٠.

(٢) المرجع نفسه ص١٣. وتأمل فى بيان ذلك قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. ونحن نرى بوكاى فى اتباعه هذه الطريقة فى البحث عن الحق مستضيئًا بنور الفطرة، لينقذ نفسه من أسر البيئة وأغلال التقاليد حوله، بخلاف أترابه الذين خضعوا لها. ويصور لنا الدكتور وولتر أوسكار لند برج التجربة التى يمر بها أثناء مراحل طلب العلم فيقول: (وحتى عندما تتحرر عقول الناس من الخوف، فليس من السهل أن تتحرر من التعصب والأهواء، ففى جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم فى إله هو صورة الإنسان، بدلاً من الاعتقاد بأن الإنسان قد خلق خليفة الله على الأرض. وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية، فإن تلك الصورة التى تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تسمح مع أسلوبهم فى التفكير، أو مع أى منطق مقبول. وأخيراً عندما تفشل جميع المحاولات فى التوفيق بين تلك الأفكار الدينية =

تتكون التوراة من خمسة أجزاء كما بينا آنفًا حسب عقيدة اليهود وهى: التكوين، والخروج، وسفر اللاوين، وسفر العدد، وسفر التثنية.

وتتناول التوراة موضوعات كثيرة، منها أصل الكون وحتى دخول الشعب اليهودى أرض كنعان، الأرض الموعودة بعد الخروج من مصر، وبالتحديد حتى موت موسى -عليه السلام- وتستخدم حكاية هذه الأحداث كإطار لعرض التدابير الخاصة بالحياة الدينية، والحياة الاجتماعية للشعب اليهودى، ومن هنا جاء اسم التوراة، أى الناموس(١).

وظلت اليهودية والمسيحية لقرون طويلة تعتبران أن موسى -عليه السلام- هو كاتب التوراة اعتماداً على ما ورد فيها من أقوال مثل قول الرب (اكتب هذا تذكاراً فى الكتاب)، أو ما ورد فى سفر العدد (وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب)، أو الآية الواردة فى سفر التثنية (وكتب موسى هذه التوراة).

وابتداء من القرن الأول قبل الميلاد، كان هناك دفاع عن الرأى القائل بأن موسى -عليه السلام- قد كتب الأسفار الخمسة كلها، أما اليوم فقد هجر هذا الفرض تمامًا، وبدأ العلماء يشككون فيه، حيث رأى أحدهم استحالة أن يكون موسى -عليه السلام- قد كتب بنفسه كيف مات(٢).

وقد قام ريشار سيمون بدراسة هذه القضية بكتابه (التاريخ النقدى للعهد

= القديمة، وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمى نجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كلية). من كتاب (الله يتجلى فى عصر العلم) ص٣٨ ترجمة د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، مراجعة وتعليق د. محمد جمال الدين الفندى.

ونحن نحمد الله تعالى، على أن علماءنا لا يمرون بهذه الأزمات لأن الحقائق العلمية الكونية والطبيعية لا تتعارض مع الآيات القولية -أى القرآن الحكيم -كما أثبت بوكاى وكما دلنا على ذلك علماؤنا من قبل، ومنهم الإمام ابن القيم.

(١) المرجع نفسه ص٢٦.

(٢) المرجع نفسه ص٢٧. ويذكر الدكتور حسن حنفى أن آباء الكنيسة ظنوا قديمًا أن موسى عليه السلام هو مؤلف التوراة، وظل هذا الاعتقاد فى العصر الوسيط حتى جاء سبينوزا ولوذز وشككا فى نسبة الأسفار إلى موسى عليه السلام، ثم ظهر نقاد كثيرون حتى أتى فلاوزن وأعلن نظريته المشهورة القائمة على المصادر الأربعة متأثرًا بأفكار هيكل عن تطور التاريخ) (مقدمة كتاب: رسالة فى اللاهوت والسياسة لسبينوزا ص٢٣ / ٢٤ - وظهر نقاد كثيرون بفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة والدانمارك.

القديم) نشره ١٦٧٨م، وفيه يؤكد الصعوبات الخاصة بتسلسل الأحداث والتكرارات وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب فى أسفار موسى الخمسة.

ثم قام جان استروك ١٧٥٣م بدراسة أخرى نشرها على الملأ بناء على ملاحظة أساسية هى: وجود نصين جنبًا إلى جنب فى سفر التكوين يحتوى كل منهما على خاصية مختلفة فى تسمية الرب: إذ يسميه أحدهما بيهوه، ويسميه الثانى بألوهيم(١).

وهناك أخطاء أخرى ذات طابع تاريخى اكتشفها عدة مفسرين يهود ونصارى، حيث وقفوا على عدة تعديلات مختلفة وإضافات لاحقة للنصوص الأصلية:

وعلى سبيل المثال قدم الأب ديفو، بالنسبة لأسفار موسى الخمسة وحدها فى المقدمة العامة التى تسبق ترجمته لسفر التكوين، قدم تفصيلاً بكثير من النقاط المتنافرة التى لا يبدو لنا أن الفكرة العامة التى نستطيع الخروج بها من هذه الأخطاء، هو أنه لا يجب أن نأخذ النص مأخذا حرفيًا(٢).

وقد خلص موريس بوكاى فى دراسته القيمة إلى القول بأن سفر التكوين يتضمن أكثر المتناقضات وضوحًا مع العلم الحديث ويحصرها فى ثلاث نقاط جوهرية:

١- خلق العالم ومراحله.

٢- تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض.

---

(١) (٢) المرجع نفسه ص٢٨، ٣٩.

ويرى الدكتور حسن ظاظا أن النص التوراتى ليس له سياق موحد بل يرتد إلى أربعة ينابيع هى:

١- مصدر يحمل اسم (يهوه) علمًا على رب العبريين الوطنى القديم ورواته كانوا من الجنوب.

٢- مصدر يحمل اسم (ألوهيم) علمًا على الله باسمه المنتشر فى أسباط إسرائيل بالشمال.

٣- مصدر تشريعى بحت.

٤- حواشى الكهنة (الفكر الدينى اليهودى ص٢٦-٢٧).

كذلك يذكر الدكتور فؤاد حسنين أن نقاد التوراة أدركوا منذ قرنين أن قصص سفر التكوين تختلف فيما بينها حول لفظ الجلالة، فأحيانا تستخدم لفظ (يهوه) وأخرى اسم (ألوهيم) وأدى ذلك إلى القول باعتماد التوراة على مصدرين مختلفين). التوراة الهيروغليفية ص٤٦.

٣- رواية الطوفان[١].

أولاً: خلق العالم ومراحله:

(أ) تتحدث بعض الآيات فى الإصحاح الأول عن (النور) الذى يضىء نهاراً فى صباح اليوم الأول من أيام الخلق كما تروى التوراة، بينما لا تذكر التوراة (أنوار) السموات فى سفر التكوين إلا فيما يتعلق بخلق اليوم الرابع.

يبدو من غير المنطقى هنا أن يوجد النور أولاً، ولأن الليل والنهار لا يتعاقبان إلا بعد وجود الأرض ودورانها تحت نجمها الخاص بها أى الشمس[٢]. فكيف يظهر ضوء الشمس أولاً -أى النور- بينما لم تخلق إلا فى اليوم الرابع حسب رواية التوراة؟

(ب) تحتوى إحدى الفقرات التى تتحدث عن ترتيب المخلوقات على مزاعم لا يمكن قبولها فى ضوء العلم الحديث، إذ يشير سفر التكوين إلى خلق الحيوانات الأرضية فى اليوم السادس بعد ظهور الطيور، وهذا الأمر غير مقبول على ضوء المعلومات العلمية الحديثة كما يرى موريس بوكاى.

(جـ) وتنتهى رواية الخلق بالنص على أن الله تعالى فرغ فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، فاستراح فى اليوم السابع (تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً).

ولا نستطيع المرور على هذا القول بغير تعليق، فإن الله تعالى ليس كمثله شىء، لا فى ذاته، ولا فى صفاته، ولا فى أفعاله، وقد رد على هؤلاء المغضوب عليهم بقوله: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ**﴾ [ق: ٣٨].

وبيت القصيد فى النقد الموجه إلى النص التوراتى يتلخص فى أنه يقسم روايته إلى أيام بالمعنى الدقيق، أيام الأسبوع الذى نعرفه ونقدره فى حياتنا الدنيوية، بينما من المعروف تماماً من وجهة النظر العلمية فى أيامنا أن تشكل الأرض والكون قد تم

---

(١) المرجع نفسنه ص٤٠. والواقع أن الدراسة النقدية لم تقتصر على استروك والآب ديفو حيث توالى العلماء والباحثون فى نقد التوراة، الأمر الذى أدى بان أنشأ البابا (لجنة التوراة) عام ١٩٠٦م من أجل الحد من النظريات النقدية، ومع هذا توالت واستمرت. ينظر تعليق د. حسن حنفى بكتاب سبينواز (رسالة فى اللاهوت والسياسة) ص٢٣/٢٤.

(٢) المرجع نفسه ص٤١.

على فترات زمنية شديدة الطول، لا تسمح المعطيات الحديثة بتحديد مدتها حتى تقريبياً.

لذلك فإن تعاقب الأحداث فى النص الكهنوتى يناقض المعلومات العلمية الأصيلة(١).

وقد تنبه الأستاذ موريس بوكاى -عندما قارن بين الأيام فى التوراة والقرآن- إلى أنها تعنى (مراحل)، أو (فترة زمنية) وليس الأيام المتداولة بيننا فى الدنيا ودليله على ذلك فى آيات منها ما قاله تعالى: ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ﴾ [السجدة: ٥]، وقوله عز وجل ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ [المعارج: ٤]، ويقرر بوكاى فى النهاية: (فمن حقنا إذن أن نقبل، فيما يتعلق بخلق العالم، بقول القرآن ضمناً بفترات زمنية طويلة رقمها بالعدد ٦، ولا شك أن العلم الحديث لم يسمح للناس بتقرير أن عدد المراحل المختلفة للعمليات هو ستة مراحل، ولكنه قد أثبت بشكل قاطع أنها فترات زمنية طويلة جداً تتضاءل إلى جانبها الأيام كما نفهمها، وتصبح شيئاً تافهاً)(٢).

---

(١) المرجع نفسه ص٥٤ والكهنوتى نسبة إلى الكهنة الذين أعادوا روايتى الخلق على مشيئتهم.

(٢) المرجع نفسه ص١٦٠. «ويقول سبينوزا (إننا نرى معظم اللاهوتيين وقد انشغلوا بالبحث عن وسيلة لاستخلاص بدعهم الخاصة وأحكامهم التعسفية من الكتب المقدسة بتأويلها قسراً، وبتدبير هذه البدع بالسلطة الإلهية.. ويصفهم بأنهم الذين لم يتورعوا عن تحريف الكتاب فى مواطن كثيرة). ص٢٤١ من كتاب (رسالة فى اللاهوت والسياسة). وبمناسبة الحديث عن التأويل كأحد الطرق لتحريف النصوص بطريقة غير مباشرة، فإننا نرى لزاماً علينا تصحيح الخطأ الذى وقع فيه الدكتور حسن حنفى فى مقدمته لكتابه (سبينوزا) ص٤٣ عندما عرض لمنهج ابن ميمون الفيلسوف اليهودى ومؤداه (إذا تعارض العقل مع النقل «المعنى الحرفى» وجب تأويل النص) ورأى تدعيمه بنص لابن تيمية ظن أنه يؤيد هذا المنهج. ويلزمنا تصحيح النص المقتبس بسبب اللبس الذى وقع فيه د. حسن حنفى حيث ظن أنه رأى ابن تيمية، بينما الصحيح أن الشيخ أورده منسوباً إلى الرازى ومن نحا نحوه من المتكلمين الذين يرون تقديم الدليل العقلى على الدليل السمعى إذا تعارضا فى تصورهم.

والنص المنسوب لابن تيمية على هذا النحو مبتسر، ولو أكمله الدكتور حسن حنفى لوجد فى نهايته ما ينقضه من أساسه لأن ابن تيمية عقبه بالتعليق عليه بقوله (ومثل هذا القانون الذى وضعه هؤلاء -يقصد المتكلمين كالرازى ومن اتبعه- يضع كل فريق لأنفسهم قانوناً فيما جاءت به الأنبياء عن الله فيجعلون الأصل الذى يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا أن عقولهم عرفته، ويجعلون ما جاءت به الأنبياء تبعاً، فما وافق قانونهم قبلوه، وما خالفه لم يتبعوه، وهذا يشبه ما وضعته النصارى من أمانتهم التى جعلوها عقيدة إيمانهم وردوا نصوص التوراة والإنجيل إليها).

من كتاب (بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) ص٣. على هامش كتاب (منهاج السنة) أو =

ثانيًا: تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض:

يحدد التقدير العبرى الوارد بالعهد القديم تاريخ خلق العالم بسبعة وثلاثين قرنًا قبل الميلاد، وهو مخالف تمامًا لما نعرفه بواسطة العلم الحديث، إذ من العسير معرفة ما يتعلق بخلق الكون، وكل ما يمكن تحديده على وجه التقريب هو تكون النظام الشمسى تقريبًا بأربعة مليارات ونصف من السنوات(١).

كذلك أخطأت التوراة فى سفر التكوين عندما حددت الفترة الزمنية التى تفصل بين إبراهيم وآدم -عليهما السلام- فأدت إلى الزعم بأن آدم عليه السلام كان قبل المسيح بثمانية وثلاثين قرنًا.

وقد ثبت أن هذه التقديرات الوهمية من عمل الكهنة اليهود فى القرن السادس قبل الميلاد، وتتعارض مع المكتشفات العلمية التى حددت تاريخ الخلق بعصر سابق بكثير(٢).

ويقرر موريس بوكاى بأنه لا أحد يستطيع أن يحدد بشكل دقيق تاريخ ظهور الإنسان، ومع ذلك فيمكن التأكيد بوجود أطلال الإنسانية مفكرة وعاملة ويحسب قدمها بوحدات تتكون من عشرات من ألوف السنين.

وعلى أى حال فإن المعطيات العلمية تسمح بتحديد تاريخ الإنسان أبعد بكثير من العصر الذى يحدده سفر التكوين لأوائل البشر(٣).

قال تعالى: ﴿ **وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [الفرقان: ٣٧].

ثالثًا: رواية الطوفان:

يبدأ موريس أولا فيبين أن الإصحاحات ٦، ٧، ٨ من سفر التكوين مخصصة لرواية الطوفان، ولكنها تتضمن روايتين منفصلتين فى مقاطع متداخلة كل فى الآخر مما يجعلها تتناقض مع بعضها البعض تناقضًا صارخًا، حيث يحاول اليهود

= (درء تعارض العقل والنقل) بتحقيق د. محمد رشاد سالم. وينظر معجم أعلام الفكر الإنسانى - تصدير د. إبراهيم مدكور المجلد الأول -ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر ١٩٨٤- مادة ابن تيمية (ص٧١-٨٤).

(١)، (٢)، (٣) المرجع نفسه ص٤٧، ٥٠، ٥١.

تعليل هذا التناقض بسبب اختلاف مصدريهما، أى المصدر اليهودى، والمصدر الكهنوتى. وعلى أية حال، فإن الرواية فى شمولها هى كما يلى:

(لما عم فساد البشر أراد الله تعالى تدميرهم، فحذر نوحًا وأمره ببناء السفينة التى سيدخل بها وزوجته وأولاده الثلاثة بزوجاتهم الثلاث، وكائنات أخرى حية، ويختلف المصدران بالنسبة للكائنات الحية، فهناك مقطع من الرواية (وهو كهنوتى الأصل) يشير إلى أن نوحًا قد أخذ زوجًا من كل نوع، ثم يحدد المقطع التالى (وهو من الأصل اليهوى) أن الله قد أمر بأخذ سبعة من كل نوع من ذكر وأنثى من الحيوانات المسماه بالطاهرة، وزوجا واحداً من الحيوانات المسماة بغير الطاهرة ولكن بعد ذلك يتحدد أن نوحًا لن يدخل إلى السفينة فعلاً إلا زوجًا من كل نوع من الحيوانات. ويؤكد المتخصصون، مثل الأب ديفو أن المعنى به هنا هو مقطع معدل من الرواية اليهودية)[١].

كذلك فما يدل على الاختلاف بين النص اليهودى، والنص الكنهوتى أن الأول يشير إلى أن عامل الطوفان هو ماء المطر، بينما يشير الثانى إلى الطوفان مزدوج، أى ماء المطر والينابيع الأرضية[٢].

كذلك هناك اختلاف بين النصين فى مدة الطوفان، إذ تقول الرواية الأولى اليهودية: أربعون يومًا فيضانًا، على حين يقول النص الكنهوتى: مائة وخمسون يومًا.

وحسب تسلسل ميلاد الأنبياء الثلاثة آدم ونوح وإبراهيم – عليهم السلام – فإن التوراة تحدد مولد إبراهيم عليه السلام بثلاثة قرون بعد الطوفان.

ولكن حسب الرواية الواردة فى التوراة تبين أن الطوفان عم كل الجنس البشرى، وكل الكائنات الحية التى خلقها الله تعالى قد فنيت.

وعندئذ يتساءل موريس بوكاى: هل من المعقول أن البشرية –والأمر كذلك– قد أعادت تكوين نفسها ابتداء من أولاد نوح وزوجاتهم فى هذا الزمن القليل؟

---

(١) المرجع نفسه ص٥٢.

(٢) المرجع نفسه –ربما يقصد بوكاى بالمصدر اليهودى، المصدر الإلهى والكهنوتى نسبة إلى الكهنة.

ويقرر بناء على هذه الملاحظة البسيطة عدم معقولية هذا النص(١).

وتلك هى الملاحظة الأولى...

أما الملاحظة الثانية فتتضح على ضوء المعارف الحديثة التى تثبت استحالة صحة رواية الطوفان الواردة فى التوراة: وتوضيح ذلك أن الطوفان حسب تقدير هذه الرواية يكون قد وقع فى القرن الـ٢١ أو الـ٢٢ قبل الميلاد، أى فى عصر كانت قد ظهرت قبله فى نقاط مختلفة من الأرض حضارات انتقلت أطلالها للأجيال التالية، وهو ما تؤكده المعارف التاريخية الحديثة(٢).

ففى مصر مثلاً يقابل التاريخ (٢١٠٠ ق.م) الفترة الوسطى الأولى قبل الأسرة الحادية عشرة. وفى بابل أسرة أور الثالثة.

وعلى ذلك يتضح أنه لم يحدث انقطاع فى هذه الحضارات، وبالتالى لم تفن البشرية كلها كما تقول التوراة.

وفى ضوء ذلك كله -كما يرى موريس بوكاى- فإن النصوص التوراتية التى وصلت إلينا لا تعبر عن الحقيقة، ثم يتساءل متعجباً: هل أنزل الله تعالى شيئًا غير الحقيقة؟

ولما كانت الإجابة قطعًا بالنفى، فلابد من افتراض وجود تحريف بواسطة البشر، لا سيما إذا عرفنا أن مؤلفًا مثل سفر التكوين قد عدل على الأقل مرتين على مدى ثلاثة قرون.

---

(١) ومما تجدر الاشارة إليه ان الآية القرآنية خصصت قوم نوح فحسب (قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: ٣٧].

قال صديق خان [واصناف الامم المشرقية ينكرون الطوفان، واقر به بعض الفرس، لكنهم قالوا لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب، ولم يعم العمران كله ولا غرق إلا بعض الناس ولم يتجاوز عقبة حلوان، ولا بلغ ممالك المشرق] ص ٨ ويقول ص٧١ [واعلم ان الفرس والهند لا يعرفون الطوفان] لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م.

وقال ابن خلدون: (واعلم ان الفرس والهند لا يعرفون الطوفان وبعض الفرس يقولون كان ببابل فقط).

وقال المقريزي في كتابه (المواعظ ..): [الفرس وسائر المجوس والكلدانيين اهل بابل والهند واهل الصين واصناف الأمم المشرقية ينكرون الطوفان .. لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب، ولم يعم العمران كله ولا غَرَّق إلا بعض الناس، ولم يجاوز عقبة حلوان.

جـ٤ ص ١٠٣٠ من كتاب (إظهار الحق لرحمة الله الهندي) تحقيق د/ محمد احمد ملكاوي طبع ونشر الرئاسة العامة للإدارات والبحوث العلمية بالرياض سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٢) المرجع نفسه ص٥٣.

ويستطرد متسائلاً: (فكيف تدهش حين نجد فيه أموراً غير معقولة أو روايات يستحيل أن تتفق مع واقع الأشياء، منذ أن سمح تقدم المعارف البشرية، إن لم يكن بمعرفة كل شيء، فعلى الأقل بامتلاك معرفة كافية عن بعض الأحداث تسمح بإقامة الحكم على درجة اتفاق الروايات القديمة بهذه المعرفة)[١].

وفى ختام حديثنا عن البحث العلمى النزيه الذى قام به موريس بوكاى واكتشافه بموضوعية تامة درجة اتفاق نص القرآن الكريم ومعطيات العلم الحديث، فإنه استطاع أيضًا فى نفس الوقت دحض مفتريات الزاعمين بأن القرآن من تأليف الرسول ﷺ وأنه نقل كثيراً من التوراة فيتساءل (من الذى دفعه، أما الحجة التى أقنعته بالعدول عن نقل التوراة فيما يتعلق بأسلاف المسيح – عليه السلام – وبإدخال تصحيح فى القرآن يضع نصه بعيداً عن أى مرمى نقدى تثيره المعارف الحديثة، على حين أن نصوص الأناجيل والعهد القديم غير مقبولة بالمرة من وجهة النظر هذه)[٢].

لقد أثارت الجوانب العلمية فى القرآن دهشته العميقة، فأخذ يقارن بينها وبين معطيات العلم الحديث، مدللاً على جهل القائلين بأن القرآن من تأليف الرسول ﷺ، وكيف يتسنى له الإتيان بهذه المعطيات التى تفوق الإدراك الإنسانى ولم يعرفها عصره، ولا العصور التالية حتى العصر الحديث؟!

وهو أثناء كل خطوة يخطوها فى بحث إحدى الظواهر الطبيعية أو فى عالمى الحيوان والنبات أو مراحل خلق الإنسان، يذيّل بحثه بمثل قوله (نلاحظ وجود توافق رائع بين الإثنين: أى بين النص القرآنى والظاهرة التى يبحثها)[٣].

ويقول فى موضع آخر: (والتوافق بين الطريقة التى يذكر بها القرآن الظل وبين ما نعرفه عن هذه الظاهرة فى العصر الحديث)[٤].

---

(١) المرجع نفسه ص٥٤.

(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص ٢٤٢.

.. وينوّه الدكتور موريس بوكاى إلى أن القرآن الكريم يضع المسيح – عليه السلام – فى سلسلة نوح وإبراهيم عليهما السلام وعمران، ولا يجد قارئ القرآن أخطاء فى الأسماء كتلك التى يجدها فى الأناجيل خاصة بأسلاف المسيح، واستحالات الأنساب فى العهد القديم (وقد درسها بوكاى فى الجزئين الأول والثانى من كتابه) ص ٢٤٢.

(٣) نفسه ص ٢٠٣. (٤) نفسه ص ٢١٠.

وعن غرق فرعون يسجل ملاحظته عن البيان الرائع للآيات القرآنية الخاصة ببدن فرعون.

ووجه العجب أنه فى عصر (محمد ﷺ كان كل شيء مجهولاً عن هذا الأمر ولم تكتشف جثث الفراعنة إلا فى نهاية القرن التاسع عشر ... بينما النص القرآنى يقول بشكل واضح إن جسد فرعون قد أُنقذ)(١).

ويسخر بوكاى من ترجمة الأب كوروابيه من ترجمته لمعانى القرآن بشأن الآيات من سورة يونس من ٩٠ إلى ٩٢ إذ يقول فيها: إن فرعون قد ابتلع بجيشه - خلاف الآيات - ويُتبع ذلك بخرافة مضحكة، فيزعم أنه (يسكن الآن قاع البحر ويحكم مملكة إنسان البحر أى عجول البحر)!

ويتعذر عرض مضمون كتاب موريس بوكاى فى هذا الحيز من الكتاب، ولكن يكفينا عرض بعض المسائل التى تضمنها والتى درسها فى ضوء المعارف الحديثة، منبهراً أمام توافقها مع الآيات القرآنية التى تتناولها فيقرر أنه لا يوجد تناقضاً بين المعارف الحديثة والآيات القرآنية، على حين أن نصوص الأناجيل والعهد القديم غير مقبولة بالمرة من وجهة النظر هذه.

وللقارئ بعض رؤوس هذه المسائل:

خلق السموات والأرض - علم الفلك فى القرآن، الشمس والقمر - النجوم والكواكب - البنية السماوية، تعاقب الليل والنهار - توسع الكون والأرض - دورة الماء والبحار - تضاريس الأرض - الظل - عالم النبات وعالم الحيوان - النمل والعناكب والطيور - التناسل الإنسانى - تطور الجنين فى الرحم .. وغيرها.

ثم تتابعت الدراسات المتصلة ببيان أوجه الإعجاز العلمى فى الكثير من الآيات القرآنية مع تنوّعها وغزارتها وشمولها للعلوم والمعارف المتنوعة، فشجعّت بعض العلماء المتخصصين على إصدار مجلة فصلية، وهى تصدر عن هيئة الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة.

وعرفنا فى هذا المجال أيضاً الإنتاج الخصب للأستاذ الدكتور زغلول النجارّ، وهو

---

(١) نفسه ص ٢٦٨/٢٦٩.

يلفت أنظارنا – لا إلى الإعجاز العلمى فحسب – بل إلى «الإعجاز التاريخى» بعد الاكتشافات الأثرية المعاصرة، و(الإعجاز التربوى) (والإعجاز الأخلاقى) – وقد أثبته في رأينا الدكتور محمد عبد الله دراز – و(الإعجاز التشريعى) و(الإعجاز النفسى) و(الإعجاز التنبؤى)[1].

كذلك لا يفوته الإعجاز البيانى الذى تحدى العرب (ولا يزال هذا التحدى قائمًا دون أن يستطيع عاقل أن يقول: نعم لقد استطعت أن أكتب سورة من مثل سور القرآن الكريم)[2].

ومع تقديرنا الكبير للرسالة العظيمة التى يقوم بها علماؤنا الأجلاَّء فى بيان الإعجاز العلمى للقرآن، ومخاطبة غير المسلمين بلغة العصر، وهى الطريق المثالية الآن للدعوة إلى الله عز وجل ... فإننا نرى أن الإعجاز البلاغى سيبقى ملزمًا للناطقين بالضاد، والعناية ببيانه أمانة فى أعناق علماء اللغة العربية، وبث قضاياه فى كافة مناهج التعليم بحسب مستوياتها منذ المرحلة الإعدادية إلى المرحلة الثانوية، واتخاذ القرآن الكريم أساسًا للقيم الفكرية والأخلاقية فى المجالات التربوية والإعلامية، للمحافظة على هويّتنا، صمودًا أمام هجمات العولمة[3].

وبعد هذا التعريف بالتوراة، ونقد بعض نصوصها، ننتقل إلى المصدر الثانى أى التلمود.

****

---

(١) ص ٣٤ من كتاب (من آيات الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم) للدكتور زغلول النجار تقديم أحمد فراج – مكتبة الشروق بالقاهرة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

(٢) نفسه ص ٣٣ / ٣٤.

(٣) سبق أن أعلنت هذا الرأى أثناء مناقشتى لرسالة الدكتورة آمال فوزى أمين بآداب الإسكندرية وموضوعها (جهود أبى حيان البلاغية فى تفسيره البحر المحيط) فى يونيو سنة ٢٠٠١م.

ثانياً: التلمود

يحتل التلمود المكان الأسمى كأحد مصادر العقائد والأفكار عند اليهود وقد يفضلونه على التوراة نفسها، أو العهد القديم، ويتخذونه (دستوراً للعمل) بهدف السيطرة على البشرية، واحتواء الأديان والأمم[(١)].

والتلمود فى تعريف جامع هو (هذه الأحاديث الشفوية التى سجلت بعد ذلك -أى بعد التوراة- والتى كانت ثمرة النظر ودراسة الأسفار التى جاءت عن يهوه)[(٢)]، ويسمى متن التلمود (المشنا)، وله شرحان أو (جمارتان) إحداهما جمارة أورشليم، والأخرى جمارة بابل[(٣)].

وإذا أردنا فهم الشخصية اليهودية على حقيقتها والوقوف على خلفيات الأحداث الجارية الآن على مسرح السياسة العالمية أو المتصلة بجرائمهم التى يرتكبونها ليل نهار بفلسطين المحتلة، فما علينا إلا دراسة هذا التلمود، وتحليل بعض نصوصه، ومعرفة كيفية تنفيذ تعاليمه بواسطة الجمعيات السرية كالماسونية.

وسنعرض لبعض النصوص ونحللها، ثم نبين كيفية تنفيذ تعليماته بواسطة جماعة الماسونية، إذ لابد لمعرفة مكانة التلمود عند اليهود، من إلقاء الضوء على بعض النصوص الواردة به، وهى بنفسها تصور هذه المكانة:

- اعلم أن أقوال الحاخامات هى أفضل من أقوال الأنبياء.
- أن من يقرأ التوراة بدون المشنا والجمارة (التلمود) فليس له إله.
- أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله.

---

(١) المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية: أنور الجندى ص١١- دار- الاعتصام ١٩٧٧م.

(٢) فى العقائد والأديان، للدكتور محمد جابر عبد العال ص٢١٨ -الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م.

(٣) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود، د. محمد على البار ص٦١، ويذكر أن ما تدعى جمارة فلسطين أو أورشليم، رغم أنها لم تكتب فى أورشليم القدس و(المشناة) بمعنى المثنى أو المكرر، اى أنها تكرار وتسجيل للشريعة، ثم (الجمادا) اى الشرح أو التعليق، والتلمود بمعنى التعاليم (الأسفار المقدسة للدكتور وافى ص٢٢).

- أن مخافة الحاخامات هى مخافة الله[١].

ويتضح لنا من دراسة أحد نصوصه مدى التغيير الذى أحدثه الحاخامات بواسطة التلمود، حيث حولوا عيد الفطر الموجود فى التوراة إلى (طقوس يذبح فيها نصرانى أو غيره، ويوضع دمه فى هذا الفطير المقدس. وقد جاءت فى التلمود عندنا مناسبتان دمويتان ترضيان إلهنا يهوه، إحداهما عيد الفطر الممزوج بالدماء البشرية، والأخرى مراسيم ختان أطفالنا)[٢].

وعندما نشر التلمود، وقرأه بعض رجال الدين النصارى، انفجرت عواطف المسيحيين بسبب الشتم والقذف الموجود فى التلمود لعيسى بن مريم عليه السلام وقامت مذابح كثيرة لليهود فى أوربا بإيطاليا وبريطانيا وفرنسا وأسبانيا وروسيا كذلك تكررت أوامر إحراق التلمود بسبب ما يتضمنه من احتقار للدين المسيحى.

كل ذلك أدى إلى قيام حركات إصلاحية بين اليهود، حذفت بعدها (المواد الموجهة إلى النصارى، أو ترك مكانها غفلاً، أو وضع رموز لمعانيها يشرحها الأحبار لتلاميذهم)[٣]، أى أن هناك إصراراً من جانبهم على التمسك بتعاليم التلمود كاملة وتنفيذها، وهذا ما تؤكده دائرة المعارف البريطانية التى تقول: (وتشهد إسرائيل حاليًا عودة شديدة للتمسك بالتلمود والأصولية)[٣](Fundamentalism).

وإننا نعبّر أمام هذه الأعمال عن ألمنا ودهشتنا معا. أما ألمنا، فإنه يرجع إلى مشاهدتنا بأعيننا ما يقع على أرض فلسطين هذه الأيام، وما حدث من قبل من مذابح مشهورة، كمذابح دير ياسين وصابرا وشاتيلا وغيرها، بحيث لا تعد ضحايا

---

(١) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود، للدكتور محمد على البار، ص١٦١ / ١٦٢ وغيرها من النصوص التى تبين مكانة التلمود، إلى جانب نصوص أخرى كوصف الإسرائيلى عند الله بانه معتبر أكثر من الملائكة، واعتبار الشعب اليهودى هو الشعب المختار، وباقى الشعوب فهم حيوانات، ولا يجيز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم، ولا يعتبر لأرواح غير اليهود حرمة، كما ينص على أن من العدل أن يقتل اليهودى كل أممى لأنه بذلك يقرب قربانا إلى الله (ينظر كتاب: اليهودية للدكتور شلبى ص٢٧٥ وما بعدها).

(٢) المرجع نفسه ص٧١.

(٣) نقلاً عن المصدر السابق ص٥٦.

الأعياد ومراسيم الختان شيئًا يذكر إلى جانبها، بالرغم من بشاعتها ومظهرها الإجرامى فى حق الإنسانية.

وأما دهشتنا فإنه بالرغم من النصوص التلمودية المهينة للمسيحيين، فقد استطاع اليهود خداع الملايين منهم للانضمام إليهم فى ما يسمى بحركة بناء الهيكل، على زعم أن المسيح المنتظر لن يظهر إلا بعد بنائه على أنقاض المسجد الأقصى، (ومحاولات اليهود لهدم المسجد الأقصى أصبحت خبراً مكرراً تنشره الصحف اليومية، مع وثائق متعددة عن الخطط الجهنمية لتنفيذ هذا المشروع وضمان عدم ثورة العالم الإسلامى)(١).

وربما يخفف من درجة عجبنا أن نقف على بعض أسرار الماسونية التى يتخذها اليهود كأداة لتنفيذ أهدافهم، واتخاذ التلمود كمصدر للفكر الماسونى:

التلمود كمصدر للفكر الماسونى:

قلنا فيما سبق إن اليهود لقلة عددهم عوضوا هذا النقص بتكوين الجمعيات والهيئات والنوادى، تحمل شعارات جذابة لتجذب إليها أصحاب النفوذ والأموال ورجال الأدب والصحافة والفن والوزراء، وأساتذة الجامعات وغيرهم من رواد المجتمعات فى مختلف البلدان.

ومن هذه المجتمعات جماعة (الماسون) أو (البناؤن الأحرار)... والماسونية هى جمعية سرية ترجع -فى الرأى الأرجح(٢) -إلى بداية القرن الأول الميلادى فى عهد هيرودس أكريبا الثانى ملك الرومان الذى أهمه ظهور المسيح -عليه السلام- فدعاه ذلك وبمعاونة مستشاريه إلى إنشاء (جمعية سرية باسم «القوة الخفية» وكانت تتلخص مهمة هذه الجمعية فى التخلص والقضاء على المسيحية وأتباعها)(٣).

---

(١) المرجع نفسه ص١٢٨ ويقول الدكتور محمد على البار (وقد انضم إليهم ملايين النصارى فى الولايات المتحدة الأمريكية وتبرعوا بمئات الملايين... إلخ..). وكانت آخر خطوات إسرائيل أن أصدرت ما تُسمى بالمحكمة الإسرائيلية العليا موافقة فى أغسطس سنة ٢٠٠١م لجماعة يهودية متطرفة على وضع حجر الأساس للهيكل المزعوم عند باب المغاربة فى جنوب القدس القديمة .. وقد وضعتنا هذه الجريمة جميعاً أمام مسئولية كبرى سنُسأل عنها يوم القيامة وأصبح واجب حماية المسجد الأقصى فرض عين.

(٢) هذا هو الذى يرجحه الدكتور عبد الرحمن عميرة، حيث هناك احتمالات أخرى، عن تاريخ نشأة الماسونية (كتابه: المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص٢٩) ويرى أن التلمود هو الأصل الذى يستقون منه أفكارهم (١ ص٨١).

(٣) المرجع نفسه ص٣٠- ط/ دار اللواء بالرياض ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م.

وقد حدد الملك هيرودس الهدف من إنشاء هذه الجمعية، ويتلخص فى محاربة المسيحية التى تكاد تقوض الديانة اليهودية وتزعزع أركانها[1].

والبيان الذى ألقاه آنذاك طويل، إذا أوجزنا مضمونه فإنه يعبر عن عقائد اليهود نحو المسيح عليه السلام، حيث ينكرون (ألوهيته) ونبوته، ويخشون منه على ديانتهم اليهودية، كما لا يقرون بأنه المسيح الذى ينتظرونه، لذلك فإنهم حاكموه وأوقعوا عليه أشد العقوبات، فصلبوه -حسب اعتقادهم- ودفنوه بعد موته ونصبوا حراسًا على قبره[2]، ونرى فى هذا البيان العداء العميق للمسيحية والمسيحيين.

ثم قرر أن تكون أعمالهم خفية، واختار دهليزا (سماه المحفل) لعقد الاجتماعات السرية فيه (لكى لا يرانا أحد ولا يسمعنا أحد ولا يعرف بنا أحد).

وفى المرحلة الثانية للماسونية -كما يذكر الدكتور الزغبى -والتى تبدأ سنة ٥٥م- نشطت الماسونية، ودست على المسيحيين بعض عملائها ليدخلوا فى المسيحية وينسفوها، وربما كان منهم (بولس) الذى انحرف بالمسيحية[3].

كل ذلك كانت تأتيه الماسونية بدافع الحقد التلمودى الذى يصور المسيح -عليه السلام- بأبشع الصور: ونكتفى بإيراد نصين:

١- (يسوع المسيح ارتد عن دين اليهود وعبد الأوثان. وكل مسيحى لم يتهود فهو وثنى عدو لله ولليهود).

٢- (يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم، بين الزفت والقطران والنار، وأمه مريم أتت به من زناها بالعسكرى باندرا (كذبا وبهتانا) والكنائس المسيحية بمقام القاذورات والواعظون فيها كلاب نابحة)[4].

كذلك فإن الإسلام كان -ولا يزال- مستهدفًا لهجمات الماسونية، إذ يرى الدكتور عبد الرحمن عميرة أن -الماسونية- أو اليهودية العالمية- وراء الكثير من

---

(١) المرجع نفسه ص٣٠- ط/ دار اللواء بالرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٢) المذاهب المعاصرة، للدكتور عبد الرحمن عميرة ص٣٠.

(٣) المرجع نفسه ص٣٣.

(٤) من كتاب (المسيح المنتظر وتعاليم التلمود) ص١٥٧ للدكتور محمد على البار. ط/ دار السعودية/ بجدة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

الخلافات بين المسلمين، كاتجاهي نفى القدر والجبريين، وكذلك فكرة خلق القرآن التى يتصل سندها (بلبيد بن أعصم اليهودى القائل بخلق التوراة)[١].

بل بدأ النشاط الماسونى مبكرًا بقيادة عبد الله بن سبأ الذى كان يؤسس (الخلايا الماسونية السرية) فى تنقلاته بين العراق ومصر والشام.. وهو يغرى الرعاع، وينشر المبادىء الهدامة للإسلام، ومنها الزعم بألوهية على بن أبى طالب رضى الله عنه[٢].

مسئولية الماسونية عن الثورات الكبرى فى العالم:

إذا كان التلمود مصدرًا للفكر الماسونى، فلابد من إزاحة الستار عن الجمعيات الماسونية التى تنفذ تعاليم التلمود وتحققها فى الواقع، فقد ورد فى أحد نصوصه ما يلى:

(يجب على كل يهودى أن يبذل جهوده لمنع استملاك باقى الأمم فى الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم. وقبل أن يحكم اليهود العالم بصورة نهائية يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق، ويهلك ثلثا العالم... وعندما يأتى المسيح، ويحصل النصر المنتظر تكون الأمة اليهودية إذ ذاك فى غاية الإثراء لأنها تكون قد حصلت على جميع أموال العالم، وتحفظ هذه الكنوز فى سرايا واسعة)[٣].

وكنا قبل الاطلاع على هذا النص وغيره نظن أن التوسع فى تصوير ذلك الدور للماسونية كأداة لهدم الحكومات وإثارة الحروب والنزاعات فى العالم، هو لون من المبالغة[٤] فى تضخيم دور اليهود بصورة أكبر بكثير من حجمهم، ولكن الحق أننا

---

(١) المذاهب المعاصرة ص٤٢.

(٢) مقدمة كتاب الخطر اليهودى (بروتوكلات حكماء صهيون) للأستاذ محمد خليفة التونسى ط مكتبة دار التراث ص١٩٧٧م.

(٣) نقلاً عن كتاب: المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ص١٥٧ للدكتور محمد على البار، وقد استخدمنا لفظ (الثورات) كمصطلح سائد، وهى فى حقيقتها حركات انقلابية تهدم الأنظمة القائمة وتستحوذ على السلطة بطريقة غير شرعية لتفتح الطريق لأتباعها من الماسونيين للاستحواز عليها.

(٤) ويرى الأستاذ العقاد أن دور الصهيونية فى الثورات -لاخلقها- ولكن اغتنام الفرص، والتسلل من الثغرة المفتوحة، ويضرب على ذلك مثلاً بالشيوعية حيث سبقتها أسباب ومقدمات فى المجتمع الروسى استغلتها الصهيونية واتجهت إلى وجهتها (الصهيونية العالمية ٧٩).

ويذكر الأستاذ التونسى أن نفوذ الدولة اليهودية قائم فى كل مكان عن طريق جمعياتهم الدينية =

كلما قرأنا أكثر عن تاريخ الثورات، وعرفنا شخصيات من المتآمرين الحقيقيين المختفين وراء الستار، تبين لنا صحة التعليلات الآنفة، حيث يستغلون الأزمات القائمة ويستثمرون حركات الجماهير ويوجهونها لصالحهم.

ويرى الأستاذ أنور الجندى(1) أن أبرز أهداف الماسونية هو احتواء المسيحية وتدميرها من الداخل، والعمل على تزييف الإسلام والسيطرة على مجتمعاته واستطاعت أن تحقق ثلاثة أعمال كبرى فتحت الطريق لإقامة إسرائيل فى قلب العالم الإسلامى وهذه الأعمال هى:

1- الثورة الفرنسية التى أتاحت لهم تملك وجوه النشاط الثقافى والصحفى والسيطرة على رجال السياسة والحكم.

2- إسقاط القيصرية وإقامة البولشفية فى روسيا.

3- إسقاط الخلافة العثمانية.

وسنكتفى بأن ننزع من وقائع التاريخ بعض الشواهد الدالة على صحة هذه الاستدلالات لنأخذ حذرنا من استفحال هذا الخطر الداهم علينا وعلى العالم ولكى لا ننسى -والأجيال بعدنا- دور اليهود فى إلغاء الخلافة العثمانية لأن السلطان عبد الحميد - رحمة الله تعالى - رفض التنازل لهم عن أرض فلسطين.

ففيما يتعلق بالثورة الفرنسية، ظهر من خباياها أن (ميرابو) أحد نبلاء فرنسا

= والسياسية والماسونية سرية وعلنية ونسائهم وخداعهم وبذر بذور الفتن بين الهيئات المختلفة فى كل قطر وفى العالم معًا، وباشرافهم على الصحافة ودور النشر ووكالات الأنباء ومذاهب العلم والفلسفة والفن والمسرح والسينما والمدرسة ونظم التعليم والبنوك والشركات والبورصات وأهم منابع الثروة فى معظم البلاد، واحتكار الذهب ونظمهم السرية التى لا يعرف أهدافها إلا أكابر حكمائهم، وإن نفذها كبارهم وصغارهم خططها تنفيذًا دقيقًا. (ص69 من مقدمة كتاب الخطر اليهودى: بروتوكلات حكماء صهيون) مكتبة دار التراث 1977م.

(1) باختصار من كتابه (المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية) ص9، ط دار الاعتصام بمصر عام 1977م. وكان وراء اسقاط الخلافة العثمانية ما وراءه من شروط وضعتها انجلترا على لسان (كرزن) رئيس وفدها فى مؤتمر توران ومنها إعلان الدولة (اللادينية) حيث ضرب الإسلام فى كيانه السياسى، وقد عبر العلامة شبلى النعمانى عن هذه الفاجعة أصدق تعبير بقوله (إن زوال الدولة العثمانية فى الواقع زوال ملك المسلمين وملتهم) ص66 من كتاب (فى مسيرة الحياة) للأستاذ أبو الحسن الندوى -ط دار القلم/بيروت 1407 هـ-1987م.

فى العهد الملكى -وهو من الماسون- أقنع (الدوق دورليان) بالاشتراك فى الثورة للإطاحة بالملك لويس السادس عشر لكى يستولى على عرشه. ولكن المتآمرين اليهود تخلصوا منهما معا بعد نجاح الثورة.

ولما قام (روبسبيير) الذى اختاره اليهود لتولى الحكم بعد الثورة ليزيح الستار عن حقيقتهم، ودوافعهم فى كلمة ألقاها بالجمعية الوطنية، أردته رصاصة قاتلة فمات بسره الذى لم يبح به[١].

ويبدو أنه عندما حقق اليهود الماسون أغراضهم وأصبحت مقاليد السلطة فى أيديهم أو أيدى أتباعهم، لم يعد يفزعهم إذاعة الأسرار، بل ربما أباحوا بها تفاخراً وتحدياً، ومثال ذلك الكلمة التى ألقاها رئيس محفل الشرق الأكبر الفرنسى ١٩٢٣، وقال فيها: (نشرب الآن النخب التالى نخب النظام الجمهورى الفرنسى ابن الماسونية العالمية)[٢].

وإذا تكلمنا عن دور اليهود فى الثورة البولشفية وسيطرتهم على مقاليد السلطة فى روسيا الماركسية، فيكفينا إحصاء عدد أعضاء المكتب السوفييتى هناك من اليهود إذ كان يتألف من (سبعة عشر عضواً: منهم أربعة عشر يهودياً صريحاً وثلاثة من أصول يهودية أو من صنائع اليهود وزوجات الثلاثة يهوديات، وهم ستالين وفيرشيلوف ومولوتوف)[٣].

أما الحديث عن إلغاء الخلافة العثمانية فإنه حديث يدمى القلب حقاً ويفتح

---

(١) المذاهب المعاصرة، للدكتور عبد الرحمن عميرة ص٩٦، وقال فى هذه الكلمة (إننى لا أجرؤ على تسميتهم فى هذا المكان وفى هذا الوقت... كما أننى لا أستطيع كشف الحجاب الذى يغطى هذا اللغز فى الثورات منذ أجيال سحيقة. هذا وقد ورد بالنص بالبروتوكول الثالث (.. تذكروا الثورة التى نسميها (الكبرى)، إن أسرار تنظيمها التمهيدى معروفة لنا جيداً لأنها من صنع أيدينا..) ص١٣٨ / ١٣٩ بروتوكلات حكماء صهيون.

(٢) المصدر السابق ص٩٧.

(٣) ص٧١ / ٧٢، من مقدمة كتاب (الخطر اليهودى: بروتوكولات حكماء صهيون، للأستاذ محمد خليفة التونسى، وقد كتب ذلك فى سبتمبر ١٩٥١، ولا نرتاب فى أن نفوذهم ما زال كما هو حتى الآن، إذ يصعب تصور تنازلهم عن السلطة من تلقاء أنفسهم. ويلفت نظرنا الأستاذ التونسى إلى مؤشر مهم بقوله: (وتأمل الشعار اليهودى البلشفى فى صدر هذا الكتاب وحوله النجمة المسدسة وهى شعار علم إسرائيل).

أعين المخدوعين إلى أسباب الكوارث التى أصابت –وما زالت – العالم الإسلامى– ما لم يلتئم شمله من جديد، فقد زال بزوال الدولة العثمانية ملك المسلمين وملتهم، كما وصفه العلامة شبلى النعمانى.

وما زالت الخبايا التى كانت وراء إلغاء الخلافة الإسلامية تظهر على السطح بمرور الزمن، وظهرت الوثائق التى تجعلنا نصحح بعض الأفكار والآراء التى ملأت كتب التاريخ بالأكاذيب، والأغاليط المتعمدة أحيانًا: كتصوير أتاتورك بالبطولة أو اتهام السلطان عبد الحميد بالدكتاتورية، أو وصف حركة جمعية الاتحاد والترقى بأنها أخذت بيد تركيا إلى التقدم والحضارة.

هذا بينما أظهرت الوثائق أن الأحداث كانت تمضى بخلاف ذلك تمامًا، فقد خلع السلطان عبد الحميد لإخلاصه فى الدفاع عن فلسطين ومواجهة اليهود، وكان أتاتورك من طائفة (الدونما) اليهودية التى تتظاهر بالإسلام نفاقًا. وتبين فى نهاية المطاف لبعض المخدوعين الذين اشتركوا فى المؤامرة ما تورطوا فيه (فهذا «أنور باشا» الذى قام بالدور الرئيسى فى الانقلاب على الخلافة ١٩٠٨م، والذى تسبب فى تدهور الدولة العثمانية، يقول فى حديث له مع «جمال باشا» إذ كانا يحللان أسباب الانحدار الذى أصاب الدولة التركية: «أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟»، وبعد تحسر عميق قال: «نحن لم نعرف السلطان عبد الحميد فأصبحنا آلة بيد الصهيونية، واستثمرتنا الماسونية العالمية، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية، فهذا ذنبنا الحقيقى»)[1].

****

(١) مكائد يهودية عبر التاريخ، ص٢٧٩، للدكتور عبد الرحمن حبنكة.

ثالثاً: بروتوكولات حكماء صهيون

إذا بدأنا بتعريفها، فإن الأقرب إلى الدقة وصفها بأنها (مجموعة من المبادئ الأساسية الاستراتيجية، ولا يمكن تغيرها بحال، يزنون بها -وهم اليهود- تنفيذهم العملى)[١].

وهذه البروتوكولات -بالرغم من عدم الترابط الظاهر بين بنودها -إلا أن الدارس لها بمنهج تحليلى يتضح له فى النهاية أنها اتخذت شكل نسق متكامل وتضمنت خطة عمل مترابطة ترمى إلى إيقاع الأمميين - أى غير اليهود - فى شباك النفوذ اليهودى، ووضعت السبل التى تحاصر فيه الأمميين فى كافة أوجه أنشطتهم وصنوف حياتهم، أى حياة الفرد ومعتقداته وسلوكياته، وحياة المجتمعات ونظمها الاقتصادية والسياسية والتربوية والثقافية.

كذلك تبدو الصلات واضحة بين بعض نصوصها، ومحتويات التلمود والتنظيمات الماسونية، وإلى القارئ بعض الشواهد :

- إننا مختارون من الله لنحكم الأرض.
- يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان.
- أن الأمميين كقطع من الغنم وإننا الذئاب.
- إننا كنا الشعب الوحيد الذى يوجه المشروعات الماسونية[٢].

أما عن تاريخها فيرجع إلى أخريات القرن الماضى، واكتنف ظهورها على العالم - بعد أن كانت فى شكل وثائق سرية -كثير من الملابسات الملفتة للأنظار (فقد طبعت لأول مرة فى روسيا ١٩٠٥م ثم انتشرت ترجماتها فى سائر الأقطار الأوربية بلغات عدة، ولوحظ -كما أشار الأستاذ العقاد - أنها لا تظهر فى لغة من اللغات

---

(١) حقيقة اليهود، فؤاد بن عبد الرحمن الرفاعى ص٢٧، دار القسام بالكويت، رجب ١٤٠٦ هـ.

(٢) من كتاب (الخطر اليهودى -بروتوكولات حكماء صهيون) ترجمة محمد خليفة التونسى وتقديم الأستاذ العقاد -مكتبة دار التراث بمصر ١٩٧٧م، الصفحات ١٤٥، ١٨٤، ١٧٢، ١٩٠.

إلا اختفت على أثر ذلك، وأنها اختفت أو تختفى كلما عادت إلى الظهور مترجمة أو مطبوعة من جديد)(١).

وعندما تم نشرها لأول مرة أعلن اليهود على لسان زعيمهم (هرتزل) التبرؤ منها، وأنها مزيفة، وضغط اليهود على بريطانيا للتدخل فى روسيا لمصادرة نسخ الكتاب، وكذلك فعلوا أيضًا فى فرنسا، وعملوا على إيقاف طبعها فى ألمانيا (وشاع أنه ما من أحد ترجم هذا الكتاب، أو عمل على إذاعته بأى وسيلة، إلا انتهت حياته بالاغتيال أو بالموت فى ظروف مريبة)(٢).

وهناك شواهد كثيرة ترجح صحة نسبة البروتوكولات إلى اليهود، منها الدراسة المقارنة التى قام بها الصحفى البريطانى (فكتور مارسون)(٣)، على أثر الانقلاب الشيوعى فى روسيا ١٩١٧م، حيث رأى فى هذا الانقلاب تحقيقًا عمليًا لتوقعات ناشرها الروسى نيلوس، منذ نشر البروتوكولات عام ١٩٠٥م، وكان يحذر الروس حينذاك من مؤامرات اليهود(٤).

كذلك فإن من يراقب ويتفكر فى أحوال العالم المعاصر، كما فعل (هنرى فورد فى كتابه: اليهودى العالمى) -يميل إلى تصديق ما ورد بهذه الوثائق السرية، لأن الواقع يشهد بآثارها على أحوال الأمم والشعوب، كما تشهد بصمات الأصابع على صاحبها، فقد صرح ذات مرة لأصدقائه قائلاً: (مهما كانت حقيقة هذه البروتوكولات، فإنها تتفق مع ما هو واقع الآن. ولا يختلف مضمون هذه البروتوكولات عما جاء فى التلمود، ثم يمضى فيذكر أحد نصوصها الذى يتضمن أن الثورة الفرنسية من صنع الماسون(٥). وكل من يرجح صحتها يستند إلى مطابقة

---

(١) تعقيب محمد خليفة التونسى على كتاب (الصهيونية العالمية للعقاد) ص١٥٧ -ط مكتبة غريب بالفجالة بمصر عام ١٩٦٨م، ويعلق فى الختام بقوله: (وتفسير هذه الظاهرة فيما نرى أن اليهود يجمعون نسخها كلما عادت إلى الظهور، يفضح مؤامرة من مؤامرات (الصهيونية العالمية).

(٢) حقيقة اليهود -فؤاد بن سيد الرفاعى ص٣٩.

(٣) المصدر السابق ص٣٧.

(٤) ومما قاله نيلوس حينذاك (ولا يعلم إلا الله وحده كم كانت المحاولات الفاشلة التى بذلتها لإبراز هذه البروتوكولات إلى النور، أو حتى لتحرير أصحاب السلطان، وأن اكشف لهم عن أسباب العاصفة التى تتهدد روسيا البليدة التى تبدو من سوء الحظ أنها فقدت تقديرها لما يدور حولها) ص٢٤٤- البروتوكولات (تعقيب سرجى نيلوس).

(٥) الماسونية تحت المجهر. د. إبراهيم فؤاد عباس ص٢٨ دار الرشاد -جدة ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.

الواقع لتعاليمها، وأن (لسان الحال أصدق من لسان المقال)[١].

البروتوكولات والحركات الصهيونية:

ولكى لا يتشعب بنا الحديث عن البروتوكولات، فإننا نعرض لمضمونها من بعض المسالك المتصلة بأهداف بحثنا، ومنها:

(أ) صلة البروتوكولات بمضامين تلمودية صريحة أو خفية (وغاية ما هنالك أن التلمود قد أجملت حيث عمدت هذه الوثائق إلى التفصيل والتمثيل)[٢].

(ب) لعل هذه الدراسة المقارنة وما شابهها تجعلنا نعيد تقويم بعض الشخصيات، وتفسير بعض الأحداث المؤثرة فى عالمنا الإسلامى -تاريخياً وفى العصر الحديث، وذلك ببحث مدى تطابقها مع تعاليم هذه الوثائق ونصوصها/بين وقائع الأحوال والتصريحات المعلنة، أو السير بالشعوب إلى حتفها مع إيهامها بأنها تمضى نحو المستقبل المزدهر.

(جـ) تحول اليهودية إلى دين سياسى فى العصر الحاضر باسم الصهيونية، فقد برزت فى نهاية القرن التاسع عشر تقريباً (مفاهيم الصهيونية السياسية كتعبير عن اليهودية غلفت نفسها بمنطق لغة السياسة وأساليب الوصول إلى الحكم)[٣].

* * *

(أ) إننا نجد أحد الأمثلة المعبرة عن التحام نصوص التلمود مع البروتوكولات فيما أورده أحد نصوص التلمود بعد وصف الأمم والأجناس بالحيوانات وكيفية السيطرة عليهم: (يجب أن نزوج الجميلات للملوك والوزراء والعظماء وأن ندخل أبناءنا فى الديانات المختلفة، وأن تكون لنا الكلمة العليا فى الدول

---

(١) مقدمة البروتوكولات للعقاد ص١٢.

(٢) مقدمة البروتوكولات للعقاد ص١٢.

(٣) د. حامد ربيع: سلوك المالك فى تدبير الممالك ج١ ص٤١ – ط دار الشعب بمصر ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م. كذلك يحدد تاريخ ١٥ / ٥ / ١٨٩١م موعداً لاعلان البابا الكاثوليكى ليون الثالث عشر إرادة الكنيسة فى أن تتدخل فى الأحداث، وأن تدفع بالقوى السياسية المدافعة عن مبادئها فى سبيل تحقيق أهدافها المدنية (نفس المصدر).

وأعمالها، فنفتنهم ونوقع بينهم ونجعلهم يحارب بعضهم بعضا، وفى ذلك كله تجنى الفائدة الكبرى)[١].

ثم نقرأ عن النتائج المتحققة فى البروتوكول الأول كالآتى: (ومن المسيحيين أناس قد أضلتهم الخمر، وانقلب شبانهم مجانين بالكلاسيكيات والمجون المبكر الذين أغراهم به وكلاؤنا ومعلمونا وخدمنا وقهرماناتنا (أى المربيات بالمنازل) فى البيوتات الغنية، وكتبتنا ومن إليهم، ونساؤنا فى أماكن لهوهم -والهين-، أضيف من يسمين « نساء المجتمع » - أو الراغبات من زملائها فى الفساد والترف[٢].

وربما كان النصيب الأوفر عند تنفيذ مثل هذه الخطط للمجتمع الأمريكى، فقد أورد هنرى فورد بكتابه (اليهودى العالمى) ما يثبت بالأدلة الوثيقة كيف دمروا (الأخلاق والقيم باحتكار تجارة الخمور والبغاء والأزياء الماجنة والأشرطة الوضيعة والمسرحيات البذيئة والآداب الساقطة)[٣].

بل لا يخلو مجتمع من المجتمعات بأقطار الأرض قاطبة من آثار أفعالهم، فكيف نجحوا؟

الحق أنهم تعمقوا فى فهم النفوس البشرية ودوافعها وغرائزها، واستطاعوا بذلك قيادة عملائهم كيفما شاءوا. ولنقف قليلاً على تحليلاتهم النفسية لهؤلاء:

ينص البروتوكول الرابع عشر بإحدى فقراته على الآتى: (ومعظم الناس الذين يدخلون فى الجمعيات السرية مغامرون، يرغبون أن يشقوا طريقهم فى الحياة بأى كيفية، وليسوا ميالين إلى الجد والعناء. وبمثل هؤلاء الناس سيكون علينا أن نتابع أغراضنا، وأن نجعلهم يدفعون جهازنا للحركة) . . . وفى فقرة أخرى نراهم يصفون الأمميين الذين يكثرون من التردد على الخلايا الماسونية بالفضول أو رغبة الحصول على الأشياء الطيبة، كما يبحثون عن عواطف النجاح وتهليلات الاستحسان (وأنتم لا تتصورون كيف يسهل دفع أمهر الأمميين إلى حالة مضحكة من السذاجة

---

(١) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود -د. محمد على البار ص١٦١.

(٢) البروتوكولات ص١٢٦ وينص البروتوكول الخامس على أنهم بذروا الخلاف بين كل واحد وغيره فى جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً ص١٤٤. ويذكر أن هناك طائفة عددها نحو ٤٠٠ أسلموا فى مصر عام ١٩٤٢م) تعليقه على البروتوكولات ص١٥٤/ ١٥٥.

(٣) معركة الوجود بين القرآن والتلمود، د. عبد الستار فتح الله سعيد ص٥٤.

والعقلة بإثارة غروره وإعجابه بنفسه، وكيف يسهل من ناحية أخرى أن تثبط شجاعته وعزيمته بأهون خيبة، ولو بالسكوت ببساطة عن تهليل الاستحسان له، وبذلك تدفعه إلى حالة خضوع، ذليل كذل العبد)(١).

ولكن سلطان المطامع والمنافع والشهوات لا تعمل وحدها -كما يرى الأستاذ العقاد فى تحليله لنفوس أولئك الأعوان - بل لابد أيضًا من أساليب الهدم والخداع أى هدم الأخلاق والأوطان والأديان، وهى كالحصون التى تحمى ضحاياها (أما إذا أصبح المسلم غير مسلم، وأصبح المسيحى غير مسيحى، وأصبح الوطنى لا يبالى بوطنه، وأصبح الضمير الإنسانى لا موضع فيه للحلال والحرام، فهى على الأقل ميدان لا موانع فيه ولا عقبات، وإن لم يكن فيه أعوان وأذناب)(٢).

(ب) إذا كان التلمود يغذى كما رأينا فى اليهود روح العنصرية والامتياز عن باقى الأمم، وينمى فى أنفسهم الاستهانة والاحتقار لغيرهم من الأجناس والشعوب والأديان، فإن الغاية هى بسط سلطانهم على العالم كله.

إذا كان الأمر كذلك، فإن قراءة البروتوكولات بهذا الفهم لا تزد عن كونها برنامج تفصيلى للأهداف اليهودية المتحققة على أرض الواقع ومفتاحًا للوعى المتكامل لكثير من الواقعات التاريخية والمعاصرة، وحفزا للهمم -وهذه هى غايتنا- لوضع البرامج العلمية والخطط الهادفة المضادة فى سبيل استكمال وظهور اليقظة الإسلامية المرتقبة التى تنمو الآن فى رحم الأمة.

وإذا أخذنا برأى ابن خلدون صاحب النظرية التى تدرس تاريخ الأمم وواقع المجتمعات والحضارات بتشبيهها بالجسد الإنسانى(٣)، رأى كجسد حى يتكون

(١) البروتوكولات ص١٩١.

(٢) الصهيونية العالمية، عباس العقاد ص٧٦، ويقول أيضًا (فحسب الصهيونية كسبًا أن تتهدم أركان الوطنية والدين وأن تنهار قواعد الأخلاق والآداب... فتستريح من هذه العوائق فى طريقها، وتتفتح الأبواب لسلطان المال والخداع بغير شريك ولا حسيب (المرجع نفسه ص٧٩).

(٣) ويرجع الفضل إلى الدكتور حامد ربيع إلى لفت النظر إليها وبيان أثرها التطبيقى فى الممارسة على النظريات السياسية الغربية، وربما كان مصدر ابن خلدون عبارة حنين بن إسحاق (إن الدمّاغ ابتداء الحس والحركة الإرادية والسياسية)، ويرى د. عبد الصبور شاهين أن صفة (السياسة) تعنى قيادة الجسد وتوجيهه، ثم جاء المعنى الحديث فوسّع مجال استعمال الكلمة بنقله من إدارة الجسد البشرى إلى إدارة الكيان الاجتماعى (ص ١٢٩ من كتابه: العربية لغة العلوم والتقنية) ط دار الاعتصام بالقاهرة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

إجمالاً من رأس مفكرة وقلب نابض وجسد تتقاذفه الغرائز (إن لم يخضع لأوامر ونواهى الشرع)، فإننا نرى فى تطبيق نظريته على مضمون البروتوكولات أقرب الطرق لاستيعابها، وهذا ما سنفعله بمنهج تركيبى فى القوالب الآتية:

١- تغيير العقائد والأفكار بإزاحتها وإحلال بدلها نظريات زائفة.

٢- صنع القيادات وجعلها تابعة للخلايا الماسونية السرية، وقد عرفنا نفسيًا كيف يسوقون الأعوان والأتباع إلى ما يريدون.

٣- صرف جماهير الشعب عن المتابعة والاهتمام بما يدور حولها، حتى تخرج من حلبة الصراع وتتفسخ إرادتها وتصبح طوع البنان تتحرك كالسائمة لا تدرى من أمرها شيئًا.

١- العقائد والأفكار:

ورد بالبروتوكول الثانى أن نجاح دارون وماركس ونيتشه كان بترتيبهم مع ترقبهم للأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأممى[١]. ويبدو أن بعض الأعضاء كانوا مكلفين بتتبع آثارها الأخلاقية، فسجلوا فى البروتوكول التاسع هذه الملاحظة:

(ولقد خدعنا الجيل الناشئ من الأمميين وجعلناه فاسداً متعفنا بما علمناه من نظريات معروف لدينا زيفها التام، ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها)[٢].

كذلك حرصوا على الترويج لما سموه بالنظريات المبهرجة، أى التى تبدو فى ظاهرها تقدمية أو تحررية، وهى فى حقيقتها ليست كذلك (ولا يوجد عقل واحد بين الأمميين يستطيع أن يلاحظ أنه فى كل حالة وراء كلمة «التقدم» يختفى ضلال وزيغ عن الحق، ما عدا الحالات التى تشير فيها هذه الكلمة إلى كشوف مادية أو علمية) إذ ليس هناك إلا تعليم حق واحد)[٣].

ويسجل البروتوكول الأول أنهم أول من صاغ فيها الناس قديمًا (الحرية والمساواة والإخاء)، فأخذت الجماهير ترددها كالببغاوات، بينما (حرمت الفرد من حريته الشخصية الحقيقية التى كانت من قبل فى حمى يحفظها من أن يخنقها السفلة)[٤]، ولكنهم يفخرون بأن هذه الصيحة جلبت إلى صفوفهم فرقًا كاملة

(١) البروتوكولات ص١٣٢.
(٢) المرجع نفسه ص١٥٩.
(٣) المرجع نفسه ص١٨٣.
(٤) المرجع نفسه ١٢٨.

بينما هى فى الواقع تحطم سلامتهم واستقرارهم ووحدتهم مدمرة بذلك أسس الدول[١].

٢- القيادات:

تمضى الخطة فى هذا الصدد خلال ثلاث شعب: أحدهما: إزاحة الفئة الممتازة التى تستحق تولى زمام الأمور عن جدارة واستحقاق لتفوقها، واستبدالهم بوكلائهم التابعين لهم (وسنخضع الرعاع لهذا النظام لأنهم سيعرفون أن هؤلاء القادة مصدر أجورهم وأرباحهم وكل منافعهم الأخرى)[٢].

والثانية: الحط من كرامة (رجال الدين من الأمميين) فى أعين الناس باعتبارهم عقبة كؤد فى طريق اليهود (وأن نقيد نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوماً فيوما)[٣].

والثالثة: السيطرة الاقتصادية، بالحصول على الاحتكار المطلق للصناعة والتجارة، مع تجريد أصحاب الأراضى من الأمميين من أراضيهم (لأن معيشتهم المستقلة مضمونة لهم بمواردهم)، مع العمل على استنزاف الثروات بحيث تصبح فى أيدى اليهود، فيعم الفقر الطبقات العاملة (وعندئذ يخر الأمميون أمامنا ساجدين ليظفروا بحق البقاء)[٤].

٣- جماهير الشعب:

ربما تتضح فاعلية البروتوكولات الخطيرة فى التنفيذ بشكل واقعى أكبر إذا طالعنا الفقرات المتصلة على الجماهير، وكيفية قيادتها بعد إفقادها الوعى وخلخلة إرادتها، حيث تتشابك النصوص بعضها ببعض كالسلاسل الحديدية التى تقيد أيدى الإنسان وأرجله، هذه السلاسل الشيطانية وحدها لتحقيق الإفساد الذى يسعى إليه اليهود فما البال بها كلها؟

إنها تتشابك وتتعقد فلا تترك عضوا من الأعضاء فى جسد الأمة الممثل فى جماهير الشعب إلا وقد أحاطت به والتفت حوله، فبدءا من تدمير الحياة الأسرية

---

(١) المرجع نفسه ص١٢٩.
(٢) المرجع نفسه ص١٦٣.
(٣) المرجع نفسه ٢٠٤.
(٤) المرجع نفسه ص١٤٩

وإفساد أهيمتها التربوية، إلى السيطرة على الصحافة بنشر التعصبات الدينية والقبلية، وبث الفوضى الاجتماعية، إلى تضليل الرأى العام وإيقاعه فى الحيرة بتغييرات من جميع النواحى لكل أساليب الآراء المتناقضة حتى لا يكون له رأى فى المسائل السياسية[١].

وإمعاناً فى صرف الجماهير عن الاهتمام بالمسائل السياسية، فإنهم يلهونها بأنواع شتى من الملاهى والألعاب ومزجيات الفراغ وغيرها، ولا ينسون أيضاً تدبير الأزمات الاقتصادية وإلجاء الحكومات إلى القروض وتحميلها بالفوائد[٢].

(جـ) كيف أفلح اليهود -وهم أصحاب الدين المغلق- من إقامة دولة وكيان قائم على عقيدة دينية؟

تمهيداً للإجابة عن هذا السؤال نستطلع بعض مواد البروتوكولات، ومنها (إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق فى شيء)[٣]، وفى نص آخر يشير إلى ضرورة سحق كيان حكومة الأقلية الفاضلة العادلة التى تقف ضدهم، ثم تأتى الخطوة التالية أى (نستثير مرض ضحايانا من أجل المنافع، وشرههم ونهمهم، والحاجات المادية للإنسانية، وكل واحد من هذه الأمراض يستطيع وحده مستقلاً بنفسه أن يحطم طليعة الشعب، وبذلك نضع قوة إرادة الشعب تحت رحمة أولئك الذين سيجرونه من قوة طليعته)[٤]. أى يؤسد الأمر إلى غير أهله، وأضف إلى ذلك الالتزام بشعارهم وخلاصته (كل وسائل العنف والخديعة)[٥].

وتأتينا الإجابة على لسان الأستاذ العقاد فى وصف أساليب الصهيونية، وتتلخص فى (استطلاع الأسرار الخفايا، وتسخير سلطان المال لاستغلال الحركات الاجتماعية والعلاقات الشخصية بذوى النفوذ، والاتجاه بها إلى الوجهة التى تحقق لها مصالحها وأغراضها)[٦].

---

(١) ينظر البروتوكولات الصفحات ١٦٣، ١٧٩، ١٤٦، ١٥١.

(٢) المرجع نفسه ص١٨٣ :٢١٨.

(٣) المرجع نفسه ص١٢٢.

(٤) المرجع نفسه ص١٣٠ ويفسر الأستاذ التونسى الطليعة بأنهم الممتازون الذين يتقدمون طوائف الشعب ويتزعمونها ويقضون فى أمورها.

(٥) المرجع نفسه ص ١٢٢

(٦) الصهيونية العالمية ص٧٥، ويتحدث عن (الصهيونية المستعمرة) التى ظهرت فقط فى العصر الحديث، بينما لم تقم لليهودية كلها دولة فى العالم منذ أكثر من سبعة وعشرين قرنا، فلم تكن قط فى عداء =

ثم يكشف لنا الدكتور حامد ربيع عن أسرار أخرى لا تتوافر إلا للقلة، فقد عكف على دراسة أدوات الغزو الاستعمارى أو ما يسميها (أدوات التسميم السياسى) الذى خضعت له المنطقة منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وخلص إلى لفت أنظارنا إلى طبيعة الاستشراق كأداة من أدوات الغزو الاستعمارى، وبيّن أنشطته:

١- كوسيلة للنفوذ الغربى فى فهم العالم العربى.

٢- كأداة لاستقطاع القوى غير المسلمة، وبذر عناصر الطابور الخامس فى تلك الأقليات.

٣- كأداة لإعادة تشكيل منطق الطبقات القيادية.

هذا، ولم يتهيأ للاستشراق النجاح إلا بعد بذره للمدارس الأجنبية والإرساليات الإنجليزية والفرنسية والأمريكية، ثم الجامعات التى كانت أداة ثقافات غير عربية (وغير إسلامية أيضاً). وجاءت الحركة الصهيونية فانتفعت بكل هذه الخبرات وأضافت إليها(١).

****

= المستعمرين بقوة حكومتها وجيشها، وإنما كان عملها فى الاستعمار أنها تستتر وراءه، وتمهد له وتعتمد عليه في الاستغلال وامتصاص دماء الشعوب.

(١) باختصار من كتاب (الثقافة العربية بين الغزو الصهيونى وإرادة التكامل القومى) ص٢٨ / ٢٩، دار الموقف العربى بالقاهرة ١٩٨٢م. ويبرهن د. حامد ربيع على صدق استنتاجاته بأن أمة الجهاد انحرف بها قادتها إلى أسلوب التفاوض مثل سعد زغلول فى مصر ونورى السعيد فى بغداد، كذلك أخذت بعض القيادات الفكرية تسبّح بحمد الحضارة الغربية: مثل طه حسين وتوفيق الحكيم، بينما عاش العقاد مشرداً ومات فقيراً.

الألوهيـــة

إن كل من يبحث عقيـدة الألوهيـة فى الديانة المحرفة من مصـادرها -التوراة والتلمود- يتضح أن فكرة الألوهية لديهم كانت قد انتكست فى عصر تدوينهم هذه الأسفار (فتصوروا الله عز وجل فى صورة مجسمة، ووصفوه بكثير من الصفات غير اللائقة بالألوهية -تعالى الله عما يقولون علوا كبيرًا[1] .

منها الزعم الكاذب بأن الله (تعالى علوا كبيرًا) استراح فى اليوم السابع بعد خلق السموات والأرض، فأعلن القرآن الكريم كذبهم وبهتانهم بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق :٣٨] .

وتدل هذه الأسفار أيضًا على أنهم كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة، مع تصورهم بأن لهم إلهًا خاصًا وأنهم هم أحباؤه . وتقول السيدة مريم جميلة المهتدية للإسلام (وكان تصورى لإله اليهود مشوهًا وغير لائق، فقد بدا لى الله فى صورة وكيل مقاطعة دنيوية)[2] . واعتقدت بعض فرقهم بوجود ابن لله .

وهناك تخيلات وأوهام يلحقونها بالله تعالى، منها ما يرويه التلمود عن أعماله فى الليل والنهار، وعن حالته بعد هدم الهيكل وتشريد بنى إسرائيل (كمذاكرة التلمود مع الملائكة، ومع ملك الشياطين والاعتراف بالخطأ بعد هدم الهيكل وتشريد بنى إسرائيل والبكاء والندم والغضب على بنى إسرائيل والقضاء عليهم بالتشريد والشقاء)، تعالى الله عما يقولون علواً كبيرًا[3] .

---

(١) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام، د . على الواحد وافى ص٢٤ .

(٢) رجال ونساء أسلموا ج١ / ط دار القلم / الكويت ١٣٩٨ هـ/١٩٨٧م .

(٣) الأسفار المقدسة ص٢٨ / ٢٩

ويقول الشيخ إبراهيم خليل أحمد (ويبدو أن أسفار التوراة تدلل على أن بنى إسرائيل كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة، فكانوا يرون أن ثمة إلإحاصا بهم يختلف عن آلهة الشعوب الأخرى ص١٣٠ كتاب : إسرائيل والتلمود، ط دار المنار بالقاهرة ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م .

ويذكر وول ديورانت بكتابه (قصة الحضارة) أن اليهود لم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل[١].

ويرى الدكتور أحمد شلبى – يرحمه الله – أن اليهود لم يستقروا فى أى فترة من فترات تاريخهم على عبادة الله الواحد الذى دعا له الأنبياء، وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد والنفعية واضحًا فى جميع مراحل تاريخهم[٢].

كذلك اتضح له من دراسته للأسفار اضطراب الفكرة التى ترسمها عن الإله ... فهو عندهم ليس معصومًا، ويأمر بالسَّرقة، ويتصف بالقسوة والتعصب لشعبه لأنه ليس إله كل الشعوب بل إله بنى إسرائيل فقط وهو عدو للآلهة الآخرين[٣].

ويُستخلص الاتجاه اليهودى المادى من عبارة وردت على لسان أحد أبطال رواية (طوبى للخائفين) من تأليف ابنة ديّان، وهى كما يلى (أيام زمان حين كنا يهودًا فى روسيا وغيرها كان من الضرورى بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات، ونحافظ على ديننا، فقد كان الدين اليهودى لنا وسيلتنا لنتعاون ونتعاطف ونزود عنا الردى، أما الآن فقد أصبح لدينا شىء أهم، هو الأرض أنت الآن إسرائيلى، ولست مجرد يهودى. إنى قد تركت فى روسيا كل شىء: ملابسى ومتاعى وأقاربى وإلهى، وعثرت هنا على ربّ جديد. هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال)[٤].

إن مثل هذه الاعتقادات الباطلة المخالفة لعقائد التنزيه لله تعالى جعلت عالمًا غربيًا كبيرًا –وهو ول ديورانت – يميل إلى ترجيح أن الفاتحين اليهود (عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه على الصورة التى كانوا هم عليها، وجعلوا منه إلهًا: الإله يهوه، فيهوه ليس خالقهم بل مخلوق لهم، وفى يهوه صفاتهم الحربية: التدمير والسرقة، ويهوه قاس مدمر متعصب لشعبه لأنه ليس إله كل الشعوب، بل إله بنى

---

(١) اليهودية، للدكتور أحمد شلبى ص ١٧٧ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٤م.

(٢) نفسه ص ١٧٦ ويطلقون على الإله عندهم اسم (يهوه) .. ويصح فى تفسير الأستاذ العقاد أنه نداء لضمير الغائب أى (ياهو) ص ١٧٩.

(٣) نفسه ص ١٨٢.

(٤) أديان الهند الكبرى د. أحمد شلبى ص ٢١٥ مكتبة النهضة سنة ١٩٧٢م.

إسرائيل فقط، وهو بذلك عدو للآلهة الآخرين، كما أن شعبه عدو للشعوب الأخرى)[1].

من هنا، حق لكل منصف من علماء مقارنة الأديان -كالقرافى- أن يتساءل: (فأين هذا القول من قول المسلمين؟ أن خلق الله تعالى لجملة العوالم كخلقه لأقل جزء من جناح بعوضة، وأن إيجاده بأن يقول للشيء: كن فيكون)[2].

ويستخلص من ذلك -وكذلك يفعل كل باحث منصت لصوت العقل، ومستخدم لموازين العدل- أنه شتان بين عقائد اليهود بمصادرها المحرفة وبين عقائد المسلمين الذين يثبتون لله تعالى الصفات اللائقة بكماله وجلاله عز وجل، من التوحيد والتمجيد اللائق بجلال الربوبية وتعظيم الله تعالى (وأما قول اليهود فتأنف منه دبغة الجلود، وهذه المواضع وشبهها من أعظم الأدلة على تبديل التوراة وأنها غير المنزلة من الله تعالى، وهذا يجزم به كل عاقل)[3].

الإيمان باليوم الآخر:

يلاحظ الباحثون أن هناك اضطرابًا وغموضًا فى عقيدة اليهود فى اليوم الآخر، فهى أقرب إلى الإنكار منها إلى الإقرار والإيمان.

ويرجع ذلك إلى اختلاف النصوص الواردة عن الآخرة بين التوراة والتلمود: فقد خلت أسفار العهد القديم من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه، بينما ذكر التلمود فى بعض فقراته الجنة والنار (ولكنها فى صورة مضطربة أدنى إلى الخرافة والأساطير منها إلى حقائق العقيدة، فتذكر هذه الفقرات أن الجنة تأوى إليها الأرواح الزكية، وأنه لا يدخلها إلا اليهود، وأن أهلها يطعمون من لحم أنثى الحوت المملحة كما يتناولون لحم طير كبير لذيذ الطعم ولحم أوز سمين، وأن شرابهم فيها نبيذ معتق عصره الله فى اليوم الثانى من الأيام التى خلق فيها العالم، وأن النار لغير اليهود من

---

(١) قصة الحضارة ج٢ ص٣٤ نقلاً عن (المخططات التلمودية للأستاذ أنور الجندى ص٢٩).

(٢) الأجوبة الفاخرة (عن الأسئلة الفاجرة) للقرافى ص١٤٨ -ط دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م.

(٣) نفس المصدر.

المسلمين والمسيحيين)[1].

ومن هنا اختلفت الآراء حول معتقدات اليهود عن اليوم الآخر، فيرى الدكتور وافى أن بعض فرق غير شهيرة من فرق اليهود كانت تذهب فى عقيدتها إلى ما يقرره التلمود فى هذه الفقرات، وكانت تفسرها بمدلولها الحقيقى لا بمدلولها المجازى[2].

ويستدل من ذلك على أن أسفارهم من صنع أيديهم، وأن توراتهم المزعومة مخالفة للتوراة الصحيحة التى أنزلها الله تعالى على موسى -عليه السلام- نورا وهدى للناس.

وقد وجدت هذه الاضطرابات فى النصوص والاختلاف فى التأويل صدى لدى اليهود والمعاصرين حيث تأتى أصدق شهادة على لسان السيدة/ مريم جميلة المهتدية للإسلام -حيث تخبرنا باعتقاد والدها وأفراد أسرتها وجميع أصدقائهم الذين (يهزأون من أى تفكير فى الآخرة، ويقولون بأنها خرافة محضة وأن الإيمان بيوم القيامة والجزاء فى الجنة والعقاب فى النار ضرب من الأفكار البالية من مخلفات العصور القديمة)[3].

ثم تخبرنا بما هو أعجب وأدعى إلى التفكر والنظر فى تطور هذه العقيدة فى أذهان الصهاينة وارتباطها بفكرة إنشاء إسرائيل. فقد زعم أحد الأحبار بأنها (تعنى حق اليهود الباطل فى العودة إلى فلسطين)[4].

****

---

(١) الأسفار المقدسة ص٢٨.

(٢) المرجع نفسه ص٢٩.

(٣) رجال ونساء أسلموا ج١ ص١٥ وذكرت أن فلسفة والدها كانت تتلخص فى أن على الواحد منا أن يتجنب التفكير فى الموت وأن يتمتع بمباهج الحياة بأقصى ما يستطيع.

(٤) المرجع نفسه ص٣٩ والحبر هو إبراهيم إسحق رئيس قسم الدراسات العبرية بجامعة نيويورك الذى زعم أيضاً بأن الإسلام مشتق من اليهودية.

تنسب الأسفار لبعض الأنبياء -كما يذكر الدكتور وافي- أعمالاً قبيحة تتنافي مع وضعهم الديني والاجتماعي، بل تتعارض مع الخلق الكريم في ذاته، ولا يتصور صدورها إلا من سفلة الناس، كالقصص المفتراه عن إبراهيم ولوط وداود ونوح عليهم السلام[1].

ومن جهة أخرى يتوسع اليهود -لا سيما الذين لا يلتزمون بالنصوص المقدسة- في دائرة النبوة والأنبياء، ويدخلون فيها كل من هب ودب، فيرون في (الكهنة والأحبار الذين تلوا الأنبياء الأخيرين: دانيال واستير وعزرا ونحميا وملاكي، استمراراً للوحي والنبوة).

ويضيف الدكتور حسن ظاظا إلى ذلك قوله: (بل إن كثيراً من العلمانيين اليهود ممن ألهبت أرواحهم نيران الصهيونية الحديثة يبقون باب النبوة هذا مفتوحاً حتى القرن العشرين ليدخل منه تيودور هرتزل أيضًا)[2].

كذلك فقد أنكروا نبوة نبينا محمد ﷺ، ولكنهم لم يفلحوا -ولا أفلح غيرهم- من النيل منه مهما اختلقوا من أكاذيب وافتراءات لأنها تتصدع وتنهار أمام شخصيته وأخلاقه التي تسمو على المطاعن والترهات لكل من درس سيرته بتجرد ونزاهة، بل يتضح الإسلام في دائرته الواسعة -كدين وحضارة- مرتبطًا بشخصيته أوثق ارتباط، إذ يتضح أيضًا صدق نبوته إذا ما استخدمنا منهج المقارنة

---

(١) الأسفار المقدسة ص٤٠ /٤٨ . ومما يذكر أيضًا أن تاريخهم ازدحم أيضًا بالأنبياء المحترفين الذين ازدادوا زيادة كبيرة جعلت الجيل الواحد يشهد أكثر من ٤٥٠ من ذلك الصنف (ينظر كتاب المهندس أحمد عبد الوهاب (النبوة والأنبياء) مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤٠٠ هـ/١٩٧٩م.

(٢) ص٥-٦ من كتاب (الفكر الديني اليهودي: أطواره ومذاهبه) دار القلم -دمشق ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م دار العلوم - بيروت. ومما يذكر في هذا الصدد أن يهود نيويورك قدموا إلى (روزفلت) ميدالية ذهبية نقش على أحد وجهيها صورته، وعلى الوجه الآخر النجمة السداسية التي تحمل في وسطها عبارة الإهداء تقول: (الرفاه والحكمة لفرا نكلين روزفلت نبينا الجديد: الذي سيعيدنا إلى الأرض الموعودة في ظل خاتم سليمان بن داود) وكان روزفلت يهوديًا واسم عائلته روزنفلت Rosenvelt فؤاد الرفاعي ص٨٠ من كتاب . النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية، ط دار المجتمع - الكويت سنة ١٤٠٧هـ.

بهـذه الرؤية الجامعة لأن شخصيته وسنته ليست بمعزل عن شريعة الإسلام وأمة الإسلام لأنهما من آثاره الباقية، ﷺ .

وهذا ما فعله ابن تيمية بمنهجه المقارن الموسع المتضمن لهذه الشُعب كلها:

بدأ بسرد مجمل مبينًا بعده تفاصيل ما أجمله، فقال: (وسيرة الرسول ﷺ من آياته وأخلاقه، وأقواله وأفعاله وشريعته، من آياته، وأمته من آياته، وعلم أمته ودينهم من آياته، وكرامات صالح أمته من آياته، وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد إلى أن بعث، ومن حين بعث إلى أن مات)[1]. وفصل بعد ذلك حيث أورد أن نسبه من صميم سلالة إبراهيم الذى جعل الله فى ذريته النبوة والكتاب، وقد دعا إبراهيم لذرية إسماعيل بأ يبعث فيهم رسولاً منهم.

وكان عليه الصلاة والسلام أكمل الناس تربية ونشأة، ولم يزل معروفًا بالصدق والبر والعدل ومكارم الأخلاق، وكان أميًا من قوم أميين، ولم يقرأ شيئًا عن علوم الناس، ومع هذا فإنه عندما أكمل أربعين سنة أتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها، فجاء بعجائب الآيات وأكمل الشرائع، وظهر دينه بالعلم والحجة وباليد والقوة. واتبعه ضعفاء الناس لا لرغبة ولا لرهبة، وعاداه أهل الرياسة، وآذوه وآذوا أتباعه بأنواع الأذى، وهم صابرون محتسبون[2].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٤ ص٨٠ مطبعة المدنى، بدون تاريخ، كذلك لا ينبغى إغفال بشارات التوراة والإنجيل بمجيء محمد ﷺ التى ينكرها اليهود والنصارى عنادًا –منها ما ورد فى سفر التثنية (جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران) –ينظر كتاب محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن، لإبراهيم خليل أحمد –مكتبة الوعى العربى من ص٣٥ إلى ٤٩، وكتاب النبوة والأنبياء للمهندس أحمد عبد الوهاب من ص ١١٩ : ١٦٢ على سبيل المثال لا الحصر، ولعل أبرز الكتب التى عالجت نبوءات الكتاب المقدس بإسهاب هو كتاب (محمد ﷺ) تأليف البروفسور عبد الأحد داود المهتدى للإسلام ترجمة فهمى شما ومراجعة وتعليق أحمد محمد الصديق –من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر –١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ وعن التبشير برسول الله ﷺ قال الأستاذ محمد قطب: وجاء الإنجيل على لسان عيسى عليه السلام (يأتى من بعد الفارا قليط) وهذه كلمة يونانية معناها الحمد، أى إنها مشتقة من (أحمد) وقد أبوا أن يترجموها فى النسخة العربية وأبقوها هكذا لكى تظل غير مفهومة للقارئ، ولكيلا يعلم من هذا الذى سيأتى بعد المسيح (عليه السلام) وقد مر الزمن، ولم يأت بعد المسيح إلا محمد ﷺ .

وفى عام ٣٦٥ هـ (١٩٤٥م) نشرت صحيفة الأهرام المصرية هذا النبأ على إحدى صفحاتها: «عثر فى دير سانت كاترين بسيناء على نسخة قديمة من التوراة جاء فيها ذكر محمد ﷺ». ثم اختفت هذه النسخة ولم تعد مرة أخرى إلى الظهور. ص١١٦ من كتاب: علم التوحيد للصف الثانى الثانوى، محمد قطب (الرئاسة العامة لتعليم البنات بالسعودية ط١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م).

(٢) المرجع نفسه ص٨١ مختصراً.

وعندما اجتمع فى أحد مواسم الحج بأهل يثرب، وكانوا قد سمعوا من جيرانهم اليهود عنه، آمنوا به واتبعوه، فهاجر هو وأصحابه إليهم، ثم أُذن له فى الجهاد، ثم أمر به، فقام بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها فى جميع حالاته.

وعندما مات ﷺ لم يخلف شيئًا إلا بغلته وسلاحه، ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين صاعًا من شعير.

وهو فى كل وقت يظهر على يديه من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه(١). وبعد هذه الأوصاف التى أوجزناها نقلاً عن ابن تيمية، يأتى إلى المقارنة بين عقائده وشريعته والعقائد والشرائع الأخرى.

لقد جمع محاسن ما عليه الأمم، ففى العقيدة والتوحيد لا يذكر فى التوراة والإنجيل والزبور نوع من الخبر عن الله، وعن ملائكته، وعن اليوم الآخر إلا وقد جاء على أكمل وجه وأخبر بأشياء ليست فى هذه الكتب.

وقس على ذلك العبادات والحدود والأحكام، وسائر الشرائع، وكلها أفضل وأرجح، فليس فى تلك الكتب إيجاب لعدل وقضاء بفضل، وندب إلى الفضائل وترغيب فى الحسنات إلا وقد جاء به، وبما هو أحسن منه(٢).

وينوه ابن تيمية بفضائل أمته ﷺ من حيث الشجاعة والجهاد فى سبيل الله والسخاء والبذل، وكلها تعلموها منه، دون اتباع كتاب قبله مثلما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة.

وآمنت أمته بالرسل والأنبياء قبله، وآمنت بجميع الكتب المنزلة، كما أمرهم، ولم يستحلوا أخذ شيء من الدين من غير ما جاء به. ومن أدخل فى الدين ما ليس منه مثل أقوال فلاسفة اليونان والفرس أو الهند، أو غيرهم كان عندهم من أهل الإلحاد والابتداع.

وبالرغم من التنازع الذى حدث بين المسلمين إلا أنهم اتفقوا على هذا الأصل

---

(١) المرجع نفسه ص٨٢.

(٢) المرجع نفسه ص٨٣.

الذى هو دين الرسل عمومًا، ودين محمد ﷺ خصوصًا. ومن خالف هذا الأصل كان عندهم ملحداً مذموماً[١].

وينتهى شيخ الإسلام فى الختام إلى بيان أن كمال علمه ودينه، يناقض الشر والخبث والجهل، فتعين أنه متصف بغاية الكمال فى العلم والدين، وهذا يستلزم أنه كان صادقًا فى قوله: «إنى رسول الله»[٢] ﷺ.

وبعد...

هذه هى معالم المنهج الموسع المستخدم بواسطة شيخ الإسلام، وسنعود إلى تطبيق بعض شُعبه بعد حديثنا عن الديانة النصرانية، لأن أتباعها أيضًا لا يقرون بنبوته. صلى الله عليه وسلم.

****

← وينبه على [illegible] إلى الكراهية العميقة والاحتقار الشديد للإسلام الذى تكنه الحضارة الغربية منذ الحروب الصليبية.
(المختار الإسلامى - ربيع الأول ١٤٢٥هـ - مايو ٢٠٠٤م) ص٩٤

(١) المرجع السابق ص٨٥.
(٢) المرجع نفسه ص٨٦.

الفصل السادس

النصرانية

تمهيـد:

لم ينقطع الحجاج العقلي مع أهل الكتاب منذ نزول الوحي على رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٦٤].

واستمرت المحاورات والمناقشات -وما زالت- تشتد حينا وتضعف أخرى ولا يكاد يخلو عصر من المساجلات الشفوية والمدونة[١].

غير أننا نعيش في عصر تفرد بمظاهر جديدة خلت منه العصور الماضية[٢] فقد تحولت فيه اليهودية إلى دين سياسي كما بينّا آنفًا، كذلك فإن النصرانية قد دخلت نفس المرحلة، أي اكتساب النفوذ السياسي بإعلان البابا الكاثوليكي ليون الثالث عشر في ١٥/٥/١٨٩١م (إرادة الكنيسة في أن تتدخل في الأحداث وأن تدفع القوى السياسية المدافعة عن مبادئها في سبيل تحقيق أهدافها المدنية)[٣].

كذلك صاحبت موجة الاستعمار موجات التبشير حتى وصفت هذه المرحلة المعاصرة بأنها امتداد للحروب الصليبية في العصور الوسطى، ولكن في أثواب

---

(١) من أشهرها في العصر الحاضر محاورات الأستاذ أحمد ديدات مع رجال الدين النصارى، ومنها محاورته مع القس الأمريكي سوجارت.

(٢) وأبرزها اتفاق اليهود والنصارى في عدائهم للإسلام والمسلمين، فقد عم الفرح والسرور أوروبا وأمريكا على أثر هزيمة المسلمين العرب في حرب يونيو ١٩٦٧ بينما لا ننسى مسئوليتهما عن إنشاء إسرائيل (٤٧/٤٨ من كتاب رسالة البابا بولس السادس -د. عبد الودود شلبي) ط دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٨.

(٣) سلوك المالك في تدبير الممالك ج١ ص٤١ تحقيق وتعليق د. حامد ربيع حيث يسجل أيضًا أنه في نفس الوقت يلاحظ (تقييد الدلالة السياسية للدين الإسلامي وإبعاده بصورة أو بأخرى من الحركة السياسية ومن مفاهيم الصراع السياسي) نفس المصدر ص٤٤.

جديدة أشد وأخطر من سابقتها، إذ توالت الحملات على الإسلام وكتابه ورسوله ﷺ بأقلام حاقده لا تبغى الحق بقدر ما تبغى الإساءة والطعن[1].

وها نحن أمام خيوط عدائية تشابكت فى شكل استعمار عسكرى وتشويه للإسلام وحملات تبشير، ومن ثم فإنه من التبسيط المخل وصف كل هذا بأنه مجرد (غزو ثقافى).

كلا إنه تكتل ذو أبعاد دينية ونفسية وتاريخية وثقافية يحمل برمته طابع الاصطدام والتحدى الذى لم ينقطع بين الحضارتين: الغربية المسيحية والحضارة الإسلامية.

يقول الدكتور حامد ربيع: (هذه الرهبة التي ترسبت فى ذهن القيادات الأوربية تعود إلى بداية العصور الوسطى، وظهرت خوفًا من الدولة العثمانية، يرتبط هذا الخوف بعملية تشويه الحقيقة الإسلامية.. الحضارة الأوربية استندت دائمًا إلى كبرياء شكلى، وهى فى هذا وريثة الحضارة الرومانية: حضارة القوة والغطرسة.. عقدة الإسقاط تأبى إلا إضفاء عيوب الذات على الغير.. وتأتى الحركات التبشيرية لتكمل هذا التطور: تشويه الإسلام)[2].

الأمة الإسلامية.. أمة ودعوة:

ولكن الحق أننا أمة داعية، ولسنا أمة معتدية، رسالتنا الهداية إلى الحق لا السيطرة والاستعلاء وقهر الشعوب، وصفحات تاريخنا أنصع بياضًا من أية صفحات أمة أخرى، فلم تتعرض جيوشنا إلا لحماة الظلم ومانعى الدعاة من أداء رسالتهم، وكانت الحروب سجالاً بين جندنا وجند قاهرى الشعوب الذين يقفون عقبة فى سبيل الهداية، فلم تتعرض للسكان الآمنين المدنيين شيوخًا ونساء وأطفالاً ورهبانًا فى صوامعهم.

يقول الجوينى: (ابتعث الله محمداً ﷺ إلى الثقلين، وحتّم المستقلين بأعباء شريعته دعوتين:

---

(١) وتعدى الأمر إلى ممارسة الطعن أثناء حملات الزيارات الشخصية. يقول الأستاذ أحمد ديدات (كنت وأصدقائى هدفًا دائمًا لخريجى هذا المعهد – أى معهد تخريج الوعاظ النصارى – فلم يكن يمر يوم لا يضايقنا فيه هؤلاء بإهاناتهم للإسلام، والنبى ﷺ والقرآن).

ص٨٥ من كتابه (هل الكتاب المقدس كلام الله؟) – ترجمة نورة أحمد النومان – مكتبة أبو القاسم، جدة.

(٢) الإسلام والقوى الدولية ص٩ / ١١ – ط دار الموقف العربى ١٩٨١م.

واعتبر السفير الألمانى السابق مراد هوفمان ٢٠٠٢ (أن العداء الغربى للإسلام يعود إلى قرون ماضية وأصبح جزءا من التراث الغربى) المؤتمر العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ٢٩/٤/٢٠٠٢م

أحداهما: الدعوة المقرونة بالأدلة والبراهين، والقصد منها إزالة الشبهات وإيضاح البينات.

والأخرى: الدعوة القهرية المؤيدة بالسيف المسلول على المارقين الذين أبوا واستكبروا بعد وضوح الحق المبين)[1].

من هذا الفهم الفقهي الصحيح لرسالتنا والتطبيقات الواقعية المطابقة لحقائق التاريخ، يحق لنا أن نتألم ونمتعض مما يلاقيه العالم الإسلامي منذ الحروب الصليبية من روح عدائية، تظهر آثارها على أمتنا وشعوبنا الآن في أندونيسيا والفلبين وتايلاند والهند والحبشة والسودان وبلغاريا وألبانيا ويوغوسلافيا وغيرها من البلدان التي يستهدف فيها المسلمون لألوان من العسف والظلم وكبت الحريات وحملات التنصير.

ومع هذا كله فإننا سنتخلص بقدر طاقتنا من آثارها على النفس بالصبر والمثابرة، ونقيم منهجنا العلمي في عرض العقائد النصرانية وشرحها في ضوء قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [الصف: ٩]، محتكمين إلى المناقشة الهادئة بالحجج العقلية والطرق المنطقية لتوعية أبنائنا بحملات التشهير التي تتجاوز أحيانا كل الحدود، ونأمل أيضًا أن نلقى آذانا صاغية وقلوبًا خالية من التعصب وراغبة في معرفة الحق واتباعه، لا سيما بعد انحياز العالم الغربي لليهود مع استخدام التبشير لاستمرار استعمار العالم الإسلامي، فإن العلاقة وثيقة بينهما (وخاصة ما يصدر عن العالم الأنجلو سكسوني البروتستانتي الذي يخضع بحكم تراثه الديني والفكري إلى التأثير اليهودي وتفسيراته المتعسفة لنبوءات العهد القديم... حيث تدعي إسرائيل قيامها على مزاعم توراتية دينية يؤمن بها البروتستانت إيمانًا أعمى)[2].

---

(١) غياث الأمم في التياث الظلم ص ١٥٣، ١٥٤ - تحقيق د. فؤاد عبد المنعم ومصطفى حلمي - ط دار الدعوة بالإسكندرية ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م.

(٢) تقول الباحثة ريجينا الشريف (كانت المبادئ البروتستانتية التي وضعتها حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر مغايرة تمامًا للمبادئ الكاثوليكية السابقة. وتوصف هذه الحركة بأنها بعث « عبري » أو « يهودي » تولدت عنه وجهة نظر جديدة عن الماضي والحاضر اليهودي وعن مستقبله بكل خاص. ص٢٩ من كتاب (الصهيونية غير اليهودية -جذورها في التاريخ الغربي) ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز -عالم المعرفة- الكويت ١٤٠٦ هـ ١٩٨٥م.

وفي مجال تطبيق العقيدة على الساحة السياسية صرح الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر أن (دولة إسرائيل هي أولاً وقبل كل شيء (دعوة إلى الأرض التوراتية التي أُخرج منها اليهود منذ مئات السنين، إن إنشاء دولة إسرائيل هو إنجاز النبوءة التوراتية وجوهره) نفس المصدر ص٢٧٥.

التعريف بالأناجيل

تعتبر الأناجيل فى النصرانية -كما يقرر الشيخ أبو زهرة- بمكانة القطب والعماد، فهى تشتمل على أخبار شخصية المسيح -عليه السلام- من وقت الحمل إلى وقت الصلب، فى اعتقادهم، وقيامه من قبره بعد ثلاث ليال ثم رفعه بعد أربعين ليلة، كما تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح، فى زعمهم، والصلب والفداء[1].

وقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة كما أثبت ذلك مؤرخو النصرانية (ثم أرادت الكنيسة فى آخر القرن الثانى الميلادى -أو أوائل القرن الرابع - أن تحافظ على الأناجيل الصادقة -فى اعتقادها- فاختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الرائجة إبان ذلك)[2].

أما عن طريقة اختيار هذه الأناجيل، فلا تخلو من طرافة، حيث يروى التاريخ أن قسطنطين الأكبر جمع ثلاثمائة من القساوسة فوضعوا الأناجيل تحت طاولة العشاء المقدس ودعوا الله أن تصعد الأناجيل الصادقة فوق الطاولة، ويبقى الزائف منها تحتها، فصعدت الأناجيل الأربعة الحالية فوق الطاولة، وأصدر قسطنطين قراراً باعتبار غيرها زائفة، وأمر بإحراقها وإعدام كل من احتفظ بنسخة منها[3].

ويقول موشيم فى كتابه (تاريخ الكنيسة) : (لقد كانت هذه الأحكام ظالمة غير معقولة، حتى أن الملك نفسه ندم عليها بعد ذلك. فقد أصدر الملك قسطنطين حكمه بإحراق كتب فرقة آريوس فى ذلك الموكب ونفيهم من البلاد، لكنه بعد بضعة أعوام وفى ٣٣٠ م حين قالت أخت الملك وهى على فراش الموت أن قراره ضد هذه الفرقة كان ظالمًا، وقد أصدره بناء على تعصب أعداء آريوس لا على أساس الصدق والحق، ألغى الملك قراره هذا، ولكن آريوس كان قد مات قبل أن يصل إليه قرار العفو)[4].

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص٤٨ / ٤٩ ط الرئاسة للبحوث العلمية بالرياض ١٤٠٤ هـ.

(٢) المرجع نفسه ص٤٩ .

(٣) تاريخ الإنجيل والكنيسة ص٦٦ لأحمد إدريس، دار حراء بمكة المكرمة ١٩٨٧م.

(٤) نقلاً عن المصدر السابق.

ومهما يكن من أمر، فلا ينبغى أن تنسينا هذه الأحداث المذهلة الوقوف على الوثائق الأصلية التى اعتمدت عليها الأناجيل، وهل تحمل فعلاً كلمة الرب؟

الأصول المخطوطة وتواريخ تأليفها:

يذكر القس سوجارت فى مجال الإثبات أنه (يوجد ما يقرب من أربعة وعشرين ألف مخطوط يدوى قديم من كلمة الرب، من العهد الجديد وحده. وأقدمها يرجع إلى ثلاثمائة وخمسين عاماً بعد الميلاد. والنسخة الأصلية أو المنظورة أو المخطوط الأول لكلمة الرب لا وجود لها)[1].

ولكن الشيخ أحمد ديدات أثبت أن ذلك ليس دليلاً على أنها من عند الله -تعالى- إذ ليس بين هذه المخطوطات -على كثرتها- إثنان متماثلان باعتراف علماء النصارى أنفسهم، فالإنجيل الذى بين أيديهم ليس إنجيل عيسى -عليه السلام- الذى هو من عند الله، وعندما تتفحص هذه الكتب تجد العبارات الآتية المذكورة بنسخة الملك جيمس وهى:

(الإنجيل وفقا للقديس متى)

(الإنجيل وفقا للقديس مرقس)

(الإنجيل وفقا للقديس لوقا)

(الإنجيل وفقا للقديس يوحنا)

أضف إلى ذلك - كما يذكر رحمة الله الهندى - أنه توجد فى زمان تأليف الأناجيل الأربعة روايات واهية ضعيفة بلا سند، يُعلم منها أيضاً أنه لا سند عندهم لهذه الكتب، معتمداً على ما أثبته (هورن) فى تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢م بالنص أن (الحالات التى وصلت إلينا فى باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخى الكنيسة أبتر وغير معنية لا توصلنا إلى أمر معين..) ثم أخذ يحدد تواريخ تأليف الأناجيل حسب الاحتمالات، فقد أُلف الأول سنة ٣٧ أو ٣٨ أو ٤١ أو ٤٣ أو ٤٨ أو ٦١ أو ٦٢ أو ٦٣ أو سنة ٦٤ من الميلاد، والثانى سنة ٥٦ أو ما بعدها إلى سنة ٦٥ والأغلب أنه أُلف سنة ٦٠ أو سنة٦٣ . وأُلف الأنجيل الثالث سنة ٥٣ أو ٦٣ أو ٦٤، وأُلف الأنجيل الرابع سنة ٦٨ أو ٦٩ أو ٧٠ أو ٩٧ أو ٩٨ من الميلاد[2].

---

(١) المناظرة الحديثة فى علم مقارنة الأديان -بين الشيخ ديدات والقسيس سوجارت ص١٢١، جمع وترتيب د. أحمد حجازى السقا وتقديم الشيخ محمد الغزالى -مكتبة زهران بالأزهر بمصر ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.

(٢) كتاب إظهار الحق جـ١ ص ١٥٧.

صلة الأناجيل بالتوراة

وقبل الحديث عن الأناجيل الأربعة عند النصارى، يحسن بنا أيضًا شرح العلاقة بينها وبين التوراة، وموقف كل من اليهود والنصارى منهما، فإن اليهود (يؤمنون بأن العهد القديم أو التوراة وحدها هي كلام الله، ولا يعترفون بالعهد الجديد، أما المسيحيون فيعتبرون العهد القديم كتاب الشريعة، والعهد الجديد عهد الفضل والكفارة)[١].

وتعليل ذلك أن الأناجيل خلت من الأحكام التشريعية، واعتمادًا على الرواية المنسوبة للمسيح عليه السلام أنه ما جاء لينقض الناموس. أي شريعة موسى -بل ليكمله (وباستثناء الأمور التي يرى المسيحيون أن الانجيل قد نسخها من التوراة فإنهم يؤمنون ببقيتها ويعتبرونها كتابًا مقدسًا إلهيًا لا غنى عنه في التشريع)[٢].

أما عن تاريخ التدوين فيذكر كولمان في كتابه (العهد الجديد) أن الإنجيل ظل خلال ثلاثين أو أربعين سنة موجودًا بشكل عام بصورة شفوية وكانت الصياغة الشفوية بتأثير وعظ تلاميذ المسيح -عليه السلام- ووعاظ آخرين، ثم جمعت هذه الروايات الشفوية وكتبت[٣].

ويقول الأب كنغسر (لا ينبغي الأخذ حرفيًا بالأناجيل، فهي (مكتوبة بالمناسبة) أو (للنضال) أوردها الكتاب خطيًا روايات جماعاتهم عن المسيح[٤].

ألا يلفت نظرنا تعبيراته عن الكتابة بالمناسبة وللنضال؟ لا شك أنها تخفي وراءها عوامل نزاعات دينية وخلافات عقائدية.

---

(١) تاريخ الإنجيل والكنيسة، أحمد إدريس ص٦١ ط دار حراء بمكة المكرمة ١٩٨٧م.

(٢) المرجع نفسه: ويورد ابن كمونة اليهودي مضمون عقيدتهم في هذا الصدد حيث قالوا (نحن مؤمنون بكل ما جاء في التوراة وفي آثار بني إسرائيل التي لا مدفع في صدقها لشهرتها وعلانيتها في الجماهير العظام. ونؤمن بأنه في أخريات أمرهم وعقائبه تجسمت اللاهوتية وصارت جنينًا في بطن عذراء من أشرف نساء بني إسرائيل من نسل داود.. (من كتاب تنقيح الأبحاث للملل الثلاث: اليهودية المسيحية الإسلام) لسعد بن منصور بن كمونة اليهودية (القرن السابع الهجري) ط دار الأنصار بالقاهرة تقديم د.عبد العظيم المطعني.

(٣) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ص٧٦ / ٧٧ باختصار.

(٤) المرجع نفسه ص٧٨.

إذًا لابد لاستكمال حلقات البحث والتمهيد لفهم واستيعاب نصوص الأناجيل من ضرورة التعريف بالشخصية البارزة فى تاريخ المسيحية المبكر، والتى ترتبط بها العقائد والطقوس المسيحية -وهو بولس- أوشاول- كذلك ضرورة إلقاء الضوء على المعارضة الشديدة التى لقيها من أتباع المسيح عليه السلام، والتى لولا الإلمام بها، لما استطعنا أن نقف على البواعث الحقيقية لكتابة الأناجيل.

(أ) كلمة عن بولس:

لابد للباحث فى النصرانية من الإحاطة بشخصية (بولس) الذى حول مجرى عقائدها وعبادتها، عما جاء به عيسى عليه السلام إلى ديانة أخرى مخالفة تمامًا وصح نسبتها إلى (بولس) بدلاً من نسبتها إلى المسيح عليه السلام.

فمن هو بولس؟ أو شاول؟

إنه يعرفنا بنفسه بقوله (أنا يهودى فريس بن فريس على رجاء قيامة الأموات)، وكان شديد العداء للمسيحيين، فأخذ يعمل فيهم قتلاً، ويجر الرجال والنساء ويسلمهم إلى السجن ويسطو على الكنيسة[1].

وقد تضمن سفر الأعمال صنوفًا من ألوان التعذيب والاضطهاد والتقتيل الذى فعله بالمسيحيين حتى اعترف بنفسه فى نصوص كثيرة، منها ما جاء فى الإصحاح الثانى والعشرين مخاطبًا اليهود (كنت غيوراً لله، كما أنتم جميعكم اليوم واضطهدت هذا الطريق حتى الموت، مقيداً ومسلمًا إلى السجون رجالاً ونساء كما يشهد لى أيضًا رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذا أخذت منهم رسائل للأخوة إلى دمشق ذهبت لآتى بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكى يعاقبوا)[2].

---

(١) المسيحية للدكتور / شلبى ص٧٢. وظل اليهود يتحينون الفرص لاختراق الكنيسة عن طريق التحول إلى المسيحية، ولعل من أشهر الحوادث المعبّرة عن ذلك هو تحول عائلة بيرليونى فى القرن الحادى عشر إلى المسيحية، وخرج منها البابوات (أناسوت) الثانى وغريغورى السادس والسابع. ص١٨ وص٤٨ من كتاب (بابوات من حى اليهود) .. ومما يُذكر أن غريغورى السابع (وكان يدعى - هلد براند - حينما كان يهوديًا وقبل أن ينتهى به المطاف إلى أن يصبح الحبر الأعظم للنصارى) .. هو أول من أصدر الدعوة لمحاربة (الكفار) المسلمين، وذلك قبل الحملة الصليبية الأولى بجيل كامل) (المسيح الدّجال - سعيد أيوب ص ١٨٤) ط دار الاعتصام بمصر سنة ١٩٨٩م.

(٢) نقلاً عن محاضرات فى النصرانية ص٨٨.

ويعطينا الأستاذ إبراهيم خليل بعض اللمحات المميزة التى تفرق بينه وبين المسيح عليه السلام، من حيث المباحث الدينية وطرق الدعوة، فقد تميزت طريقة المسيح (بطابع السمو والبساطة حتى يفهما لأول وهلة -الزارع والصانع والمثقف والأمى والرجل والمرأة دون أدنى إجهاد للذهن. وعندما سئل كيف يرث الحياة الأبدية؟ أجاب المسيح -عليه السلام: «إن الدين هو حياة وقوة وليس مجرد تعاليم». الدين هو أن يعيش المرء فى إطار أحكام الشرع لا يتعدى أوامر الله ولا يقترف نواهيه)[١].

أما أسلوب بولس المدعو رسولاً، فإنه يعبر عنه فى هذا النص: (فإنى إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسى للجميع، لأربح الأكثرين، فصرت لليهودى كيهودى لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس.. إلخ، صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء، صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال)[٢].

ويستخلص من تحليله لأقواله وتعاليمه أنه كان متعمقًا فى معرفة الفلسفة اليونانية فكانت سارية فى كتاباته، هذه الفلسفة التى لم ترو قط عن المسيح عليه السلام[٣].

ولم يقتصر الأمر على هذا، بل إنه أشاع فكرة التمييز العنصرى أيضًا، وهى تناقض مبادئ المسيح، وها هو نداء بولس إلى أهل غلاطية: (أطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة، إذن أيها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد حرة). فأين هذا من قول المسيح (أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم)[٤].

ويصف لوقا كيف تحول بولس إلى المسيحية فيقول: (وعندما كان بولس قريبًا من دمشق، فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض، وسمع صوتًا قائلاً: شاول، شاول لماذا تضطهدنى؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذى تضطهده. فقال وهو مرتعد ومتحير: يارب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له: قم وكرّز بالمسيحية). وكان ذلك حوالى سنة ٣٨م.

---

(١) نقلاً عن محاضرات فى النصرانية ص٨٨.
(٢) محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن ص١٢١.
(٣) المرجع نفسه ص١٢٣.
(٤) المرجع نفسه ص١٢٤.

وبعد هذه الواقعة التى تدعو حقًا إلى التأمل ثم العجب للتغير المفاجئ المذهل فى شخص بولس وعقيدته ودعوته، تأتى فى قصة لوقا جملة ذات بال، وتوصف – بحق – كما وصفها الدكتور شلبى أنها غيرت وجه التاريخ، وهى (وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله)[1].

(ولم تكن هذه الفكرة قد عرفت من قبل)

ومنذ ذلك الحين، أخذ يدعو إلى المسيحية بحمية ونشاط، ويستخدم مواهبه من الذكاء وقوى الفكر، والقدرة على التأثير فى الجماهير للسيطرة عليهم وانتزاع الثقة به، واستطاع بمواهبه ونشاطه وحركته الدائبة فى الدعوة والخطابة والكتابة أن يفرض رأيه على المسيحيين (فيعتنقوه دينا، ويتخذوا قوله حجة زاعمين أنه رسالة أرسل بها)[2].

أما وجه العجب فى تحول بولس من حالة إلى نقيضها، فهذا الذى يجعلنا نشارك فيه رأى الأستاذ أبو زهرة –رحمه الله تعالى– حيث عبر عن ذلك بأسلوبه البليغ، ومنطقه السديد، قال بعد بيانه: إن انتقال بولس كالكثيرين غيره من الكفر إلى الإيمان، ربما لا يثير العجب، لأن له أشباه ونظائر، (بل العجب كل العجب أن ينتقل شخص من الكفر المطلق بدين إلى الرسالة فى الدين الذى كفر به، وناوأه وعاداه، فإن ذلك ليس له مشابه ولم يُعهد ذلك فى أنبياء ورسل قط، وهذه توراة اليهود، وأسفار العهد القديم التى يؤمن بها المسيحيون كما وردها، وكما قالوها، ليذكروا لنا رسولاً بعث من غير أن يكون فى حياته الأولى استعداد لتلقى الوحى، وصفاء نفس يجعله أهلاً للإلهام؟ ولا يجعل الاتهام والتكذيب يغلبان على رسالته، وأنه إذا لم يكن للرسالة إرهاصات قبل تلقيها، لا يكون على الأقل قبلها ما ينافيها ويناقضها، ولكن بولس أبو العجب استطاع أن يتغلب على ذلك العجب فى عصره، وأن يفرض نفسه على المسيحيين من بعده، وأن يحملهم على نسيان العقل عندما يدرسون أقواله وآراءه وتعاليمه)[3].

---

(١) المسيحية للدكتور شلبى ص٥٣.

(٢) محاضرات فى النصرانية ص٩٠.

(٣) محاضرات فى النصرانية ص٩٠.

(ب) النزاعات الدينية:

يوجهنا موريس بوكاى إلى أهم نزاع حدث بين أتباع المسيح عليه السلام منذ رفعه وحتى منتصف القرن الثانى، حيث حدثت معركة بين اتجاهين أى بين ما يمكن أن يسميه (المسيحية البولسية)، (اليهودية -المسيحية)، ويقصد بالأولى المسيحية من وضع بولس، والثانية المسيحية كمذهب يهودى، حيث أخذت الأولى - بكثير من التدرج - مكانة الثانية وانتصرت عليها.

ويحدثنا التاريخ بأن (جماعة الرسل الصغيرة)، التى كانت تشكل مذهبًا يهوديًا أمينا على الممارسات، ومراسم المعبد، هذه الجماعة انفصلت عن بولس تمامًا، وتصادمت معه بما يعرف بـ(حادث أنطاكية ٤٩) «فقط أسقط بولس الختان، والسبت، ومراسم المعبد بالنسبة إلى اليهود، وقد كان على المسيحية أن تتحرر من انتمائها السياسى الدينى إلى اليهودية لتنفتح على الوثنيين»(١). وانتهى الأمر بهذه الجماعة من اليهود والمسيحيين إلى اعتبار بولس خائنًا، ولديهم وثائق تصفه (بالعدو) وتتهمه (بالازدواجية المداهنة) وكان رئيس الجماعة إذ ذاك يعقوب قريب المسيح، وأخذت أسرة المسيح مكانة عظمى فى كنيسة القدس اليهودية - المسيحية (وخلف يعقوب سيكون سمعان بن كليوفاس ابن خالة المسيح)(٢).

وكانت رسالة اليهودية -المسيحية طيلة القرن الأول منتشرة فى كل مكان، أى على الساحل السورى الفلسطينى من غزة حتى أنطاكية، وفى آسيا الصغرى كذلك، وكانت روما أيضًا مركزًا مهمًا لهم.

ويستخلص موريس بوكاى من الواقعات التاريخية والنزاع بين الطائفتين مغزى مهمًا حيث يتضح أن النصوص التى بين أيدينا اليوم بدأت بعد كثير من تعديلات المصادر -حوالى سنة ٧٠م -أى فى العصر الذى كانت فيه الطائفتان المتنافستان فى ألد الخصام. ولما كان اليهود -المسيحيون- هم المسيطرون حتى ٧٠م، ثم ضعفوا

---

(١) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم - موريس بوكاى ص٧٠ / ٧١ باختصار، ترجمة الشيخ حسن خالد ط المكتب الإسلامى ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

(٢) المرجع نفسه ص٧١.

بعد ذلك وقل نفوذهم -فإن ذلك يفسر لنا كيف ظهرت الأناجيل الأربعة فيما بين هذا العام -وقبيل ١١٠م- ويرى الأب كننغر بأنه لو لم يكن جو الخصومة المثارة من انقسام الفكر البولسي (لما وصلت إلينا هذه الكتابات التى بين أيدينا اليوم (كتابات القتال هذه)[١] برزت هذه الكثرة من الكتابات التى ظهرت عن المسيح، عندما كانت المسيحية ذات الأسلوب البولسي بعد أن انتصرت نهائيًا، قد كونت مجموعة نصوصها الرسمية (القانون) الذى أبعد كل الوثائق الأخرى التى لا تتفق مع الخط المختار من الكنيسة[٢].

ويزيدنا الدكتور أحمد شلبى إيضاحًا عن حركة الاضطهاد الموجهة إلى المسيحيين الأصليين أتباع عيسى عليه السلام، فيذكر أن المسيحية التى خرجت ظافرة لم تكن مسيحية عيسى بل مسيحية بولس، ومسيحية الفلسفة الإغريقية (ولما كانت هذه المسيحية قد ابتدعت أشياء لا يرضى بها المسيحيون الأصليون كألوهية المسيح والتثليث وغيرهما، فقد بدأ صراع جديد اعتبر فيه المسيحيون الأصليون متمردين وأوقعت بهم المسيحية الإغريقية أو مسيحية بولس ألوانًا من العنت والاضطهاد)[٣].

وبعد فإذا كانت هذه هى العوامل التى أحاطت تاريخيا بكتابة الأناجيل فإن محاولات التنقيح ما زالت قائمة على قدم وساق، حيث (هناك ادعاءات كثيرة لتناقضات فى الكتاب المقدس لم يستطع العلماء حلها حتى الآن، وفيها ما يسر كل كافر ملحد . فهناك بعض الصعوبات النصية التى ما زال العلماء يتصارعون معها إلى يومنا هذا. ولا ينكر هذه الحقيقة إلا من كان جاهلاً بالكتاب المقدس)[٤]. هذا ولعل التعريف بنسخة الملك جيمس تقرب إلينا فهم هذه المحاولات.

****

---

(١) المرجع نفسه ص٧٣.

(٢) المرجع نفسه ص٧٣.

(٣) مقارنة الأديان (٢- المسيحية) للدكتور أحمد شلبى ص٥٠ -ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥م.

(٤) الحقيقة المجردة -يوليو ١٩٧٥م نقلاً عن (هل الكتاب المقدس كلام الله؟) ص٧٧.

كتاب طائفة البروتستانت

نسخة الملك جيمس

وصُفت هذه النسخة بأنها (أنبل إنجاز فى النثر الإنجليزى، فمراجعوها عام ١٨٨١م أعجبوا ببساطتها، وسموها بقوتها ونغماتها المرحة . . . وإيقاعها الموسيقى وتعبيراتها اللبقة، فقد دخلت فى تكوين خصائص المؤسسات الحكومية فى الدول المتحدثة باللغة (الإنجليزية)[١] .

ومع هذا فإن علماء اللاهوت الذين راجعوها وساعدهم فى إخراجها هيئة استشارية تمثل خمسين طائفة دينية، هم أنفسهم قرروا أن (نصوص الملك جيمس بها عيوب خطيرة جداً، وإن هذه العيوب والأخطاء عديدة وخطيرة مما يستوجب التنقيح فى الترجمة الإنجليزية)[٢] .

مع العلم بأن هذه النسخة أقرها البروتستانت بعد حذف سبعة كتب من أصل كتاب الرومان الكاثوليك، باعتبارها كتب مشكوك فى صحتها (ويسمونها الأبو كريفا Apocrypha) .

ويذكر القسيس سوجارت سبب الاستبعاد بأن البروتستانت يؤمنون بأن الأسفار المستبعدة ليست وحياً فيقول (وهناك بعض الأسفار، تعرف «بأبو كريفا» وهى لم توضع مع أناجيل البروتستانت، ولكن الكاثوليك يضعونها مع أناجيلهم لأسباب خاصة بهم . والسبب الذى يجعلنا لا نضم هذه الأسفار إلى الإنجيل هو ببساطة : أننا نؤمن بأنها ليست وحياً . وعندما تقوم بفحصها، تجد أمامك أسباباً كثيرة تكفى لإظهار أنها ليست وحيا)[٣] .

وعندما نهض الشيخ أحمد ديرات ليدلى بدلوه فى المناظرة ألقى الضوء على

---

(١) هل الكتاب المقدس كلام الله؟ للداعية أحمد ديدات ص١٩، ترجمة نورة أحمد النومان –مكتبة أبو القاسم / جدة .

(٢) المرجع نفسه ص٢٠ أما نسخة الكنيسة الكاثوليكية من الإنجيل فهى نسخة (وى أوليز) والمقصود بنسخة الملك جيمس تلك التى أهداها البطريرك (كيرلس لوكا) بطريرك القسطنطينية إلى الملك جيمس الأول (١٦٠٣/١٦٢٥م) .

(٣) المناظرة الحديثة ص١٢١ .

كلمة «أبو كريفا» واعتبرها من المصطلحات (الفنية) التى يستخدمها القساوسة بينما لا تعرف الجماهير المسيحية معناها (ومعناها: مشكوك فى أمره -ضعيف- ليس أهلاً لأن يوضع فى كتاب الله. ولهذا السبب استبعدها البروتستانت واعتبروها تلفيقًا)(١).

ثم أشار إلى نسخة إنجيل الملك جيمس باعتبارها النسخة المعتمدة وتساءل: (معتمدة ممن؟ ليس من الله تعالى.. معتمدة من الملك جيمس.. إنه هو الذى اعتمدها، وليس الله تعالى)(٢).

إنجيل متى:

يصف بوكاى هذا الإنجيل بقوله (يشغل إنجيل متى المكانة الأولى بين الأناجيل الأربعة، فى ترتيب تقديم كتب العهد الجديد. وهذا مثبت تمامًا لأن هذا الإنجيل فى صورة ما، ليس إلا امتدادًا للعهد القديم. إنه قد كتب ليعرف بأن «عيسى عليه السلام يكمل تاريخ بنى إسرائيل»(٣).

لذلك فقد كتب متى إنجيله بالعبرانية ليبشر اليهود بالمسيحية. أما عن تاريخ كتابته ومدى صحة نسبه إلى متى، فإن بعض العلماء والنقاد (يميلون إلى القول بأن هذا الإنجيل من تاليف أتباع متى.. وأكثر العلماء يرجعون به إلى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين عامى ٨٥، ٩٠)(٤).

وحول ما يدور من علامات استفهام حول تاريخ تدوينه وترجمته ومعلوماتنا عن شخصية المترجم، وغير ذلك من بيانات ضرورية لتوثيق نصوصه يقرر الشيخ أبو زهرة أن كل هذا يؤدى إلى فقد حلقات فى البحث العلمى(٥).

---

(١) نفس المصدر ص١٣١. (٢) المرجع نفسه ص١٣٢.

(٣) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاى ص٨٠، ترجمة الشيخ حسن خالد -المكتب الإسلامى ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

(٤) محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد ص١٣٤ ويذكر أن متى يعتمد على المعجزات التى تعزى إلى المسيح، ويحرص حرصًا شديدًا -يدعو إلى الريبة- على أن يثبت أن كثيرًا من نبؤات العهد القديم قد تحققت فى شخص المسيح - عليه السلام).

(٥) محاضرات فى النصرانية ص٥٤.

ويذكر رحمه الله الهندى أن قدماء المسيحيين كافةً وغير المحصورين من المتاخرين أن إنجيل متىّ كان باللسان العبرانى وفقد بسبب تحريف الفرق المسيحية، والموجود الآن ترجمته .. وجاء فى انسكلوبيديا بويى (كُتب هذا الإنجيل فى السنة الحادية والأربعين باللسان العبرانى أو باللسان الذى ما بين الكلدانى والسريانى، لكنَّ الموجود منه الترجمة اليونانية، والذى يوجد الآن باللسان العبرانى فهى ترجمة الترجمة اليونانية). كتاب (إظهار الحق) جـ١ ص ١٥١.

كذلك يقرر الكاهن (جيمس كلسى) أن (التعاليم القديمة تعزو هذا الإنجيل إلى الحوارى متى . هذا ما يقوله الناس، لكن العلماء فى عصرنا الحاضر يرفض معظمهم وجهة النظر هذه)[١].

وربما يعتمد فى ذلك على ما يراه بعض الباحثين المسيحيين (أن الجزء الذى ألفه متى الحوارى ضاع فى زمانه، وأن ما بين أيدينا الآن لم يصرح مؤلفه فيه باسمه)[٢].

لذلك يتساءل الأستاذ أحمد ديدات متعجبًا (فإذا لم ينسب هذا الكتاب (بشارة متى) إلى الحوارى متى، فكيف نقبله كلام الله)؟، وهو يستند فى نفى نسبة الكتاب إلى متى إلى رأى الأستاذ فيليبس وهو عالم اللاهوت بالكنيسة الإنجليزية الذى يقول (لقد اعتمد الكاتب على بالـQ الغامضة التى ربما كانت مجموعة من التراث الشفهى) . ويعنى الـQ هنا كلمة Quelle بالألمانية وتعنى مصادر)[٣].

إنجيل مرقص:

ومن الثابت تاريخيا أن مرقص لم ير المسيح عليه السلام . يقول عبد الله الترجمان (وأما مرقص فما رأى أيضًا -عيسى عليه السلام- قط، وكان دخوله فى دين النصارى كذلك بعد رفع عيسى وتنصر على يد (بترو) -أى بطرس- الحوارى)[٤].

واختلف الباحثون حول الإنجيل المنسوب إليه، فمن قائل إن كاتبه هو (بطرس) رئيس الحواريين عن مرقص فى مدينة رومية ونسبه إلى مرقص، ومن قائل إن مرقص ما كتب إنجيله إلا بعد وفاة بطرس وبولس[٥] (وليس بين أيدينا ما نرجح به إحدى الروايتين عن الأخرى فمن الذى كتبه؟) .

---

(١) المناظرة الحديثة ص١٥٥ أى بمعنى آخر: أن القديس متى لم يكتب البشارة التى تحمل إسمه، ص٤٦، هل الكتاب المقدس كلام الله؟

(٢) تاريخ الإنجيل والكنيسة -أحمد إدريس ص٦٩ .

(٣) هل الكتاب المقدس كلام الله؟ أحمد ديدات ص٤٦ .
ويترجمها العقاد بمعنى الأصل (عبقرية المسيح ص١٥٩) ط كتاب اليوم بمصر سنة ١٩٩١م العدد ٣١٧.

(٤) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ص٦٦ عبد الله الترجمان (القس انسلم كورميدا) تقديم وتحقيق وتعليق د. محمود على حماية -ط دار.. المعارف ١٩٨٤م.

(٥) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاى ص٨٦.

ولم يقف التساؤل عند هذا الحد، بل تداعى إلى غيره، حيث ظهر أمام الدراسة النقدية لمضمون إنجيل مرقص، سؤال آخر عن مصادره التى نقل عنها، فقد اعتبر الكتاب المحدثون أن القسم الأخير منه عملاً مضافاً. يقول كولمان (إن مخطوطات يونانية أكثر حداثة وبعض نصوص أضافت إلى هذا القسم خلاصة رؤى ليست لمرقص، بل هى مأخوذة من أناجيل أخرى).

ويرى الأب كننغر وهو عالم كبير فى اللاهوت إنه بعد انتشار الكتابات المتقاربة لمتى ولوقا ويوحنا، خلص العلماء إلى نتيجة مهمة عن مرقص، وهى إنه يأخذ المواد من يمين وشمال لدى الإنجيلين الآخرين. ويتضح من ذلك مدى الحرية التى كان يمارس بها الأسلوب الأدبى للسرد الإنجيلى حتى بداية القرن الثانى.

وعندئذ يعلق موريس بوكاى على هذه النتيجة بقوله فى صيغة تعجب: (فياله من اعتراف لاعوج فيه عن وجود الممارسة البشرية فى نصوص الكتابات المقدسة تقدمه لنا هذه الأفكار من عالم كبير فى اللاهوت)[1].

إنجيل لوقا:

نذكر أولاً ما اتفق عليه المؤرخون عن واقعة ثابتة تحقق منها العلماء المحدثون أيضاً، وهى أن لوقا (لم يدرك عيسى عليه السلام، ولا رآه أبداً وإنما تنصر بعد رفع عيسى، وكان ممن تنصر على يد بولس الإسرائيلى، وبولس لم يدرك عيسى ولا رآه، وكان أكبر أعداء النصارى)[2]، ويذكر الشيخ أبو زهرة أن الباحثين متفقون على أنه من تلاميذ بولس ورفقائه، ولم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حوارييه[3].

أما عن وصف إنجيله، فنجد أنفسنا أيضاً حيال عدة احتمالات وافتراضات تكاد تتساوى مع بعضها البعض، فيتعذر على الباحثين المدققين الاختيار بينها إلا بصعوبة بالغة، حيث يتوالى ظهور مشكلات أخرى بغير حل كما سنرى: فقد اختلف الباحثون فى مكان مولده –وهى هو أنطاكى أم رومانى؟ وهل اشتغل بمهنة الطب أم كان مصوراً؟

---

(١) المرجع نفسه ص٨٧.

(٢) تحفة الأريب ص٦٤/٦٥.

(٣) محاضرات فى النصرانية ص٥٨/٥٩.

ويدعونا الاختلاف حول مهنته بالذات إلى التوقف لمناقشة من يرجح امتهانه لصناعة الطب، لأن (هذه المهنة لها قيمتها الخاصة لأنها تلقى على حياة لوقا نوراً ساطعًا، فترينا إياه الرجل العلمي العملي المدقق المحقق الرقيق الأسلوب الجميل الديباجة، لأن الرومان لم يسمحوا في وقتهم لأحد أن يتعاطى مهنة الطب، إلا لمن جاز امتحانات عدة على جانب عظيم من الصعوبة والدقة والخطورة)[١].

ولكن موريس بوكاي لم يأخذ بهذا الرأى الذى يشير أيضًا إلى أن (الكثيرين قد تأكدوا من المهنة الطبية لكاتب الإنجيل من دقة وصفه للمرضى)، ويرى أن هذا التقدير مبالغ فيه ولأن لوقا لم يعط « وصفات » من هذا النوع بالذات. والمفردات التى يستعملها هى ذاتها التى يستعملها كل إنسان مثقف فى زمانه[٢].

وبمراجعة الأسطر الأولى من إنجيل لوقا يتضح أنه يروى عن آخرين، بينما لم يكن هو من المشهود المعاينين، فقد قال ما يأتى:

(١) (إذ كان كثيرون قد أخذوا فى ترتيب قصص الأمور المتيقنة عندنا (٢)كما سلمها إلينا الذين كانوا معاينين منذ البدء وخادميين للكلمة (٣) رأيت أنا أيضًا بعد أن أدركت جميع الأشياء من الأول بتدقيق أن أكتبها لك بحسب ترتيبها أيها العزيز تاوفيلس (٤) لتعرف صحة الكلام الذى وعظت به[٣].

لهذا كان لوقا فى نظر كولمان مؤرخ، وفى نظر الأب كننغر « قصاص بارع »[٤].

ونظراً لأن لوقا كان وثنيًا اهتدى إلى المسيحية، فقد أشار كولمان فى دراسته إلى تجاهله الآيات الأكثر يهودية لدى (مرقص)، وإبرازه لكلمات عيسى -عليه السلام- ضد كفر اليهود، فى حين كان (متى) يجعل المسيح يطلب من الرسل البعد عنهم. ويعلق موريس بوكاى على ذلك بقوله (وهذا مثل رهيب من كثير،

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص٥٨ .

(٢) التوراه والإنجيل والقرآن والعلم ص٨٨ .

(٣) إنجيل ربنا يسوع المسيح للقديس لوقا (الفصل الأول) نقلاً عن كتاب (هل الكتاب المقدس كلام الله؟) لأحمد ديدات ص٨٣ .

(٤) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاى ص٨٧، وثاوفيلى هذا كما وصفه ابن البطريق رجل من عظماء الروم. وهناك من يقول إنه كان مصريًا لا يونانيا (محاضرات فى النصرانية ص٥٩) .

يوضح لنا أن الإنجيليين كانوا يقولون المسيح ما يناسب رؤاهم الشخصية فيقدموا لنا بحسن نية أكيدة وبقناعة شخصية من كلمات المسيح، النص الذى يتفق مع وجهة نظر الطائفة التى ينتمون إليها)[١].

وبالمقارنة بين سلسلة نسب المسيح عليه السلام عند لوقا ومتى، تبرز إحدى أبرز التناقضات فى الكتاب المقدس، فيقول الأستاذ ديدات: (من بين داود وعيسى « أوصى » الله لمتى بتسجيل ستة وعشرين سلفًا فقط « لابنه » ولكن لوقا الملهم أيضًا سجل واحدًا وأربعين سلفًا لعيسى)[٢].

إنجيل يوحنا:

يصف الأستاذ الشيخ أبو زهرة هذا الإنجيل بقوله: (لهذا الإنجيل خطر وشأن أكثر من غيره فى نظر الباحث، لأنه الإنجيل تضمنت فقراته ذكرًا صريحًا لألوهية المسيح عليه السلام)[٣].

وكان الرأى المعتمد فى العصور الماضية هو اعتبار يوحنا (ابن خالة عيسى عليه السلام، ويزعم النصارى أن عيسى حضر فى عرس يوحنا، وأنه حول الماء خمرًا فى ذلك العرس، وهذه أول معجزة ظهرت لعيسى، وأن يوحنا لما رأى ذلك ترك زوجته، وتبع عيسى على دينه وسياحته)[٤].

ولكن لم يعد هذا الرأى مسلمًا به فى العصر الحديث، بعد إجراء التحقيقات والدراسات فى الكتب المقدسة، حيث صححت كثيرًا من المعلومات الخاطئة السابقة وبدأ البعض يسأل (من هو الكاتب؟ إنه سؤال موضوع جدال. إذ الآراء تختلف كثيرًا فى هذا الموضوع)[٥].

وتأتينا الإجابة على لسان الأستاذ موريس فوردن ناظر مدرسة العلوم العليا فى

---

(١) هل الكتاب المقدس كلام الله؟ ص٧٥.

(٢) المرجع نفسه ص٨٨ ويقول (وفى المقابلة بين السلوك العام لكل من إنجيل لوقا وإنجيل متى كان الدليل على ذلك).

(٣) محاضرات فى النصرانية ص٦٠.

(٤) تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب، عبد الله الترجمان ص٦٦.

(٥) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ص٩٠.

باريس والمدرس فى القسم الدينى بها، وقد صدق على شهادته خمسمائة عالم فى جمعية دار المعارف الكبرى بباريس.

قال الأستاذ موريس (وأما عن إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك أنه كتاب مزور أراد صاحبه أن يضاد الحواريين متى ويوحنا، وادعى أن هذا الكتاب المزور هو للحوارى يوحنا الصياد الذى يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى، ووضعت اسمه على الكتاب نصًا مع أن صاحبه غير يوحنا يقينًا، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه...)[١].

ويرى الأستاذ محمد تقى العثمانى بعد مراجعة مستفيضة لآراء العلماء ونتائج بحوثهم فى مضمون هذا الإنجيل والملابسات الدائرة حوله، يرى أن المحرر هو أحد تلاميذ بولس (وزاد إليها من جاء بعده جملاً وعبارات كشفت عن كون المؤلف شاهد عيان لسيدنا المسيح عليه السلام)[٢].

إنجيل برنابا (أحد الأناجيل غير المعترف بها):

قبل الحديث عن إنجيل (برنابا)، فإننا نحب توضيح موقفنا منه أولاً فلسنا حريصين على الاسترشاد به لإثبات نبوة نبينا محمد ﷺ، فلنا أدلتنا الكافية بذاتها - كذلك ندفع الزعم بأنه من تأليف المسلمين[٣]، لأنه ليس من عقائدنا ولا من

---

(١) محمد ﷺ نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن ص٧٢، المستشار محمد عزت الطهطاوى - مكتبة النور بمصر الجديدة ١٩٨٦م، كذلك أبدى شكه فى صحة نسبة الأناجيل الثلاثة الأولى حتى مرقص ولوقا إلى من نسبت إليهم من الحواريين لدرجة تعادل الرفض تمامًا.
وقد عرض رحمه الله الهندى لحجج المنكرين لتصنيف يوحنا لهذا الإنجيل، ومن أهمها أن أرينيوس - وهو تلميذ بوليكارب الذى هو تلميذ يوحنا الحوارى ما قال فى مقابلة المنكرين (إنى سمعت من بوليكارب أن هذا الإنجيل من تصنيف يوحنا الحوارى) - كتاب (إظهار الحق) جـ١ ص ١٥٤ / ١٥٥.

(٢) ما هى النصرانية ص١٥٣.

(٣) يقول الأستاذ محمد عبد الرحمن عوض (لو ألف هذا الكتاب شخص ما.. مسلم أو غير مسلم لنسخه أعداء المسيحية وروجوا له واستدلوا به - وهو ما لم يحدث بل ظل فى طى الكتمان حتى ظهر مترجمًا إلى الإيطالية ثم إلى الانجليزية والأسبانية وأخيرًا إلى العربية) ص٥٥ من كتابه: الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة. دار البشير بالقاهرة ١٩٨٦م، مع العلم بأن القرار بتحريم إنجيل برنابا صادر ٤٩٥م - أى قبل البعثة المحمدية ص٤٧.

مبادئنا اتباع طريقة (الغاية تبرر الوسيلة)، وإزاء ذلك فإن الإقرار بصحة هذا الإنجيل أو استبعاده لدينا سواء.

إن الحديث إذن عن إنجيل برنابا أدنى لقضية الخلاف العقائدى بينه وبين بولس، إذ يبدو من نصوصه أنه تحمّله كثيراً، ثم أعلن على الملأ أوجه الخلاف بعد أن طفح الكيل ولم يعد يحتمل الصبر عليه، وضمّن ذلك صدرَ إنجيله، فقال تحت عنوان (الإنجيل الصحيح ليسوع المسمى بالمسيح.. نبى جديد مرسل من الله إلى العالم بحسب رواية برنابا رسوله). ثم يصف نفسه بأنه رسول يسوع الناصرى المسمى المسيح... إلخ، فلماذا استبعد هذا الإنجيل ولم يُعترف به؟...

****

العوامل الحقيقية وراء استبعاد

إنجيل برنابا

لنعد مرة أخرى للإلمام بأجواء النزاعات التى ظهرت فيها الأناجيل، حيث ظهر الصراع بين طائفتى المسيحيين الأصليين أتباع المسيح عليه السلام والمسيحيين البولسيين أتباع بولس.

وفى ذلك الوقت كان (برنابا) من أوائل الذين عرفوا حقيقة (بولس) ففضح نواياه، وأذاع على الملأ خبايا عقيدته الباطلة التى دسها على المسيحيين دسًا.

ثم ظهرت كتابات برنابا لتكشف القناع عن المشادة التى حدثت بينهما فى قوله (أيها الأعزاء، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح، برحمته العظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذى أمر به الله دائمًا، مجوزين أكل لحم نجس الذى ضل فى عدادهم بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى)(١).

ويمضى فى حديثه محذرًا من اتباع بولس، ومؤكدًا مخالفته لتعاليم يسوع -عليه السلام- لأنه عاشره بنفسه وعرف تعاليمه فيقول: (وهو السبب الذى لأجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى يسوع، لكى تخلصوا، ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصًا أبديًا)(٢).

ويصبح استبعاد إنجيل برنابا مفهومًا فى ضوء انتصار المسيحية البولسية على المسيحية اليهودية، ولصيقًا ببحث مضامينه العقائدية المخالفة لعقائد النصارى الحالية، ولما كان من المستحيل التوفيق بين النقيضين، فما أسهل استبعاده.

---

(١) مقدمة إنجيل برنابا -نقلاً عن محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد ص٩٣.

(٢) إنجيل برنابا ١ :٢-٩ نقلاً عن: ما هى النصرانية؟ محمد تقى العثمانى ص٢٠٢.

أجل هذه هى القضية، وكان إنجيل برنابا (أكثر اتساقًا فى عرضه لحقيقة الألوهية مع شريعة موسى وما جاءت به التوراة، وكان برنابا شاهد صدق على أن . . عيسى ابن مريم جاء متممًا للناموس وليس ناقضًا له)[(١)].

ومهما يكن من أمر، فإننا كما قلنا من قبل لسنا فى حاجة - كمسلمين - إلى الاسترشاد بهذا الإنجيل، كل ما هنالك أننا نبغى إيضاح ما يستخلصه كل باحث بالمقارنة بينه وبين الأناجيل الأخرى، فإذا اتبع فى تقويم مضمونه موازين التوثيق للكتاب المقدس (فإن إنجيل برنابا فى ضوئها يأتى موثوقًا به)[(٢)].

ومن أجل معرفة الحق والدعوة إليه، نضم صوتنا إلى صوت الإمام محمد أبو زهرة، فإنه (من أجل خدمة تسدى إلى الأديان والإنسانية، أن تعنى الكنيسة بدراسته، ونقضه، وتأتى لنا بالبينات الدالة على هذا النقض، وتوازن بين ما جاء فى رسائل بولس ليعرف القارئ والباحث أيهما أهدى سبيلاً، وأقرب إلى الحق وأوثق به اتصالاً)[(٣)].

تعقيب :

وبعد هذا العرض الموجز للأناجيل، والإحاطة بملابسات تدوينها والتعريف بكتابها، أصبحنا أمام خطوة تالية يقتضيها منهج بحث علم الأديان المقارن، وذلك على ضوء الاتفاق على مبادئ أساسية تحدد الأركان اللازم توافرها فى أى كتاب سماوى، من حيث التثبت من مصدره، وتوافر ضمان النقل بسلاسل إسناد موثوق بها ومتصلة.

ولنتفق أولاً على الأركان اللازمة للإقرار بصحة هذا الكتاب، فإن (أى كتاب سماوى يستحق أن نخضع له والامتثال لأحكامه لا يكفى فى إسناده إلى شخص ذى إلهام مجرد الظن والوهم، بل أن يثبت ذلك الكتاب أنه من الله -عز وجل- أولاً، وأنه هو الذى أنزله على النبى الفلانى ثانيًا . وهذا الثبوت يكون بسند متصل

---

(١) الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة، محمد عبد الرحمن عوض ص١١٨ .

(٢) ما هى النصرانية؟ ص٢٥٨ .

(٣) محاضرات فى النصرانية ص٨١ .

وينظر أيضًا كتاب (ماهى النصرانية؟) لمؤلفه محمد تقى العثمانى الذى عدد فيه أمورًا أربعة تنفى كون إنجيل برنابا من تأليف رجل مسلم (ص٢٤٢-٢٤٦) .

فى جميع طبقاته متواتر فى عامة مراتبه، أى رواه أناس كثيرون يؤمن تواطؤهم على إفتراء الكذب، فلا يكون هناك تغيير أو تبديل أو زيادة أو نقصان)[١].

وعلى ضوء ذلك، نعفى أنفسنا من الخوض ثانية فى الحديث عن سلاسل الإسناد بعد ما عرضناه آنفًا، إذ لم يسلم إنجيل من الأناجيل الأربعة من أوجه الطعن والتشكيك والاتهام للكتّاب مما نقلناه عن علماء النصارى أنفسهم[٢]، غير أنه لا يصح الانتقال إلى نقد المضمون، إلا بعد إثبات تقريرين صريحين:

أولهما: إثبات التحريف نصًا على لسان بطرس فى رسالته الثانية حيث قال: (إن الرسائل كلها منها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقى الكتب أيضًا)[٣].

والثانى: مبررات التحريف نفسها، أى الجذور النفسية والأخلاقية لأعمال التحريف، إذ ربما هان الأمر لو كان استثناء، أما استناده إلى فلسفة ثابتة، فهذه هى الطامة الحق. يقول أحد المؤرخين (كان بين متبعى رأى أفلاطون وفيثاغورس مقولة مشهورة هى أن الكذب والخداع لأجل أن يزداد الصدق وعبادة الله ليسا بجائزين فقط، بل قابلان للتحسين، وتعلم هذا الكلام منهم يهود مصر قبل المسيح.. ويظهر ذلك جليا فى كثير من كتب اليهود القديمة، ثم أثّر وباء هذا الخطأ السىء فى المسيحين، كما يظهر هذا الأمر بجلاء من الكتب التى نسبت إلى الكبار كذبًا)[٤].

نقد المضمون:

إن المسلمين والنصارى متفقون، كما يذكر الأستاذ أحمد ديدات -على أن

---

(١) محمد ﷺ نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن المستشار محمد عزت الطهطاوى ص٦٤.

(٢) قال على بن ربّن الطبرى (وكان نصرانيا فأسلم): على أن من أدى تلك الأخبار إليكم لم يك فيهم أحداد عسى أنه أخذها من شاهد المسيح أو موسى عليهما السلام من آبائه وأجداده، كما تدعى العرب عن آبائها وأجدادها الذين شاهدوا النبى عليه السلام، فإن الرجل منهم يحدثه عن جده أو جد جده أو بعض بما رأى.

(٣) محمد ﷺ ص٦٦، (وأداه إلى أعقابه (الدين والدولة ص٢٠٤) ويستطرد قائلاً (فاما أخباركم فإنها اداها إليكم عراقى عن جزرى عن شامى وشاميهن عبرانى وفارسى عن رومى ومشرقى عن مغربى، باسباب مظلمة متفاوتة، تحقيق عادل نويهض -دار الآفاق الجديدة بيروت ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣م.

(٤) برشليم المؤرخ فى بيان علماء القرن الثانى ص٦٥ المجلد الأول من تاريخه المطبوع ١٨٣٢م نقلاً عن المصدر السابق ص٦٦.

وحى الله تعالى لابد أن يخدم واحداً من هذه الأغراض الأربعة :

١- إما أن يعلمنا المبادئ والعقائد .

٢- أو يلومنا على خطأ ارتكبناه .

٣- أو يقدم لنا الصواب .

٤- أو يهدينا إلى الصلاح[١] .

وقد أخذ الأستاذ ديدات يفحص الكتاب المقدس، وفق هذه الأغراض فأذهله العثور على نماذج تبعث على الخجل والاستياء مما تضمنته من رواية قصص عن زنا المحارم بل إن نبؤة (حزقيال) تتضمن تفاصيل جنسية تخجل منها الكتب الجنسية الممنوعة[٢] .

ومما يلاحظ فى سلوك الأطفال أن هذه القصص أثمرت تغييرات راسخة فى نفوسهم -بناء على التجارب التى أجراها الدكتور فيرنون جونز -عالم النفس الأمريكى المشهور، فلا بأس إذن من انتشار حوادث الاغتصاب وجرائم القتل وزنا المحارم التى تسجلها الجرائد اليومية، بل ليس (من العجيب إذن أن يقيم الرومان الكاثوليك والميثوديون (إحدى الطوائف النصرانية) أعراساً بين اللوطيين فى « بيوت ربهم »، حتى قام ثمانية آلاف لوطى بمسيرة استعراضية فى حديقة هايد بارك بلندن فى يوليو ١٩٧٩م مصاحباً بتشجيع وهتافات وسائل الإعلام)[٣] .

---

(١) هل الكتاب المقدس كلام الله؟ أحمد ديدات ص٦٧ .

(٢) المرجع نفسه ص٧١ . « وقد ذكر الأستاذ ديدات أثناء مناظرته للقس سوجارت أن هيئة الرقابة بحكومة جنوب أفريقيا قد أصدرت أمراً بحظر تداول بضعة صفحات من الكتاب المقدس، دون أن تدرى أنه جزء من سفر حزقيال من الإصحاح الثالث والعشرين. (من كتاب المناظرة الحديثة ص١٥٠) .

ويحكى العقاد عن إحدى القصص الجنسية الفاضحة التى رفضت الرقابة الأمريكية نشرها بحجة إفساد الأخلاقيات العامة، فاحتكم المحامى إلى الكتاب المقدس الذى يحتوى على (قصص فاضحة ومخجلة ومهينة للإنسان، فكيف تضعون مثل هذا الكتاب فى أيدى الأطفال والفتيان، بينما هذه رواية وليست كتاباً مقدساً، ولا يمكن أن تكون منتشرة مثل الكتاب المقدس، فإما أن تفرجوا عن هذه الرواية وإما أن تصادروا الكتاب المقدس) . وأفرجت المحكمة عن الرواية .

ص١١١-١١٢ من كتاب (فى صالون العقاد كانت لنا أيام) أنيس منصور -ط دار الشروق ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣م.

(٣) المرجع نفسه ص٦٨ واستشهد بقول برناردشو ص٧٠ (الكتاب المقدس من أخطر الكتب الموجودة على وجه الأرض، احفظوه فى خزانة مغلقة بالمفتاح) .

هذه هى ثمرة بعض نصوص الكتاب المقدس، ثم لنعقد مقارنة جزئيه بثمرة تعاليم القرآن، الذى جاء مؤيداً للحق بالكتب السابقة ومهيمنا عليها. فمن أقوال عيسى عليه السلام (كل شجرة طيبة تطرح ثمرة طيبة، وكل شجرة خبيثة تطرح ثمرة خبيثة). أجل (هذا هو المحك، المحك الثمرة. لقد أوجد الإسلام أكبر مجتمع فى العالم لا يتعاطى المسكرات. يوجد حوالى ألف مليون مسلم فى العالم وهم فى عمومهم لا يعاقرون المسكرات، ولا يشربون الخمر، هذه هى الثمرة)[1].

ويرجع ذلك إلى تحريم القرآن الكريم للخمر ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

ولنقارن ذلك بما يحدث بالأمة الأمريكية، حيث يوجد -حسب قول سوجارت- أحد عشر مليون سكير، وأربعة وأربعون مليونًا من مدمنى الخمر (هذه هى أمتكم والأخ سوجارت لا يجد اختلافًا بين الخمسة والخمسين مليونًا؟ هو يعتبرهم مدمنى خمور، أما فى الإسلام فلا شرب خمر، حتى على سبيل المجاملات الاجتماعية[2].

ومن إجابات الدكتور محمد على البار عن أسئلة حول أسباب انتشار مرض الإيدز، علله بانتشار الشذوذ الجنسى فى الولايات المتحدة، إذ يوجد أكثر من عشرين مليون شخص، ولهم جمعيات خاصة وكنائس خاصة تزوج الرجال بالرجال!!

كذلك لابد من ملاحظة انتشار الفاحشة هناك بدرجة مذهلة مستنداً إلى مثال من صحيفة (هيرالد تريبيون) التى ذكرت فى عددها بتاريخ ١٩٧٩/٦/٢٩ أن عشرة بالمئة من العائلات الأمريكية تمارس ما يسمى بنكاح المحرمات، ويقدر عدد الفتيات الأمريكيات اللواتى نشأت علاقة جنسية بينهن وبين آبائهن بحوالى ١٥ مليون فتاة. [الشرق الأوسط فى ١٩٩٠/٣/١٨ ص٩].

---

(١) المناظرة الحديثة ص١٧٥. كذلك أثبت نصاً من مجلة الحقيقة المجردة، أكتوبر ١٩٧٧: (إن قراءة قصص الكتاب المقدس للأطفال يفتح الباب لغرض مناقشة العبرة وراء الجنس. وإن الكتاب المقدس إذا لم يهذب وينقح قد تعتبره مجالس الرقابة صالحًا للكبار فقط لمن جاوزوا الثامنة عشرة من العمر) ص٧٠ هل الكتاب المقدس كلام الله؟

(٢) المرجع نفسه ص١٧٦.

ويضيف الأستاذ ديدات بيان أثر الكتاب المقدس على السلوك الشائن ممثلاً فى زنا المحارم، حيث ينتشر بمعدلات وبائية بين البيض فى جنوب أفريقيا، يصل إلى ثمانية فى المائة، كذلك بلغت النسبة معدلات وبائية فى أمريكا، كما بين سوجارت (ويضرب مثلاً من الكتاب المقدس، فيذكر أن الإنجيل يحتوى على عشر حالات من زنا المحارم)(١).

وإزاء ذلك فإنه لا يعقل أن يكون هذا الكتاب من عند الله(٢).

هذا، فضلاً عن العقائد التى تخالف الأدلة العقلية، فباعتراف أحد علماء المسيحية وهو «سيل» وكان قد أحاط ببعض العلوم الإسلامية وترجمة القران المجيد، فقد وصىّ قومه بقوله (الأول: لا يقع الجبر منكم على المسلمين والثانى: لا تعلّموهم المسائل التى هى مخالفة للعقل، لأنهم ليسوا حمقى نغلب عليهم فى هذه المسائل، كعبادة الصنم - أى السجود للأيقونات داخل الكنائس وهى صور القديسين - والعشاء الربانى، لأنهم يعثرون كثيراً من هذه المسائل، وكل كنيسة فيها هذه المسائل لا تقدر أن تجذبهم إلى نفسها)(٣).

والآن تأتى المناسبة للحديث بإيجاز عن الكتاب المنزل من عند الله تعالى حقًا، المحاط من كل جانب بما يبرهن على أنه كتاب الله عز وجل وحده، والذى سلم من التبديل والتحريف.

****

---

(١) المناظرة الحديثة ص١٤٢.

(٢) المرجع نفسه ص١٤٣.

(٣) من كتاب (إظهار الحق..) رحمة الله الهندى جـ٣ ص ٧٣٤ / ٧٣٥ تحقيق د/ محمد أحمد ملكاوى. ط الرئاسة العامة للإدارات والبحوث العلمية بالرياض ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

القرآن الكريم كلام الله تعالى

وتسنح الفرصة الآن لنعطر حديثنا عن القرآن الكريم، إذ سيبقى بحثنا ناقصًا لو لم نعرج على الحديث عنه لأنه كلام الله تعالى، لأنه إذا تبين بعد التمحيص والمناقشة والاستدلالات المتنوعة استبعاد أن يتضمن الكتاب المقدس الوحى الكامل الصحيح من الله تعالى، ففى الطرف المقابل تتجلى وتشع حقيقة القرآن الكريم -كلام الله تعالى- وتصبح أضوأ بهاءً وأشد لمعانًا، لأنه الكلام الذى ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت : ٤٢]

وتكفينا الإشارة فى هذه العجالة إلى حقيقتين بارزتين:

أولاهما: كيفية تلقيه وحفظه، ونستند فى ذلك إلى أقوال الأستاذ سفساف الأرثوذكسى عضو الجمعية العلمية بأوروبا فى كتابه المسمى (أصول الفقه الإسلامى)، فإنه سجل الأحداث التاريخية بحذافيرها، شأن كل باحث أمين مدقق، بموضوعية كاملة، فأثبت حقيقة الوحى وكيفية نزوله على رسول الله ﷺ، وهى الحالة التى شاركه فيها الأنبياء والرسل قبله كدانيال وموسى وغيرهما (وتستمر هذه الحالة ما دام الوحى حتى إذا تم أخبر الرسول ﷺ أصحابه بنفس ألفاظ الملك فيحفظونها على الفور عن ظهر قلب حرفيًا، وكانوا يعتنون بذلك الاعتناء الذى لا مزيد عليه لأن الحفظ الحرفى لسور وآى القرآن كان عندهم من أعظم العبادات وأقرب القرب . . . فكان أصحاب الرسول ﷺ تفرغ وسعها وتبذل جهدها المستطاع لتنقش فى حافظتها ألفاظ الوحى مضبوطة محكمة بمجرد نزوله، حتى كانوا من مزيد عنايتهم به بعد حفظ الآية من الرسول ﷺ يترددون عليه غير مرة ويتلونها أمامه حتى يزداد تثبتهم فى حفظها وأدائها كما هى) .

ويمضى بعد ذلك فيسجل مراحل كتابته وجمعه بواسطة أكابر الحفاظ حسب رواية البخارى، حتى لم يبق مجال لأدنى شك فى نهاية الضبط التام الكريم، إلى أن دعا الحال زمان عثمان بن عفان رضى الله عنه لنشر الكتاب فى الجهات فصدّر ثلاثة

مصاحف إلى الأمصار، وقد رأى أستاذه بعينى رأسه مصحفًا منها بدار الإفتاء الحنفى بدمشق(١).

وشهد بنفس هذه الشهادة أهم مجادلى البروتستانت وهو المستر سنوبارت فى لكهنؤ ببلاد الهند. ويقول أيضًا الأستاذ موبر وهو من أمهر وأحذق خصماء المسلمين إن جميع ما فى المصحف هو نص ما صدر من بين شفتى النبى محمد ﷺ. وكذلك يقر الدكتور فل الكاثوليكى بألمانيا (لا نسبة بين القرآن وبين الكتب النصرانية من حيث الضبط والدقة)(٢).

الثانية: نفس القرآن الحكيم وآياته وأحكامه وتشريعاته وأخلاقياته، وما احتوى عليه من قضايا التوحيد وصفات الألوهية والنبوات والقدر والدار الآخرة وخلق الإنسان وأطواره ومصيره وقصص الأمم والأنبياء والرسل، وغير ذلك مما لا نحيط به حصرًا فى هذه الصفحات.

وبعبارة أخرى فإن جميع آياته الباهرة تأخذ بمجامع القلوب وترشد العقول الباحثة عن الحق إلى بر الأمن والإيمان الذى لا يعتريه شك.

تجربة على بن ربن الطبرى:

يروى لنا على بن ربن الطبرى هذه التجربة الذهنية (وذلك أنى لم أجد لأحد عربى أو عجمى هندى ولا رومى كتابًا جمع من التوحيد والتهليل والثناء على الله عز وجل، والتصديق بالرسل والأنبياء، والحث على الصالحات الباقيات والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والترغيب فى الجنة، وأيضًا التزهيد فى النار، مثل هذا القرآن منذ كانت الدنيا، فمن جاءنا بكتاب هذه نسبته ونعته، وله من القلوب هذا المحلا والجلالة والحلاوة، ومعه هذا النصر واليمن والغلبة، وكان صاحبه ﷺ الذى نزل عليه أميًا لم يعرف كتابة ولا بلاغة قط، فهو من آيات النبوة لا شك فيه ولا مرية)(٣).

---

(١) محمد ﷺ نبى الإسلام ص٨٠ المستشار محمد عزت الطهطاوى.

(٢) المرجع نفسه ص٨١.

(٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج١ ص١٦-١٩ باختصار -تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر ١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠م.

أما علوم القرآن فقد اجتهد علماؤنا من أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين فى محاولة عدها وإحصائها:

فمن قائل إنها ثلاثة أقسام -كالطبرى (٣١٠ هـ) وهى: التوحيد والأخبار والديانات، ولهذا قال ﷺ: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن».

ثم توسع القاضى أبو بكر بن العربى (٥٤٤ هـ) فى بيان مضمون هذه الأقسام: فالتوحيد تدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله. والتذكير ومنه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن. والأحكام ومنها التكاليف كلها، وتبين المنافع والمضار والأمر والنهى والندب.

* ومن قائل إن القرآن يشتمل على ثلاثين شيئًا: الإعلام، والتنبيه والأمر والنهى والوعد والوعيد ووصف الجنة والنار، وتعليم الإقرار باسم الله، وصفاته وأفعاله، وتعليم الاعتراف بإنعامه والاحتجاج على المخالفين والرد على الملحدين، والبيان عن الرغبة والرهبة، والخير والشر والحسن والقبيح، ونعت الحكمة وفضل المعرفة، ومدح الأبرار، وذم الفجار، والتسليم والتحسين والتوكيد والتفريع والبيان عن ذم الإخلاف، وشرف الأداء. وقائله على بن عيسى الرمانى (٣١٠ هـ).

* ومن قائل إن القرآن لا يستدرك ولا تحصى غرائبه وعجائبه، (وهو القاضى أبو المعالى عزيزى (٤٩٤ هـ) لقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩][١].

وبعد هذه الإلمامة الخاطفة حول كتاب الله عز وجل التى اقتضاها المقام بسبب تداعى المعانى وتوارد الخاطر (ليظهره على الدين كله) نستأنف الحديث عن أبرز عقائد النصارى، وهى عقيدة التثليث، التى جاء القرآن بإبطالها والرد عليها.

حول عقيدة التثليث:

يكتنف هذه العقيدة كثير من الغموض الذى يصعب إزالته حتى باستخدام الأحكام العقلية المجردة (ويقولون إن الله واحد فى ثلاثة أقانيم هم الآب (الله) والابن (الله) والروح القدس (الله) وهؤلاء الثلاثة هم الله. كيف؟ هذا هو سر الثالوث الأقدس الذى لا يستوعبه عقل بشرى لأنه فوق مستوى إدراكه)[٢].

---

(١) الدين والدولة ص٩٨/ ٩٩.

(٢) كنت نصرانيًا، واصف الراعى ص١١٠ مطابع الفرزدق بالرياض ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

ومع هذا فإننا سنعرض لبعض الشروح التى دارت حولها بحيدة تامة، محاولين تقريب العقيدة إلى الأفهام ما أمكن:

١- يستمد هذا الشرح من التأمل فى التركيب الجسمانى للإنسان إذ إن كيانه (يتألف من الأجزاء المادية المتجانسة، التى تستطيع الأنظار المادية أن ترى هيئتها الاتحادية، فمثلاً العظم واللحم والدم، من اتحاد هذه الأشياء الثلاثة يقوم الجسم الإنسانى فى الوجود، ولو فقد واحد منها لما تم وجود الجسم الإنسانى)[١].

ولكن إذا تأملنا هذا المثال نجده لا يتفق مع العقيدة المسيحية فى التثليث. ويقول محمد تقى العثمانى على حين أن المسيحية لا تؤمن بثلاثة أقانيم كثلاثة أجزاء، وإنما تؤمن بها كثلاثة أشخاص مستقلين، ومن هنا فإنها لم تستخدم للأب والابن وروح القدس كلمة (الأجزاء) وإنما استعملت كلمة (الأقانيم) Persons أو (الأشخاص)، ولا شك أن أحداً لا يقول بأن اللحم وحده، أو العظم وحده، أو الدم وحده (إنسان)، وإنما يقول إنه جزء من الإنسان، وعلى العكس من ذلك فإن المسيحية تعد من الأب والابن وروح القدس إلها. ولا يعده جزءاً من الله)[٢].

(٢) التجلى أو الحلول:

عبر الأب سوجارت على ذلك بقوله إن الرب يعلمنا بوجود إله واحد وليس إثنين أو خمسة... (وإنه تجلى فى ثلاثة أشخاص، ثلاث شخصيات مختلفة. نحن نؤمن بوجود الأب السماوى، والإله الابن، ونؤمن بالروح القدس الذى غشى مريم.. إنه أيضاً، وهم كل لا يتجزأ بمعنى أنهم متفقون تماماً، وفى توحد وانسجام لا يختلفون أبداً ولن يختلفوا أبداً)[٣].

وعندما أعطيت الكلمة للأستاذ ديدات، قام فأفصح عن تعجبه الشديد من قيام الأب سوجارت بتغيير الكلمة المعبرة عن الرب، حيث كان فى صباح يوم المناظرة نفسه يستخدم فى خطابه لمجموعة من كنيسته كلمة (المولود لله)، وهى مستخدمة أيضاً فى إنجيل الملك جيمس المعتمدة بالنص (لأنه هكذا أحب الله العالم.. حتى

---

(١) ما هى النصرانية؟ محمد تقى العثمانى ص٤٧ / ٤٨.

(٢) المرجع نفسه ص٤٩.

(٣) المناظرة الحديثة ص١٩٩.

أنه أعطى ابنه الوحيد)، والتعبير الإنجليزى الوارد بالنص يستخدم كلمة (بجتن) أى المولود لله .

ولكن بعد ثمانى ساعات فقط، وأثناء المناظرة غير الأب سوجارت كلمة (بجتن) إلى كلمة (المتفرد)[١] .

وعندما سئل الأب سوجارت عما يعينه بكلمة (متفرد) أجاب بأنها فى الأصل اليونانى تعنى ببساطة : (لم يكن مثله أحد من قبل، وما كان أحد أبداً مثل ابن الله . فهو متفرد، ولم يكن أحد من قبل مثل مريم التى أنجبت ابن الله . . . إنها تعنى ببساطة أن أحداً لم يكن أبداً مثله من قبل، ولن يكون أحد مثله من بعد . يكون متفرداً، كابن الله، متجسداً فى هيئة بشرية)[٢] .

ثم أوضح أن المسيحيين لا يعتقدون بوجود ثلاثة آلهة، وسخر من الذين يظنون أنهم يعتقدون أن الله متزوج ويسكن فى شقة فى السموات، وأنه أنجب أطفالاً، ووصف ذلك بأنه سخافات . ثم عبر عن الإيمان الصحيح عندهم حيث يؤمنون بأن الله بسبب حبه للناس تعطف ونزل على هذا الكوكب، وعاش بين الناس ومشى بينهم، وتحدث إليهم، وفى هيئة بشر تجسد ليموت على الصليب، كالفادى تكفيراً عن خطايا البشرية . فالإنسان عاجز عن إنقاذ نفسه، ولقد فعل ذلك وقال للناس : إنكم ستقتلون هذا الجسد، وفى خلال أيام ثلاثة سأرفعه إلىّ مرة أخرى (وهكذا فهو متفرد فى ذلك . كذلك كان متفرداً فى معجزاته، متفرداً فى نبؤته، ومتفرداً فى ميلاده، متفرداً فى حياته، متفرداً فى رسالته، متفرداً فى موته، متفرداً فى قيامته، متفرداً فى صعوده . وعندما يعود فسوف يكون متفرداً فى عودته[٣] .

ولكن هذا الأسلوب الإنشائى الخطابى لا يحل مشكلة الغموض، وربما كان فراراً من المواجهة التى لابد منها . (إنه يقول –أثناء حديثه أيضاً– شخص وشخص وشخص، إلا إنهم ليسوا ثلاثة أشخاص بل شخص واحد) .

وعندئذ وجه الأستاذ ديدات الخطاب إلى الأب سوجارت وضرب له المثل الآتى :

---

(١) المرجع نفسه ص١٣٥ ويقول الأستاذ ديدات (وبالمناسبة فإن كلمة (بجتن) تعنى أيضاً : الإنتاج يا سيدى . فالله أنتج ولده . (نفسه ص١٨٠) .

(٢) ص١٩٥ من كتاب المناظرة الحديثة .

(٣) المرجع نفسه ص١٩٦ .

(أنت وأخواك لنفترض أنكم ثلاثة توائم متشابهة، وأننا لا نستطيع التمييز بينكم أنتم الثلاثة لأنكم متطابقون تمامًا. فإذا اقترف أحدكم جريمة قتل، هل يمكن أن نشنق الآخر؟ جوابك: كلا. وأسألك: ولماذا لا يشنق؟ فتقول لى: إنه شخص آخر، وأوافقك على هذا)[1].

ثم أوضح أن استخدام الكلمات يستدعى صوراً ذهنية حول (الأب السماوى المحب) (والإله الابن) و(الروح القدس).

إذن هناك ثلاث صور ذهنية مختلفة، (ومهما حاولتم فلن تتطابق هذه الصور الثلاثة فى صورة واحدة. سيكون فى ذهنكم دائمًا ثلاث صور، ولكن حين أسألكم: كم صورة ترون؟ تقولون: واحد)[2].

... وهذا لا يطابق الواقع...

(٣) مثال الشمعة:

وهذا المثال مشهور متداول، فالله عندهم -تعالى علوا كبيراً- كالشمعة (فالشمعة واحدة ولكنها مادة ونور وحرارة، فهى ثلاثة فى واحد)[3].

وهذا المثال متهافت أيضًا لا يعبر عن العقيدة النصرانية، لأن الأقانيم عندهم ثلاثة أصول. والشمعة أصل واحد (أما الضوء والحرارة فمظهران حادثان طرآ على الشمعة بعد إضاءتها، فإذا انطفأت عادت إلى أصلها الواحد، وفاتهم أن هناك مصدراً ما أشعل الشمعة فما دوره فى الأقانيم الثلاثة وأين مكانه من هذا التشبيه؟)[4].

إن هذا المثال إذن، مخالف للثالوث النصرانى الذى -بحكم صياغته- يقرر تعدد الشخصيات فى الإله، وينسب -كما يرى البروفيسور عبد الأحد داود- خصائص شخصية منفصلة لكل شخص.

---

(١) المرجع نفسه ص٢٠٤.
(٢) المرجع نفسه ص٢٠٥.
(٣) كنت نصرانيا ص٢٥.
(٤) المرجع نفسه ص٢٥.

وقد ناقش البروفسور هذه العقيدة من الوجهة الرياضية البحتة، ليبين عدم تطابقها مع البديهيات العقلية، والعلم الرياضى هو أدق العلوم كما هو معروف. قال: (والرياضيات كعلم إيجابى تعلمنا أن الوحدة ليست أكثر من واحد ولا أقل. وأن واحداً لا يمكن أن يساوى واحداً + واحداً + واحداً، وبعبارة أخرى فإنه لا يمكن أن يكون الواحد مساوياً لثلاثة، لأن الواحد هو ثلث الثلاثة.

وقياساً على ذلك فإن الواحد لا يساوى الثلث. وبالعكس فإن الثلاثة لا تساوى واحداً، كما أنه لا يمكن للثلث أن يساوى الوحدة..

والذين يقولون بوحدانية الله فى ثالوث من الأشخاص إنما يقولون لنا إن كل شخص هو (إله قدير، موجود؛ دائم، أزلى، وكامل، ولكنه لا توجد ثلاثة آلهة قادرين، وموجودين، ودائمين، وأزليين، وكاملين، ولكنه إله واحد قدير.

وإذا لم تكن هناك سفسطة فى المنطق المذكور أعلاه، فإننا سنطرح هذا (اللغز) الذى تقدمه الكنائس، ويكون طرحنا له بالمعادلة التالية:

إله واحد = إله واحد + إله واحد + إله واحد

كذلك فإن إلهاً واحداً = ثلاثة آلهة

أولاً: لا يمكن لإله واحد أن يساوى ثلاثة آلهة، بل يساوى واحداً منها فقط.

ثانياً: بما أنك تسلم بأن كل شخص إله كامل مثل قرينه، فإن استنتاجك بأن ١+١+١=١ ليس استنتاجاً رياضياً)[١].

ثم ينتقل البروفيسور بعد ذلك إلى مناقشة التثليث من الناحيتين المنطقية والعقائدية، بناءً على تصور أن لكل شخص فى الثالوث صفات لا تنطبق على الإثنين الآخرين (وتدل هذه الصفات طبقاً للمنطق الإنسانى واللغة الإنسانية، على وجود «قبلية وبعدية» فيما بينهما. فالأب دائماً يحظى بالرتبة الأولى، ويتقدم على الأبن. أما الروح القدس فهو ليس متأخراً فحسب لكونه الثالث فى الترتيب العددى، بل إنه أقل من أولئك الذين انبثق منهم).

---

(١) محمد ﷺ فى الكتاب المقدس، عبد الواحد داود ص٥٤ ترجمة فهمى شما -مراجعة وتعليق أحمد محمد الصديق، من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية بقطر ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م.

ويلقى بعدئذ التساؤل الذى لا مفر منه للتمييز بين الإقرار بهذه العقيدة أو الزندقة (ألا يعتبر نوعًا من الإلحاد إذا ما أعيد ذكر هذا الثالوث بترتيب معكوس؟.. ألا يعتبر إنشاء الصليب عند مشاهدة القربان المقدس أو تجاوز مبادئه، نوعًا من الزندقة عند الكنائس إذا عكست العبارة وصارت على النحو التالى: باسم الروح القدس، والابن، والآب؟

لأنها إذا كانت متساوية ومتعاصرة فإنه لا داعى لمراعاة ترتيب الأسبقية بدقة؟)(١).

عقيدة التثليث فوق طور العقل:

أما دفاع النصارى عن عقيدة التثليث بدعوى أنها حقائق هى وراء طور العقل والقياس، فلا مناص من تصديقها من غير محاولة الاعتماد على العقل فيها(٢) هذا الدفاع لم يقبله ابن تيمية فى مجال مناقشة عقائدهم، فهو يرى ضرورة التمييز بين نوعين من الحقائق: **أحدهما** ما هو باطل ومستحيل عقليًا، **والثانى** ما يتقاصر عنه العقل، وجاءت الأنبياء لتوضحه، ولكن النصارى (لا يميزون بين ما يحيله العقل ويبطله، ويعلم أنه ممتنع، وبين ما يعجز عنه العقل فلا يعرفه ولا يعلم فيه، بنفى ولا إثبات وأن الرسل أخبرت بالنوع الثانى، ولا يجوز أن تخبر بالنوع الأول، فلم يفرقوا بين محالات العقول ومحارات العقول، وقد ضاهوا فى ذلك من قبلهم من المشركين الذين جعلوا لله ولدًا وشريكًا)(٣).

وزعم الولد أو الابن لله تعالى دال على استخدام ألفاظ الأنبياء -لو صحت- فى غير مواضعها، فإن الموقف المنهجى الصحيح المفسر لكلام الأنبياء يقتضى الاستمساك بظاهر كلامهم، فإن الابن ظاهره لا يراد به شىء من صفات الله، بل يراد به وليه وحبيبه، وروح القدس لا يراد به صفته، بل يراد به وحيه وملكه، ولكن النصارى عدلوا عن ظاهر اللفظ إلى معنى لا يدل عليه ألبته(٤).

---

(١) المرجع نفسه ص٤٦.

(٢) الحافظ أحمد بن تيمية، الإمام أبو الحسن الندوى ص٢٠٤، ط دار القلم الكويت - تعريب سعيد الأعظمى الندوى ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ص٨٩، ج٢ نقلاً عن المصدر السابق.

(٤) المرجع نفسه ص٢٠٢.

قال ابن تيمية (فإذا وجد فى كلام المسيح عليه السلام أنه قال : عمدوا الناس باسم الآب والابن وروح القدس، ثم فسروا الابن بصفة الله القديمة الأزلية كان هذا كذبًا على المسيح حيث لم يكن فى لغته أن لفظ الابن يراد به صفة الله القديمة الأزلية، كذلك إذا لم يكن فى كلام الأنبياء أن حياة الله تسمى روح القدس وإنما يريدون بروح القدس ما ينزله الله تبارك وتعالى على الأنبياء والصالحين ويؤيدهم)[١].

الصليب والتكفير عن خطيئة البشر:

يعد الصليب أحد الشعائر البارزة فى العقيدة النصرانية، إن لم يكن أبرزها، فإن الصلب رمز عقيدة النصارى الذى يعبر عن الإيمان بالتكفير عن خطيئة البشر، وأصبح لزامًا عليهم رسم علامته فى كل مناسبة. يقول العالم المسيحى الشهير « ترتو ليانوس »: (بمناسبة كل حال وترحال، وذهاب ومجىء وخلع نعال، واغتسال، وأكل وإيقاد شمع ونوم وجلوس، وبالجملة بمناسبة كل حركة وسكون نصنع فوق حواجبنا علامة الصليب[٢].

أما عن تعليل صلب المسيح -عليه السلام- فى زعمهم فيستندون فيها إلى ما جاء فى الكتب المقدسة عندهم أن (الله محبة)، وظهرت هذه المحبة فى تدبيره الخلاص للعالم، لأن العالم من عهد سقوط آدم فى الخطيئة، وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا، مبتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة، ولكن الله من فرط محبته وفيض نعمه رأى أن يقرب إليه بعد هذا الابتعاد، فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد إلى العالم، ليخلص العالم)[٣].

ولئن كانت رواية الصلب واردة بالأناجيل، إلا أن الدارس الفاحص عندما يقارن الحادثة بالأناجيل بعضها ببعض، يستخلص منها -على خلاف المعتقد- نفى صلب المسيح عليه السلام. وإليك البيان : وردت قصة المحاكمة فى إنجيل لوقا بالنص الآتى :

---

(١) الجواب الصحيح ج٣ ص١٨١، نقلاً عن المصدر السابق.

(٢) ما هى النصرانية؟ ص٧٥.

(٣) محاضرات فى النصرانية ص١٢٩ ويقول عبد الله الترجمان (وهم يزعمون أن لاهوته فارقه عند الصلب والقتل، وهبط إلى جهنم فأخرج منها الأنبياء وكان ناسوته فى القبر مدفونا حتى رجع إليه لاهوته، فأخرجه من القبر ورجع إليه، ثم صعد به إلى السماء) تحفة الأريب ص٨١.

(وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون وتبعه تلاميذه أيضًا. ولما صار إلى المكان قال لهم: صلوا لكيلا تدخلوا فى تجربة، وانفصل عنهم نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه وصلى قائلاً: يا أبتاه إن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس، ولكن لتكن، لا إرادتى، بل إرادتك. وظهر له ملاك من السماء يقويه. وإذا كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة، وصار عرقه كقطرات الدم نازلة على الأرض، ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه، فوجدهم نياما من الحزن فقال لهم: لماذا أنتم نيام؟ قوموا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة)[1].

كذلك صرح إنجيل متى بأن (أظلمت الأرض ظلمة شديدة).

من هذا النص وغيره -كما سيأتى- يتضح عند تنقيح الأخبار والبحث فى الملابسات المحيطة بالواقعة تأكيد نفى حادث الصلب عن المسيح عليه السلام، حيث يستخلص الأستاذ إبراهيم خليل من القصة الآنفة كينونة المسيح كإنسان بشر (يصلى فى جهاد، فينزل ملاك من السماء ليقويه ويشد أزره، ثم يعود إلى تلاميذه، فيجدهم ساعة هذه التجربة العظمى نيامًا، ومن هنا حدث لبس فى شخصية المصلوب)[2]، فضلاً عن أن الوقت كان ليلا لأن الرواية تضمنت أن الجمع جاءوا بمشاعل ومصابيح.

وهنا يقول الإمام نجم الدين الطوفى (٧١٦ هـ) (ففى تلك الظلمة أطلقت الملائكة المسيح وربطت الذى ألقى عليه شبهه مكانه)[3]، ثم يمضى فيحلل الأسباب النفسية لعقيدة الصلب عند كل من النصارى واليهود، (فاعتقدتم أنتم:

---

(١) متى ١٧ :٩ نقلاً عن كتاب محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد ص١٦٣ وقد قابل الحادثة بما وردت بأناجيل متى ومرقص ولوقا.

(٢) محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن ص١٦٤.

(٣) كتاب (الانتصارات الإسلامية) فى علم مقارنة الأديان تاليف نجم الدين البغدادى الطوفى ص١٠٣ دراسة وتحقيق د. أحمد حجازى السقا مطبعة دار البيان بمصر ١٩٨٣م.

وينظر أيضًا نفسير الطبرى ج٩ ص٣٦٩ قال: فلما أصبح أتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال: ما تجعلون لى إن دللتكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهمًا، فأخذهم ودلهم عليه، وكان شبه عليهم قبل ذلك -أى كانوا لا يعرفونه- فأخذوه فاستوثقوا منه، وربطوه بالحبل، فجعلوا يقودونه ويقولون له: أنت كنت تحى الموتى، وتنتهر الشيطان، وتبرئ المجنون، أفلا تنجى نفسك من هذا الحبل؟ ويبصقون عليه، ويلقون إليه الشوك، حتى أتوا به الخشبة التى أرادوا أن يصلبوه عليها، فرفعه الله إليه، وصلبوا ما شبه لهم، فمكث سبعًا والرواية بسندها عن وهب بن منبه.

أن المسيح صُلب، وقوى ذلك الاعتقاد فى نفوسكم: حنقكم على اليهود، وحب تقرير العلم للعدوان عليهم، واعتقدت ذلك اليهود كما اعتقدتموه، وحملهم على ذلك الاعتقاد: حب الغلبة والظفر بمن اعتقدوه عدواً لهم)[١].

تحقيق الحادثة:

وقد أجاد علماؤنا أثناء مناقشتهم للنصارى فى هذه الواقعة المهمة وقدموا البراهين التى تدحض حادث صلب المسيح -عليه السلام- من واقع الأناجيل نفسها، مستخدمين مناهج مختلفة، منها منهج تحليل الأخبار، حيث يتضح كذب الرواة أو شكهم فيما يروونه، ومنها موازنة بعض نصوص الأناجيل بموازين العقل والمنطق على ضوء عقائدهم الدينية.

ورغبة فى الإيجاز وتحقيق غايتنا من أقرب الطرق سنختار من بين علمائنا الإمام القرافى صاحب الصولات والجولات فى الجدل مع النصارى:

الأولى: ففيما يتعلق برواة الخبر عن الصلب فهم قليلون، لأن الحواريين فروا عن المسيح -عليه السلام- لأنه لو وجد أحد منهم لقتله اليهود، فحينئذ عدد التواتر متعذر من جهة شيعة النصارى، ومن جهة اليهود فلأن المباشر منهم للصلب إنما هم أعوان الولاة (وذلك فى مجرى العادة يكون نفراً قليلاً كالثلاثة ونحوها يجوز عليهم الكذب، ولا يفيد خبرهم العلم)[٢].

أما نصوص الإنجيل والكتب النصرانية فإنها دالة على عدم صلب عيسى عليه السلام بذاته،و يقيم الإمام القرافى الأدلة على ذلك من واقع تحليله للنصوص وعرض مضمونها على قوانين العقل والمنطق.

فمنها أن لوقا فى إنجيله روى كيف صعد يسوع إلى جبل الجليل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا، فبينما هو يصلى إذ تغير منظر وجهه، ولمعت ثيابه كالبرق وإذا موسى بن عمران وإيلياء قد ظهرا له وجاءت سحابة فاظلتهم فوقع النوم على الذين معه.

---

(١) ط دار المعارف - تحقيق محمود شاكر، ومراجعة وتخريج أحاديث أحمد شاكر.

(٢) الأجوبة الفاخرة ص٥٣.

ويستدل إذن من هذه الآيات أن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء ولم يصلب وإلا فلا معنى لظهورها.

والثانية: أن الأناجيل ذكرت أن المصلوب استسقى اليهود فأعطوه خلا مذاقًا بمر فذاقه ولم يسغه، فنادى (إلهي إلهي لم خذلتني؟)، وهذه الواقعة لا تتطابق مع ما صرحت به الأناجيل بأنه عليه السلام كان يطوى أربعين يومًا وأربعين ليلة صابرًا على العطش والجوع، فكيف به لم يمكث على الخشبة أكثر من يوم وليلة ولم يصبر على العطش؟... فيتضح إذن أن المدعى للعطش غيره[1]...

والثالثة: قوله: (إلهي إلهي لم خذلتني فتركتني) وهو كلام مناف للتسليم بأمر الله تعالى، وعيسى عليه السلام منزه عن ذلك، فيكون المصلوب -إذن- غيره.

كذلك فبالمقارنة بغيره من الأنبياء والرسل -كإبراهيم واسحاق ويعقوب وموسى وهارون عليهم السلام- فإنهم يجعلونه في مرتبة أقل منهم، إذ روت التوراة أنهم تقبلوا الموت مستبشرين بلقاء ربهم، ولم يجزعوا (مع أنهم عبيده، والمسيح بزعمهم ولد ورب، فكان ينبغي أن يكون أثبت منهم، ولما لم يكن كذلك، دل على أن... المصلوب غيره)[2].

ويستند الأستاذ أحمد ديدات إلى نفي حادثة الصلب، إلى الشواهد والأقوال المنسوبة إلى المسيح عليه السلام، ومنها ما ورد بإنجيل لوقا (انظروا يدي ورجلي إني أنا هو، جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي، وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه، وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبين قال لهم: أعندكم ههنا طعام؟ فناولوه جزءًا من سمك مشوي وشيئًا من شهد العسل فأخذ وأكل قدامهم).

ويعلق الشيخ ديدات على هذا النص بقوله (والسؤال الذي يطرح نفسه هو: إذا كان المسيح قد مات «مصلوبًا» ثم قام بعد ثلاثة أيام فكيف يقول لتلامذته إن الروح ليس له لحم وعظام «طالبًا» منهم أن يجسوه.

ثم: لماذا أكل قدامهم وفق رواية (لوقا) المعتمدة من قبل المؤسسات الكنسية؟

---

(١) المرجع نفسه ٥٤ باختصار.

(٢) المرجع نفسه ص ٥٥.

فمن المعروف أن الأرواح لا تأكل ولا تشرب، وإن علمها عند الله، ولكن المسيح -عليه السلام- من خلال هذا الموقف الذى تقوم به مختلف الكنائس، وإذا كان هذا قد حدث بالفعل وفق ما يعتقده النصارى، فإننا نقول لهم: إن المسيح عليه السلام أراد أن يثبت أنه لم يمت بعد. أى أنه لم يقتل بعد. أى أنه لم يصلب، أى أنه ليست هناك حادثة (صلب) وبما أنه ليست هناك حادثة (صلب) فنظرية (الخلاص) لا أساس لها من الصحة، وفى ضوء هذا فالنصرانية معتقد غير صحيح)[1].

وعن الناحية اللغوية نجد للشيخ ديدات بحثًا فريداً فى تحليله للمصطلح الإنجليزى الدال على الصلب وهو Crucifietion حيث توصل إلى أن أصل هذا المصطلح مكون من مقطعين هما Cruci-Fiction ومعناه (رواية الصلب أو خرافة الصلب. إذ إنه لا يوجد فى الإنجليزية فعل واحد بالمعنى الذى يقابل الفعل العربى (يصلب).

ويستنتج من ذلك أنه إذا كان المصطلح نفسه عاجزاً عن التدليل على معنى (الفعل)... (الحادثة) التى وقعت من وجهة نظر كتبة الإنجيل، فكيف يتسنى لنا إذن على المستوى اللغوى التحقق من أصل هذه الحكاية كواقع[2].

ويزيد الأمر إيضاحًا بكتابه (صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء) ليثبت أن قصة الصلب لا تعنى الموت قتلاً، مستشهداً بتفسير لغوى لإنجليزى بجنوب أفريقيا وشريك له من أمريكا يعترفان بأنه (لو كانت كلمة يصلب تعنى يقتل على الصليب، فإننا لا نجد كلمة تصور مجرد الصعود على الصليب دون موت عليه[3].

---

(١) من أقواله لمندوب جريدة (المدينة المنورة) عدد الأربعاء رقم ٢٨٥ الصادرة، فى ٥ جمادى الأول ١٤٠٩ هـ/ ١٤ ديسمبر ١٩٨٨م ص٧ مع العلم أنه أصدر كتابًا فى هذا الموضوع بعنوان (خرافة صلب سيدنا المسيح)، وهو من مصادر دراستنا.

(٢) صلب المسيح .. بين الحقيقة والافتراء - أحمد ديدات ص١٧٢.

(٣) المصدر السابق ص١٧٨، وينظر صورته على الصليب ص٧٩.

ويقول: ولو كانت (يصلب) تعنى فقط (يقتل)، فما معنى الكلمة؟ إن قاموس أكسفورد يعطى للكلمة معنى هو (يقتل بالتثبيت على الصليب) .

ولكنه يجابه هذا التعريف بسبع حالات صلب على الأقل حدثت فى الفلبين ونشرتها إحدى الصحف فى ٣ / ٥ / ١٩٨١ ، ولم يمت منهم أى شخص بالصلب! وأغمى على أحدهم بالرغم من دق المسامير فى يدى المتقدمين للصلب بالصليب الخشبى، ويخص بالذكر ما حدث للسيد بيتر فان دير بتاريخ ٣/٨/١٩٦٩م الذى صعد على الصليب وتلقى (الركلات) لمجرد الاستمتاع بالإثارة أو كما قال بنفسه لمجرد أن يثبت أن الإنسان يستطيع أن تكون له السيطرة على جسده، أنه تحمل عملية الصلب بكل تفاصيلها ولم يمت، بمعنى أنه ثبت على الصليب (لتمثيل الصلب، لا ليموت صلبا)(١) .

المنكرون للصلب:

وقد أنكرت بعض الطوائف المسيحية حصول الصلب استناداً على الأدلة التاريخية . ويقول المسيو أرنست دى يونس الألمانى فى كتابه المسمى (الإسلام والنصرانية الحقة) إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس، ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح -عليه السلام- وليست من أصول النصرانية (وقد أنكر كثيرون من المؤمنين بعيسى فى بداية النصرانية أن المسيح نفسه هو الذى رفع على الصليب وأصروا على أن أحد اتباعه (يهوذا الأسخريوطى أو شخصًا آخر يشبهه تمامًا هو الذى ألقى القبض عليه وصلب بدلاً منه(٢) .

ويقول ملمن فى كتابه (تاريخ الديانة النصرانية) إن تنفيذ الحكم على المصلوب كان أثناء الظلام مما يستنتج منه إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا منتظرين تنفيذ حكم القتل .

---

(١) المرجع نفسه ويقول (وإننى اتحدى أى أسقف أو قس فى أى مكان، فى أى وقت فى لغته هذا (الفعل) .

(٢) محمد ﷺ فى الكتاب المقدس، البروفسور عبد الأحد داود ص٢٢٧ .

ويقول باسيليوس إن نفس حادثة القيامة وهى دعوى قيام المسيح -عليه السلام -من الأموات المدعى بها بعد الصلب الموهوم، هى من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذات المسيح[١].

ومنهم أيضًا (كوائيليس شيس) الذى أعلن رأيه برفض الأساس العقائدى للصلب، لأن (ذنب آدم لم يضر إلا آدم، ولم يكن له تأثير على بنى النوع البشرى والأطفال الرضعاء حين تضعهم أمهاتهم يكونون، كما كان آدم فيما قبل أن يذنب)[٢].

والثابت تاريخيًا أن النصارى فى القرون الأولى، قبل الملك قسطنطين لم يعرفوا رسم علامة الصليب على وجوههم بالأصابع، وظهر تبرير ذلك برواية تحكى عن هذا الملك أنه رأى فى السماء صورة صليب من ذهب، وملك يقول له : إن كنت تريد غلبة أعدائك، فاجعل هذه الصورة علامة قدامك (وآمن وفعل ما قاله الملك فنصر وهو الذى بحث عن صليب المسيح حتى وجده مدفونًا، وعمل من المسامير التى كانت فيه لجامًا لفرسه، وزيّن جبينه بصليب من ذهب، فاستمر ذلك لنا علامة على النصر والظفر)[٣].

ويبقى السؤال واردًا وهو : كيف يرضى النصارى بعلامة الصليب (وهو شنيع على المسيح عليه السلام وإظهار لشعائر الإهانة العظيمة الحاصلة لمن يزعمون أنه ربهم، وهذا لا يرتضيه الإنسان لغلامه، فكيف لنبيه، فكيف لربه؟)[٤].

ويصرح محمد تقى العثمانى بأنه لم يجد على هذا السؤال إجابة فى كتابات أى عالم مسيحى[٥].

---

(١) نقلاً عن محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن ص١٠٣، راجع بالتفصيل فى هذا المصدر هذه الطوائف وتبلغ إحدى عشرة طائفة.

(٢) ما هى النصرانية؟ ص٩٠. محمد تقى العثمانى، مكتبة دار العلوم، كراتشى ١٤٠٣هـ

(٣) الأجوبة الفاخرة للقرافى ص١٦١ والعبارة على لسان قسيسهم وكبيرهم حفص.

(٤) المرجع نفسه ص١٦٠ : ١٦١.

(٥) ما هى النصرانية؟ ص٧٥. ، محمد تقى العثمانى مكتبة دار العلوم، كراتشى ١٤٠٣هـ

وختاما لدراستنا الموجزة حول علم الأديان المقارن، سنجعل مسك الختام منصبًا على الحديث عن إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ، وذلك فى مبحثين:

الأول: النبوات بمحمد ﷺ فى الكتاب المقدس(١).

الثاني: الأدلة العقلية على صدق نبوته ﷺ.

******

---

(١) لم تقتصر النبوات على الكتاب المقدس فحسب، فقد ذكر العقاد بأن (بعض الباحثين وجد اسم أحمد مكتوبًا بلفظه العربى فى السامافيدا من كتب البراهمة، وبعض صفاته ﷺ وكذا كتب المجوس (التاريخ الفارسى) ككتاب زندافستا ينبئ عن رسول يوصف بأنه رحمة للعالمين « شوشيانت » ويتصدى له عدو يسمى أبا لهب، ويدعو إلى إله واحد لم يكن له كفوًا أحد وليس له أول ولا آخر ولا صاحب ولا ولد، وكيف تنهض البادية وتتوجه للكعبة وتبسط سلطانها على فارس، وإن نبيهم فصيح ذو معجزات) مطلع النور للعقاد -كتاب الشهر- دار الهلال ١٩٦٨م، نقلاً عن مختصر إثبات نبوة محمد ﷺ محمد إبراهيم حجاج ص٨٣، الذى يرى أنه لا يبعد أن يكون ذلك من آثار النبوات السابقة من لدن نوح..

الفصل السابع

النبوءات بمحمد ﷺ فى الكتاب المقدس

تمهيد :

يلاحظ علماء تاريخ الأديان المقارن أنه بالرغم من كثرة ذكر الرسل والأنبياء بالكتاب المقدس، إلا أنه عندما تأتى البشارة بمجىء محمد ﷺ فإنهم يخفونها أو يجحدونها ولا يعترفون برسالته، فما السبب؟

يرى جارودى أن مصيبة تاريخ الأديان المقارن أنه يحمل فى الغرب علامة العصر الذى ولد فيه، ولذلك فهو يتميز بظاهرتين :

الأولى : أنه فيما يخص الإسلام، فإن الغرب اعتمد على وجهة نظر مسيحية متعصبة وطائفية، وترفض الاعتراف بصحة الوحى الإسلامى اعتماداً على تأكيد صحة وحيها هى. وهذا ما يدعونا للاعتقاد بأن التعصب هو أحد أسباب إنكار نبوة نبينا ﷺ .

الثانية : المسلّمة الفلسفية الوضعية القائلة باستبعاد كل إمكانية للتسامى بشكل مفاجئ فى التاريخ، والتى تنزوى فى افكار مسبقة، لتزعم أن لا شىء ينشأ إلا نتيجة ومحصلة لأحكام سابقة[1].

أما البروفيسور عبد الأحد داود فقد كان أكثر صراحة لأن تمكنه فى علم الأديان المقارن وتخصصه فى علم اللاهوت وإحاطته الواسعة بالكتب الدينية عند اليهود والنصارى، كل ذلك مكنه من اكتشاف عدة حقائق أعلنها على الملأ فى شكل تحقيقات وبحوث علمية موثقة وتستند إلى مراجع لا سبيل لأهل الكتاب فى الطعن فيها.

---

(١) الإسلام دين المستقبل، جارودى ص٦٦ ترجمة عبد المجيد بارودى -دار الإيمان بيروت/ دمشق ١٩٨٣م. وقد أورد بهذا الكتاب إحدى النبوءات التى رأى أنها تبشر بمجىء الرسول ﷺ، حيث أورد ما جاء على لسان القديس يوحنا قوله (وما زال لدىّ أشياء كثيرة اقولها لكم، ولكنكم فى هذا الوقت لستم قادرين على تحملها، وعندما سيأتى « روح الحق » فإنه سيجعلكم تصلون إلى الحقيقة كاملة) إنجيل يوحنا ١٦- ١٢/١٣ ص٨٣ من كتابه.

ويذكر البروفيسور -كأحد نماذج التحريف(*) - أنه بدافع حقد اليهود على إسماعيل -عليه السلام- قام النساخ وفقهاء الشريعة بتحريف وإفساد الكثير من صفحات كتبهم المقدسة فشطبوا اسم (إسماعيل)، ووضعوا اسم (اسحاق) بدلاً منه، وقاموا أيضاً بحذف الوصف الخاص بإسماعيل (ولدك الوحيد) لإنكار وجوده.

وقام النصارى بتحريف من نوع آخر، فغيروا ترجمة كلمة من معناها الأصلى إلى معنى آخر مغاير: وتفصيل ذلك أن الأصل فى خطاب الله تعالى لإبراهيم عليه السلام قوله (**لأنك يا إبراهيم قبلت أن تضحى بابنك الوحيد من أجلى فسوف أزيد وأضاعف من ذريتك**).

ولكن المسيحيين عندما قاموا بترجمة هذه الكلمة العبرية التى تعنى (وفير) أو (كثير) من الفعل Para ترجموها إلى معنى مغاير لحقيقة اللفظ ألا وهو «الحمار المتوحش».

وعندئذ يبدى هذا العالم دهشته الممتزجة باللوم والسخط على هذا الفعل ويتساءل (أليس من العار والكفر أن يُنعت إسماعيل بهذا اللفظ وهو النبى الذى كرمه الله فنعته (بصاحب الذرية الخصبة الكثيرة العدد)؟[1].

وقادته دراسته فى علم اللاهوت، وتبحره فى تاريخ الأديان، ومعرفته بالكتاب المقدس ونبوءاته، إلى الإقرار بالحقيقة التى لا محيد عنها، وهى أن محمداً ﷺ هو الهادى، وهو (روح الحق) الذى بشر به المسيح عليه السلام[2].

واعتنق الإسلام عن اقتناع تام بعد كثرة البحوث والقراءات والمقارنات، ثم أعلن فى تواضع (إنى لا أعزو اعتناقى الدين الإسلامى لأى سبب غير التوجيه الإلهى الكريم الذى هدانى للإسلام، وبغير هذا الهدى الإلهى، فقد يصاب الإنسان بالحيرة والضلال من تعدد التعاليم الدينية، ومن كثرة الجهود المضنية التى تجابه الإنسان فى سبيل البحث عن الحقيقة)[3].

(*) وتظهر آخر صور التحريف فى العصر الحديث بواسطة إسرائيل حيث قامت بإصدار الطبعة المحرفة لأسفار العهد الجديد عن (دار النشر اليهودية بالقدس سنة ١٩٧٠م) على ضوء وثيقة التبرئة التى أصدرها البابا بولس السادس فى ٢٨ / ١٠ / ١٩٦٥م، فحذفوا كلمة (اليهود) وكل ما يتعلق بمسئوليتهم عن (صلب) المسيح عليه السلام وتحميل مسئوليته على الرومان ... ص ٤٥ / ٤٦ من كتاب (إسرائيل .. حرفت الأناجيل - اللواء أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة بمصر سنة ١٩٧٢م.

(١) محمد ﷺ فى الكتاب المقدس، ص٦١.

(٢) المرجع نفسه ص٣٤.

(٣) المرجع نفسه ص٢٢.

أما الإسلام، فهو الدين الذى يحقق الهدوء داخل العقل وداخل البيت مهما كانت الاضطرابات التى تهددنا[١].

وفى وصف شامل للإسلام ورسالته وصبغته الفريدة، ومدى صداه فى نفوس خصومه يعرفه بأنه (لا يوجد أى نظام دينى فى العالم يحمل اسمًا أو وصفًا أفضل وأشمل وأكثر هيبة وسموًا من الإسلام، فالدين الحق، لله الحق لا يمكن أن يسمى باسم أى من عباده ولا أن يدعى باسم شعب معين أو اسم بلد معين. إن هذه القداسة والعصمة لكلمة إسلام هى التى توقع الرعب والخوف والاحترام فى قلوب أعدائه، حتى عندما يكون المسلمون ضعافًا وخانعين)[٢].

ودفعه إيمانه ذو الجذور العميقة فى نفسه إلى إعلان اكتشافاته العلمية على الملأ، بل الدعوة إلى الإسلام أيضًا لأنه بعد الفحص والتمحيص ثبت لديه أنه الدين الحق.

لقد أراد البروفيسور عبد الأحد إذن بوحى من إيمانه العميق إثبات تحريف الكتاب المقدس لنصوص النبوءات، فأتى بالنصوص المحرفة[٣]، بسبب الترجمة وطابقها مع ما يقابلها مكتوبًا باللغة الأصلية، وعندئذ أذهله أن كل النصوص المعنية بالنبوءات تنصب على رسول الله ﷺ، وهذا لم يكن يتوقعه قط بحكم عقيدته السابقة ونشأته على النظر إلى الإسلام ونبيه ﷺ بعين ملؤها الحقد والكراهية، أو عدم الإنصاف على أقل تقدير.

ولا يتسع المجال لعرض بحوثه تفصيلاً ولكن يعنينا فقط الإلمام بطريقة التحريف المتبعة، والتى بواسطتها ينكرون نبينا محمد ﷺ.

وسنتدرج لنبين منهجه أولاً ثم نصل إلى تطبيق هذا المنهج على بعض النصوص الدالة فى أصلها على الرسول ﷺ.

---

(١) المرجع نفسه ص١٢٨.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) يرى الأستاذ محمد إبراهيم حجاج أنه لكثرة البشارات بمحمد ﷺ وتفرقها فى كتبهم لم يستطيعوا إخفاءها كلها، وإن اجتهدوا لتمويهها وتأويلها، فلا تزال تدل على محمد ﷺ. ص٨٦ من كتاب (مختصر إثبات نبوة محمد ﷺ) المكتبة الإسلامية -عمان ١٤٠٣هـ.

فمن معالم منهجه أنه أخذ (يعيد قراءة الكتب المقدسة بنصوصها الأصلية مرة بعد مرة)[١]، فوقف على أهم الحقائق التى غابت على القساوسة (ولو حاول القساوسة اللاهوتيون النصارى معرفة حقيقة كتبهم المقدسة التى وردت أصلاً باللغة العبرية بدلاً من ترجمتها، كما يفعل المسلمون الذين يقرأون قرآنهم بنصه العربى، لاتضح لهم أن الله -تعالى- هو نفس الاسم القديم السامى للكائن الأعلى الذى أوحى وكلم آدم وجميع الرسل من بعده)[٢].

وفى ضوء هذا المنهج مضى ليتحقق من أن النبوءات الواردة بالكتاب المقدس تحققت بالحرف الواحد وصدقت على محمد ﷺ، وسنكتفى بعرض ثلاث منها بإيجاز:

النبوءة الأولى:

ما ورد فى التوراة (سفر التثنية الفصل الثامن عشر الجملة ١٨):

«أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه»

ويرى البروفيسور عبد الأحد أن هذه الكلمات ما لم تنطبق على محمد ﷺ فإنها تبقى غير متحققة، فالمسيح -عليه السلام- نفسه لم يدّع أنه النبى المشار إليه، وكذلك يتطلع حواريوه إلى عودته لكى تتحقق النبوءة (وحتى الآن، فإنه من الثابت غير المنقوص أن الظهور الأول للمسيح لم يكن ليدل على ما جاء فى الجملة « أقيم لهم نبياً مثلك »، وكذلك فإن عودة المسيح مرة ثانية لا تكاد تحمل معنى هذه الكلمات، وأن المسيح، كما تؤمن به كنيسته، سوف يظهر كقاض وليس كمقدم للتشريع، بينما **«الموعود»** هو الذى يجىء حاملاً **«الشريعة النارية المشعة بيده اليمنى»**[٣].

النبوءة الثانية:

الكلمات الواردة فى التوراة فى الفصل ٣٣ الجملة (٢) تنص على ما يلى: « وجاء الرب من **سيناء**، وأشرق لهم من **ساعير** وتلالأ قدماً من جبل **فاران**، وجاء معه عشرة آلاف قديس، ومن يده اليمنى برزت نار شريعة لهم ».

---

(١) محمد ﷺ فى الكتاب المقدس ص٢٨.
(٢) المرجع نفسه ص٣٧. (٣) المرجع نفسه ص٣١.

ومن الثابت فى رأى البروفيسور عبد الأحد أنه لم يكن لأحد من الإسرائيليين بمن فيهم المسيح -عليه السلام- أية علاقة بـ(فاران)، فإن (هاجر) مع ولدها (إسماعيل) هما الذان سكنا فى قفار (فاران)[1].

وكذلك فإن (بيت الرب الذى يمجد اسمه فيه) المشار إليه فى الإصحاح (٦٠ الجملة ٧)، هو بيت الله الحرام فى مكة وليس كنيسة المسيح، كما كان يعتقد المفسرون المسيحيون.

وبحكم معرفته الواسعة بالتاريخ وتفاصيله، ووقوفه على أعداد المسلمين الذين دخلوا مكة المكرمة، لفت نظره تحديد عدد العشرة آلاف (فإذا قرأت جميع التواريخ المتعلقة بقفار « فاران » فإنك لا تجد أية حادثة أخرى غير هذه أمامك، وهى أنه عندما فتح النبى ﷺ مكة دخلها على رأس عشرة آلاف مؤمن من أتباعه فى المدينة، ثم يعود إلى « بيت الله » **وبيده اليمنى الشريعة التى حولت جميع الشرائع الأخرى إلى رماد**)[2].

النبوءة الثالثة:

وتحتوى على جملتين كل منهما تنص على اسم (أحمد) أو « حمدا Himda »:

أ- الجملة الأولى (وسوف يأتى **أحمد** لكل الأمم- سفر حجى ٢-٧). والترجمة المحرفة لبعض الكتب المقدسة فى الإصحاح الثانى من سفر حجى هكذا تقول (ويأتى مشتهى كل الأمم)[3].

ب- الجملة الثانية ونصها (ولسوف أزلزل كل الأمم، وسوف يأتى حمدا Himda لكل الأمم، وسوف أملأ هذا البيت بالمجد .. كذلك قال رب الجنود، ولى الفضة ولى الذهب .. هكذا يقول رب الجنود، وإن مجد ذلك **البيت الأخير** يكون أعظم من مجد الأول .. هكذا يقول رب الجنود، وفى هذا المكان أعطى السلام .. هكذا يقول رب الجنود ».

الإصحاح الثانى من سفر حجى، الجملة ٧-٩.

---

(١) المرجع نفسه ص٣٢. (٢) المرجع نفسه ص٣٤.

(٣) المرجع نفسه ص٤٩.

وذكر الشيخ عبد الوهاب النجّار فى كتابه (قصص الأنبياء ص ٣٩٧ / ٣٩٨) أنه سأل زميله المستشرق نيلّينو أثناء زمالتهما بدار العلوم بالقاهرة عن معنى (الفارقليط) فأجابه: القسيس يقولون: إنه المعزّى، ولما ضيّق عليه الخناق باعتباره خبيراً باللغة اليونانية، أقرّ أنه أفعل التفضيل من فعل (حَمَدَ).

ويرى البروفيسور عبد الأحد خطأ ترجمة كلمتى (حمدا) و(شالوم) من أنهما (**الأمنية والسلام**)[1]، لأن النبوءة على ضوء هذه الترجمة تصبح لا شيء أكثر من (همس غامض مبهم ولا يفهم معناه)، ثم يقول (ولكن إذا فهمنا المقصود من التعبير بكلمة (**حمدا**) بأنه فكرة ثابتة عن شخص أو عن حقيقة واقعة، وإذا ما فهمنا المقصود من كلمة (**شالوم**) بأنها ليست حالة مشروطة، بل هى قوة فعالة وديانة رسمية ثابتة ومعترف بها، وعندئذ لابد من اعتبار هذه النبوءة على أنها صادقة لا إنكار فيها، وأنها **مطابقة لشخصية (أحمد) وبعثته بالإسلام**، ذلك لأن كلمتى (حمدا) و(شالوم) أو (شلاما) تؤديان بدقة نفس الدلالة والأهمية لكلمتى (أحمد ﷺ) و(الإسلام)[2].

ويرى البروفيسور عبد الأحد أن اسم (أحمد) هو أول اسم علم عرف بهذه الصيغة فى تاريخ البشر (وهو بحسب اعتقادى أعظم معجزة جاءت لصالح الإسلام)[3].

هذا وقد سبق أن قلنا فى الفصل الأول إنه لابد من القدوة الكاملة فى اجتياز طريق الحياة الإنسانية، وقد تحقق ذلك فى الإسلام باعتباره خاتم الأديان ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾، وخص الله عز وجل محمداً ﷺ وحده -كخاتم النبيين -بوصفه (الأسوة الحسنة) فقال سبحانه : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾.

---

(١) ويقول البروفيسور (ولقد قمت بترجمة هذه الفقرة المذكورة من النسخة الوحيدة من الإنجيل الذى كان بحوزتى، والتى أعارتنى إياها سيدة آشورية كانت ابنة عم لى، والنسخة هذه هى باللغة الوطنية الدارجة حينذاك. ولكن دعنا نرجع إلى الترجمة الإنجليزية للكتاب المقدس، والتى نجد أنها ترجمت عن الأصل العبرى كلمة (حمدا) إلى (الأمنية) وكلمة (شالوم) إلى السلام. ص٥٠ .

(٢) المرجع نفسه ص٥٠ ويقول ص٥٢ (أما فيما يتعلق بأصل هذه الكلمات وتاريخها ومغزاها « شالوه » و« شلاما » بالعبرية، وفى العربية (سلام) وإسلام، فإنه لا حاجة بى لأن أعيق تسلسل القارئ فى تفكيره، فأجره إلى تفاصيل لغوية، لأن أى عالم فى السامية يعرف تماماً أن (شالوم) و(إسلام) هما كلمتان مشتقتان من أصل واحد، وتعنيان نفس المعنى، وهو السلام والإذعان أو الاستسلام).

(٣) المرجع نفسه ص٥٤، وقد برهن على أن الفقرة ٢ / ١٣ من إنجيل « لوقا » (المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السّلام، وبالنّاس المسّرة) أصلها هكذا (المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض إسلام، وللناس أحمد) فى الترجمة اليونانية.

ويُنظر تعليق عبد الوهاب طويلة بكتاب (الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية للحبر إسرائيل بن شموئيل الإسرائيلى ط دار القلم بدمشق ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

ونعود ها هنا لاستكمال إحدى الحلقات فى موضوع النبوة، فنظهر البراهين الدالة على صدق نبوة نبينا محمد ﷺ مستخدمين فى ذلك طريقتى عالمين من علمائنا : أحدهما شيخ الإسلام ابن تيمية (فيما بين القرنين السابع والثامن الهجريين : ٦٦١-٧٢٨ هـ) والثانى الأستاذ محمد لطفى جمعة فى العصر الحديث.

ونلاحظ أن الأول استخدم مصطلحات عصره المنطقية (المسلك النوعى -الشخصى)، بينما استخدم الثانى علوم العصر كالاجتماع والأخلاق والنفس فى صد حملات التهجم والتشكيك، مستمسكًا ومعتزًا بعقيدته الإسلامية، ومتحديًا كتابات المستشرقين من اليهود والنصارى وتلاميذهم من المتغربين المفتونين والملحدين العصريين.

كذلك لابد من التنويه بمنهج العالم الفرنسى موريس بوكاى الذى عرضنا بعض لمحاته بأحد فصول الكتاب.

وهكذا تبقى طرق الاستدلال العقلية والعلمية متاحة فى كل العصور متضافرة لتجلية الحق.

المدخل العقلى لصدق نبوة محمد ﷺ

لقد حض القرآن الكريم على التفكير فى أمر النبى ﷺ . . واستخدام ميزان العقل للتثبت من صدق نبوته عليه الصلاة والسلام : تدبروا قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** ﴾ [سبأ : ٤٦].

قال القاسمى فى تفسير هذه الآية : أى قيامًا خاصًا لله بلا محاباة ولا مراءاة اثنين اثنين، وواحدًا واحدًا (ثم تتفكروا) أى فى أمره ﷺ وما جاء به من الهدى وإصلاح الأخلاق، ورفع النفس عن عبادة ما هو أحط منها من الأوثان، إلى عبادة فاطر السموات والأرض، واتباع الأحسن ونبذ التقاليد وإنزال الرؤساء إلى مصاف المرءوسين رغبة فى الإخاء والمساواة، إلى غير ذلك من محاسن الإسلام وخصائصه المعروفة فى الكتب المؤلفة فى ذلك. وقوله تعالى : ﴿ **مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ** ﴾ أى جنون. مستأنف منبه لهم على أن ما عرفوه من رجاحة عقل كاف فى ترجيح صدقه . . والتعبير عنه ﷺ بـ (صاحبهم) للإيماء إلى أن حاله معروف مشهور

بينهم. لأنه نشأ بين أظهرهم بقوة العقل، ورزانة الحلم وسداد القول والفعل (إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) وهو عذاب الآخرة والمآل[١].

كذلك الرسول ﷺ أيضًا عندما أعلن نبوته عقب صدور الأمر الإلهى إليه، استند إلى دليل عقلى، فقد ألقى إليهم سؤالاً أولاً -كما سيأتى - حتى يقروا بأمانته وصدقه. .أى المقدمة التى سيبنى عليها النتيجة، فلما أقروها أعلن عليهم النبأ.

فقد نفذ الأمر الإلهى إليه ﷺ ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ فصعد على الصفا فجعل ينادى لبنى قريش حتى اجتمعوا فسألهم «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم كنتم مصدقىّ؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال ﷺ: «فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد»[٢].

والحديث عن نبوة محمد ﷺ يتشعب بنا إذا لم نحصر حديثنا فى جانب واحد من السيرة، لأنها أجلّ وأعظم من أن يحاط بها مؤلف أو مؤلفات على سعتها، فما من مؤلَف من مؤلفات السيرة إلا جاء معبرًا عن أحد جوانبها دون الإحاطة بها جميعًا. وفى نطاق بحثنا المحدود، سنختار مقتطفات من الأدلة على صدق نبوته ﷺ، منها وأولها معجزة القرآن الكريم التى عجز البشر وسيعجزون حتى قيام الساعة أمام التحدى الإلهى ﴿فإن لَّمْ تَفْعَلُوا ولن تفعلوا﴾ [البقرة: ٢٤].

وإننا واجدون فى إثبات النبوة نفس الطريقة التى يمكن بها أن نثبت أنواعًا من العلماء فى البشر كالأطباء والفلكيين والأدباء والشعراء والنوابغ فى ميادين المعارف والعلوم المختلفة (فما من أحد يدعى العلم بصناعة أو مقالة إلا والتفريق فى ذلك بين الصادق والكاذب له وجوه كثيرة. . والنبوة مشتملة على أشرف العلوم والأعمال)[٣].

والمسالك كثيرة للاستدلال على النبوة بالأدلة العقلية، نختار منها مسلكين ومصدرنا شيخ الإسلام ابن تيمية مع الاختصار:

---

(١) القاسمى: محاسن التأويل ج١٤ ص٤٩٦٦ تصحيح محمد فؤاد عبد الباقى وعيسى البابى الحلبى وشركاه.

(٢) ابن الوزير اليمانى: الذب عن سنة أبى القاسم صلوات الله عليه ج٢ ص١٣١ المطبعة السلفية.

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية ص٨٢ وما بعدها.

الأول: المسلك النوعي:

وبه استدل النجاشي على نبوته ﷺ، فإنه لما استخبر الصحابة القادمين عليه فرارًا بدينهم من قريش عما يخبر به، واستقرأهم القرآن، قال بعد سماعه لبعض آيات من سورة (مريم) : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة -أي أنه عرف أن طبيعة الكلام تدل على وحدة المصدر.

وبنفس الطريقة سبقه إلى ذلك ورقة بن نوفل، عندما هرعت إليه السيدة خديجة رضي الله عنها تسأله عن حقيقة ما حدث للنبي ﷺ فأجاب قائلاً: (هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى عليه السلام).

الثاني: المسلك الشخصي:

وبه استدل هرقل ملك الروم عندما وجه أسئلته إلى أبي سفيان وهو حينئذ من أشد الناس بغضًا وعداوة للنبي ﷺ وموجز هذه الأسئلة هي:

- هل كان في أبائه ملك؟ فأجاب بالنفي.
- هل قال هذا القول أحد قبله؟ فأجاب بالنفي.
- هل هو ذو نسب فيهم؟ فأجاب بالإيجاب.
- هل يتهمونه بالكذب؟ فأجاب بالنفي.
- هل اتبعه ضعفاء الناس؟ فذكر أن الضعفاء اتبعوه.
- هل يزيدون أم ينقصون؟ فذكر أنهم يزيدون.
- هل يرجع أحد عن دينه سخطة له؟ فأجاب بالنفي.
- هل قاتلوه؟ فأجاب بالإيجاب.
- ما طبيعة الحرب بينهما؟ فأجاب بأنه يدل على أعدائه المرة والعكس مرة أخرى.
- هل يغدر؟ قال لا.

وكان هرقل يسأل أبا سفيان طالبًا ممن معه من تجار قريش إن كذب أن يكذبوه

فوجدهم موافقين له فى إجاباته، وأخيراً سألهم: بماذا يأمركم؟ قالوا (يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة).

ثم بيّن لهم فى النهاية دلائل أسئلته، فقد سألهم عن أسباب الكذب وعلاماته فرآه منتفياً، وسألهم عن علامات الصدق فوجدها ثابتة، إذ لو كان فى آبائه ملك لقال رجل يطلب ملك أبيه، كذلك فإن تفرده ﷺ بدعوته يدل على أنه بخلاف ما هو معتاد من اتباع الرجل لعادة آبائه واقتدائه بمن كان قبله -وهذا يحدث كثيراً فى المجتمعات الإنسانية -أما إذا طلب أمرا لا يناسب حال أهل بيته فإن هذا نادر فى العادة لكنه قد يقع، ولهذا أردفه بالسؤال عما إذا كانوا يتهمونه بالكذب، فلما علم صدقه قال إنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله، ثم أردف ذلك بالسؤال عن علامات الصدق، فمن علامات الرسل اتباع الضعفاء لهم، وسألهم هل يزيدون أم ينقصون، فقالوا بل يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألهم هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه، وأيقن من إجابتهم بالنفى أنه نبى لأن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد، وعلم أن من علامات صدق نبوته ﷺ ان اتباعه يزيدون ولا ينقصون، لأن الكذب والباطل لابد أن ينكشف فى آخر الأمر فيرجع أصحابه عنه، فالمتنبئ الكذاب لا يدوم إلا مدة يسيرة. وفى الحرب علم أنه تارة يغلب كما غلب يوم بدر وتارة يُغلب، وكذلك الرسل تُبتلى وتكون العاقبة لها فإن سنة الله فى الأنبياء والمؤمنين أنه يبتليهم بالسراء والضراء لينالوا درجة الشكر والصبر، كما علم من إجابتهم أنه لا يغدر فكذلك الرسل فإنها لا تغدر أصلاً إذ الغدر قرين الكذب. وتعرّف على صدقه أيضًا من أمره ﷺ بعبادة الله وحده والصلاة والصدق والعفاف والصلة، وينهاهم عما كان يعبد آباؤهم وهذه صفة نبى

وعلق هرقل فى النهاية بقوله (وقد كنت أعلم أن نبيا يبعث، ولم أكن أظن أنه منكم ولوددت أنى أخلص إليه ولولا ما أنا فيه من الملك لذهبت إليه، وإن يكن ما يقول حقًا فسيملك موقع قدمىّ هاتين)(١).

---

(١) ابن تيمية: شرح العقيدة الأصفهانية من ص٨٢-٨٦- مطبعة الكردستان العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٩هـ.

ونضيف إلى ذلك أن الأدلة العقلية والمنطقية والتاريخية، وما لها ارتباط بعلم النفس والاجتماع والأخلاق، كلها تؤيدأنه النبى الصادق حقاً، وإن كان هذا يتطلب دراسة قائمة بذاتها كما فعل كثير من كبار علمائنا[1] إلا أننا نختصر هنا الكلام اختصاراً لكى نبرهن على أن المدخل العقلى للعقيدة الإسلامية يتجلى فى آياته القرآنية، وصدق رسوله ﷺ إذا ما نظرنا إليه بعين الإنصاف والتجرد للبحث عن الحق.

كما تحدثنا من قبل عن تعذر الإحاطة بسيرة الرسول ﷺ فى كتاب، فما بالنا بعدة صفحات؟

ومع هذا فإنه مما يتصل بدراستنا فحص الآراء التى يلف حولها بعض كتاب الأفرنج ويدورون، لنخرجهم من هذه الدائرة المضللة إلى نور الحق وضيائه، وهذه الآراء لا تخرج فى مجملها عن محاولتهم -بطريقة فجة، بل مضحكة -إما اصطناع صلة بينه ﷺ وبين الأديان والثقافات السائدة حينذاك فى بيئته أو المساس بالقرآن الكريم أو النيل من صفاته الشخصية ﷺ.

وبمراجعة صفحات كتب السيرة، سنجد - بحمد الله تعالى - ما سبقنا به علماؤنا من مواجهة حاسمة مفحمة لكل ما دندن حوله أعداء الإسلام، وكانت نتيجة المواجهة فى صالح الحق والعدل.

وسنعرض لهذه الآراء بحسب ترتيبها:

١- الثقافة فى البيئة المكية.

٢- اختلاف الأسلوب بين القرآن والحديث.

٣- خلقه ﷺ.

١- الثقافة فى البيئة المكية

ومن هذه الأدلة أن العرب (كانوا أميين وثنيين جاهلين بعقائد الملل وتواريخ

---

(١) منهم الأستاذ محمد لطفى جمعة -الذى رجعنا إليه فى هذه الصفحات - مع العلم بأن كتابه فى السيرة يمتاز بأنه نتاج اطلاع واسع وغزير جداً - يكاد لا يبارى فى العصر الحديث- مع عمق دراسته تحليلاً ومقارنة ورداً على علماء الأفرنج، ويقع كتابه فى نحو ١٠٥٧ صفحة من القطع الكبير - مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩م بعنوان: ثورة الإسلام وبطل الأنبياء أبو القاسم محمد بن عبد الله.

الأمم، ومبادئ التشريع وعلوم الفلسفة، وأن مكة عاصمة دولتهم وقاعدة دينهم ومقر كعبتهم ومثوى زعمائهم ورؤسائهم وملتقى الشعوب والقبائل للتجارة والحج والمفاخرة بالفصاحة والبلاغة والشعر والخطب، لم يكن بها مدرسة ولا مكتب ولم يوجد بها كتاب مخطوط، فكيف يهيأ لرجل مثله، وفي مثل هذه البيئة الجاهلة، أن يجيء بدين تام وكامل، وشرع عادل عام)(١).

إن الدراسة المقارنة للعقائد والأديان والنظم تصل بالباحث إلى سمو المعتقدات والأحكام والعبادات والآداب التي جاء بها محمد ﷺ، ولم يكن من الممكن أن يصل إليها عقله وفكره ولا علومه ومعارفه الكسبية، فيتعين أن يكون ذلك بوحي من الله تعالى، ثم إن ما جاء به من هداية الناس وصلاح أمورهم في دينهم ودنياهم كان أعلى في نفسه من معارف البشر في عصره، فيتعين أن يكون وحيًا.

ولو كانت النبوة أمرا كان يرجوه محمد ﷺ، وكان قد أتم استعداده له باختلائه وتعبده -كما يزعم ذلك بعض المستشرقين- ما كان قد حدث له ما حدث من رجفة هائلة ولما عاد إلى زوجته مرتجفًا تصطك أسنانه وترتعد فرائصه ويسيل عرقه، بل كان ينزل إلى أهله فرحًا طروبًا منتصرًا متشجعًا غير هياب ولا وجل، مثل كل رجل يجد الأمر الذي يسعى إليه ويطلبه. ولكن الذي حدث أنه بعد نزول سورة (العلق) انقطع عنه الوحي ثلاث سنوات تباعًا، وكان في هذه الأعوام الثلاثة، وهي التي يسمونها فترة الانقطاع، ساكنا هادئًا لم يتل فيها على الناس سورة ولا آية، ولم يدع أحدًا إلى شيء ولا تحدث إلى أهله ولا إلى أصدقائه بشيء؛ لأنهم لم ينقلوا عنه شيئًا، فهذا السكون وحده برهان قاطع على بطلان ما صوروا به استعداده للوحي الذاتي الذي زعموه.

أما قصة بحيرا الراهب فقد ضعّفها بعض العلماء -أمثال عبد العزيز بن راشد النجدي ورشيد رضا ومحمد لطفي جمعة- لأن الروايات الخاصة بها ضعيفة الإسناد، إلا رواية الترمذي وليس فيها اسم بحيرا وفيها غلط في المتن، وليس في شيء منها أن محمدًا ﷺ سمع من بحيرا شيئًا عن عقيدته أو دينه. ولم يكن بحيرا -إن وجد حقيقة- ساذجًا إلى درجة أنه فاتح صبيًا صغيرًا بمثل هذه الأسرار العليا.

---

(١) محمد لطفي جمعة: ثورة الإسلام وبطل الأنبياء، ص٥٤٧، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩م.

ومن أبعد الروايات عن الإقناع، إدعاء خصوم الرسول ﷺ أنه تلقى ما تلقاه من حداد رومى بمكة. فمن المضحك ألا يجد النبى ﷺ معلماً إلا فى شخص الحداد، ولعل محمداً كان يراه فى السوق فيقف عليه ليرى صنعته، ولم يفقه لغته ولا يمكنهما التفاهم، ولذا جاء فى القرآن ﴿ **لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين** ﴾.

وبالجملة لم يجد النقاد شخصاً يليق فى مكة بأنه يكون أستاذاً لمحمد ﷺ لأن مكة بها يهود ونصارى من طبقة العبيد والرقيق لسادتهم العرب، لأن رؤساء قريش لم يكونوا يسمحون لأحد من ذوى الشأن من النصارى أو اليهود أن يقيموا فى مكة، وهى حرمهم المقدس الخاص بأوثانهم، وإن كانوا يتساهلون مع خدمهم وعبيدهم لأنهم فى حاجة إليهم، وهؤلاء كانوا من طبقة نازلة ولكنهم جهلاء ولا يُتصور أن محمداً ﷺ يتنزل أو يتدلى إليهم ليتتلمذ أو يتلقى عنهم رسالته[١].

ومما يدحض أيضاً هذه المفتريات الصادرة عن خيالات كتابها أن ندرس تاريخ رسالة الأنبياء عليهم السلام- منذ إبراهيم عليه السلام – مع التخلص من الروح العنصرية فى البحث لذلك، فإن استيعاب هذا التاريخ بنظرة شاملة كلية يتطلب –كما يرى جارودى –التخلى عن النزعة الغربية الإقليمية الضيقة واستيعاب ما جاء به الأنبياء –عليهم السلام- الذين أكملوا رسالة إبراهيم – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

ويستطرد فيلسوفنا قائلاً (وحينئذ يتاح لنا أن نفهم أسباب استبدال المسيحية الناهضة باليهودية المتحجرة، كما يتاح لنا أن نفهم السبب الذى من أجله أصبحت المسيحية خيالية مشوهة، بفعل سياسة الإمبراطور قسطنطين، تلك السياسة التى قلبت المسيحية رأساً على عقب. إن مفهوم (نظام الكهنوت) الرومانى المنشأ، والذى صُنع فيما بعد بصيغ يونانية ثم أقره مجمع (نيقيا) كعقيدة روحية لاهوتية... إن هذا المفهوم الذى سرعان ما تصدع وتشظى إلى شيع عديدة لم يستطع أن يقاوم البديل التاريخى وهو الإسلام)[٢].

---

(١) وينظر د. محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم –دار القلم بالكويت ص٦٤ / ٦٥ ط١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
(٢) جارودى: ما يعد به الإسلام ص٢٤٠.

أى أنه ﷺ جاء بعقيدة ليصحح العقائد التى انحرفت على أيدى اليهود والنصارى بعد إبراهيم عليه السلام.

فكيف يقال إنه جاء مقلداً لهذه الانحرافات، آخذاً عنها؟

٢- اختلاف الأسلوب بين القرآن والحديث

يقول أحد كتاب السيرة المعاصرين (إنى أتخذ من الاختلاف فى الأسلوب بين القرآن والحديث دليلاً علميًا وعقليًا وأدبيًا على صحة الوحى)، ويشرح ذلك بالرد على الزاعمين انتحال الرسول ﷺ القرآن لنفسه، إذ لو فعل ذلك، لكان أدعى إلى الفخر والمباهاة والشهرة وذيوع الصيت، لدلالته على القدرة الباهرة فى نظم الكلام وتأليفه والاطلاع على علوم الأولين والآخرين، وأيضًا الوقوف على أسرار الكون والعالم بما لم يسبق لأحد من الحكماء والمشرعين من قبل، ولكن هذا الكذب لا تقبله نفس محمد ﷺ ولا ترضاه سريرته ولا يتحمله ضميره فضلاً عن أنه لو كان القرآن هو كلامه، ما تمكن من التفكير فى أسلوب آخر ينطق به فى أوقات أخرى، خصوصًا أن القرآن كان يأتيه ويهبط عليه فى أحوال شاذة من كرب وضيق وعرق ورجفة، وقد تواتر الصدق فى رواية صفته عندما كان يجىء الوحى على هذه الحال، وهى حال استثنائية لا يمكن فيها للكاتب أو المفكر أو الشاعر الذى أحوج ما هو إليه، أن يملك زمام نفسه واعتدال مزاجه، فى حين أن حديثه وجوامع كلمه ومواعظه ونصحه، كان ينطق بها وهو على أشد ما يكون راحة وهدوءاً وسلامة بدن وسكون بال(1).

ويقرر الأستاذ محمد لطفى جمعة – بعد الاستشهاد بأقواله وخطبه وحكمه التى ملأت الآفاق وأصبحت من السنن التى شرعها الله تعالى على يديه –أن من أقوى الحجج على صدق الوحى المحمدى وأوضحها وأجلاها وأظهرها أن حديث النبى ﷺ الصحيح وجوامع كلمه وحكمه الوجيزة الصائبة وأجوبته المقنعة، وقد سارت كلها مسير المثل، وقيلت بجملتها عفو الساعة، دالة على حضور بديهته وصفاء نفسه وقوة ذهنه، كانت جميعها تختلف اختلافًا بينا عن ألفاظ القرآن ومعانيه(2).

---

(1) انظر محمد لطفى جمعة: ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ص٥٤٧، ٥٥٠ :٥٥٨، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٩م.

(2) نفس المصدر ص٥٧٤.

فإذا صعّدنا النظر إلى خلقه ﷺ سحرتنا الآيات الباهرات بحيث يصدع لها كل إنسان سليم الفطرة، خلا قلبه من الدغن وشهوات الهوى والزيغ وأبحث فى سيرته فلا تجد إلا كل خلق الله عظيم (وإنك لعلى خلق عظيم) وقد تفرد بهذا الوصف بلا منازع دون الأنبياء والرسل -صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا - وعن الرحمة فى قوله عز وجل: ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾، قال: (هذا خلق محمد ﷺ، نعته الله عز وجل) وسئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلقه فقالت: القرآن(١).

وسنختار فى هذا الحيز ثلاثة نماذج فقط من بين مئات الشواهد الدالة على خلق النبوة الحقة، وهى التى أوردها الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه (النبأ العظيم):

١- جلست جواريات يضربن بالدف فى صبيحة عرس، وجعلن يذكرن آباءهن من شهداء بدر حتى قالت جارية منهن: وفينا نبى يعلم ما فى غد فقال: ﷺ «لا تقولى هكذا، وقولى ما كنت تقولين» رواه الإمام البخارى. ومصداقه فى كتاب الله تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾[الأنعام: ٥٠]، ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

٢- وكان عبد الله بن أبى السرح، أحد النفر الذين استثناهم النبى ﷺ من الإيمان يوم الفتح لفرط إيذائهم للمسلمين وصدهم عن الإسلام، فلما جاء النبى لم يبايعه إلا بعد أن شفع له عثمان رضى الله عنه ثلاثا، ثم أقبل على أصحابه فقال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين كففت يدى عن بيعته فيقتله؟ فقالوا: هلا أومأت لنا يا رسول الله. فقال ﷺ «إنه لا ينبغى لنبى أن تكون له خائنة الأعين». رواه أبو داود والنسائى.

٣- ولما توفى عثمان بن مظعون رضى الله عنه قالت أم العلاء -امرأة من الأنصار-:

---

(١) الأصبهانى: أخلاق النبى ﷺ وآدابه ص٢٠. تحقيق أحمد محمد موسى -مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٢م.

رحمة الله عليك يا أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال ﷺ: «وما يدريك أن الله أكرمه؟ فقالت -بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟ قال: أما هو فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بي، قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً». رواه البخاري والنسائي. ومصداقه في كتاب الله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩].

لم يتخف إذن وراء الدهاء أو السياسة ولم يسمح لنفسه بأن يقول ما يشاء في شأن ما بعد الموت. وهو لا يخشى من يراجعه فيه، أو حكم التاريخ عليه إذ -منعه خلقه العظيم وتقدير المسئولية الكبرى أمام حاكم آخر أعلى من التاريخ وأهله ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ⁽٦⁾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦، ٧].

ومهما جال الباحث في صفحات السيرة النبوية فلن يعثر إلا على الصفاء والصدق والإخلاص في كل قول من أقواله ﷺ، وفي كل فعل من أفعاله، بخلاف سيرة صنوف البشر جميعاً، إذ نرى الناس يدرسون حياة أساطين الفكر والأدب والفن والشعر، فتعطينا صوراً معبرة عن عقائدهم وعوائدهم وأخلاقهم وأساليب معيشتهم، ولا يمنعهم زخرف الكلام والشعر وطلاؤه عن استنباط دخائلهم والكشف عن حقيقة سرائرهم، ذلك أن للحقيقة قوة غلابة تنفذ من حجب الكتمان فتُقرأ بين السطور وتعرف في لحن القول، ومهما تصنع الإنسان العادي فلا يخلو من فلتات في قوله وفعله تنم على طبعه، وما عدا سيرة النبي الصادق ﷺ إذ كان الناظر إليه إذ حسنت فراسته يرى أخلاقه العاليه تلوح في محياه، ولو لم يتكلم أو يعمل، ولهذا شرح الله صدر الكثيرين دون أن يسألوه، منهم العشير الذي عرفه بعظمة سيرته: قالت له السيدة خديجة عند بدء الوحي تطييباً لنفسه المكروبة بهذه الكلمات الدالة على صدق حدسها فوصفت خلاصة أخلاقه (أبشر يا ابن عم واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، ووالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق). صلى الله عليه وسلم.

كذلك منهم الغريب الذى عرفه بسيماه فى وجهه. قال عبد الله بن سلام رضى الله عنه (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه وقيل « قدم رسول الله، قدم رسول الله » فجئت فى الناس لأنظر إليه، فلما استثبت وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب) رواه الترمذى بسند صحيح[1].

******

---

(١) انظر د. محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم ص٣٢ :٣٥ -دار القلم- الكويت (نظرات جديدة فى القرآن) ١٣٩٧ هـ-١٩٧٧م.

الفصل الثامن

مجمل البرهان على ظهور الإسلام

جاء بكتاب (المفردات فى غريب القرآن) للراغب الأصفهانى، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [التوبة :٣٣] قوله (يصح أن يكون من البروز وأن يكون من المعاونة والغلبة أى ليغلبَه على الدين كله)[١].

وفسّر الشيخ عبد الجليل عيسى الظهور فى الآية الكريمة بأن (يعليَه بقوة البرهان، وسلامة التعاليم)[٢].

وسيتضّح الظهور بالبرهان بأوضح بيان إذا ما ختمنا بحثنا باقتطاف بعض ثمراته بعد المقارنة بين الإسلام والأديان بمنهج موضوعى.

ونلخصّ أوجه البرهان فى المزايا التالية[٣]:

أولاً: التوثيق العلمى للمصادر:

ظهرت فى القرن التاسع عشر بأوروبا ثورة ثقافية سُمِّيَت « بظهور فن النقد الأعلى Higher Cristisism » والأثر المباشر لهذا الفن كان « بمثابة اعتراف بالقرآن دون كتب الملل الأخرى ككتاب ثابت تاريخيًا »[٤].

إن كل مَن يتتبع خطوات وإجراءات حفظ القرآن حفظًا فى الصدور وكتابةً وتدوينًا يستطيع أن يستوثق بشكل كامل أنه لا توجد ثغرة ينفذ منها أى طاعن.

يقول مايكل هارت « والقرآن الكريم نزل على الرسول - ﷺ - كاملاً. وسُجلت آياته وهو ما يزال حيًا، وكان تسجيلاً فى منتهى الدقة، فلم يتغير منه حرف واحد، وليس فى المسيحية شيء مثل ذلك، فلا يوجد كتاب واحد مُحكَم دقيق لتعاليم المسيحية يشبه القرآن الكريم »[٥].

---

(١) المفردات جـ٢ ص ٤١٤ مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الرياض ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٢) المصحف الميسّر، الشيخ عبد الجليل عيسى - دار الشروق سنة ١٣٩١هـ ط٥.

(٣) وقد سبق نشرها بكتابنا (أضواء على ثقافة المسلم المعاصر) ط دار الدعوة بالإسكندرية ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م نعيدها ها هنا لصلتها الوثيقة بعلم مقارنة الأديان.

(٤) واقعنا ومستقبلنا فى ضوء الإسلام، وحيد الدين خان ص ٢٥٧ ترجمة د. سمير عبد الحميد، دار الصحوة بالقاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

(٥) (الخالدون مائة، أعظمهم محمد ﷺ - ترجمة أنيس منصور ص ١٧ المكتب المصرى الحديث بالقاهرة سنة ١٩٨٤م.

ومن هنا فلا سبيل أيضًا إلى تشبيهه - كما يقرر الدكتور حسن ظاظا العالم المتخصص فى دراسة اليهودية - من قريب أو بعيد بالنصوص المقدسة التى بين أيدى اليهود، فالعهد القديم استغرق أجيالاً من الأنبياء المتعاقبين على طيلة ألف سنة تقريبًا، كذلك المشنا والتلمود استغرقتا ألفى سنة «وهى فترة لا يمكن تصويرها مجتمعتين متشابهتين، أحدهما يلى طرفها الأول والثانى على طرفها الأخير»(١).

ولا تسلم الأناجيل أيضًا من المطاعن باستعمال منهج النقد العلمى من حيث اتصال السند والتوثيق، فإن الإنجيل الأول المنسوب إلى «مَتَّى» كتب أولاً باللغة «الآرمية» ولكن ليس لدى النصارى منه إلا الترجمة اليونانية بلا معرفة للمترجم وبلا سند كامل متصل «وإنما يأخذون بالظن فيقولون لعله فلان أو فلان ويتمسكون بقرائن لا تجزى، مثل اتفاق هذه الكتب فى بعض مضامينها وشهادة بعض تابعى الحواريين بوجود بعضها فى القرن الأول والثانى، ثم اشتهارها فى أواخر القرن الثانى وابتداء القرن الثالث، وهم يعتذرون عن ذلك بأنها كتبت فى ظلال السرية بسبب الاضطهادات التى حلَّت بأسلافهم»(٢).

أما «لوقا ومرقس» فلم يريا المسيح - عليه السلام - أصلاً، أما «مَتَّى ويوحنا» فمُختَلَف فى رؤيتهما له، والمحققون يُرَجِّحُون عدم الرؤية(٣).

وقد اتفق كُتَّاب المسائل النصرانية بدائرة المعارف الفرنسية - على أن التحقيق العلمى والتاريخى يؤكد أن هذه الأناجيل كتبها أشخاص غير الحواريين والتابعين الذين نُسِبَت إليهم(٤).

ثانيًا: خُلُوّ الإسلام من الكهنوت:

يرجع ظهور الكهنة تاريخيًا إلى مرحلة ظهور الأنبياء عند اليهود، فقد اشترك الكهنة مع الأنبياء حينئذ بادعاء الوحى وتقديم النصائح.

---

(١) الفكر الدينى اليهودى، أطواره ومذاهبه ص ١٣٠.
د. حسن ظاظا - دار القلم - دمشق دار العلوم والثقافة، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
(٢) الكتب المقدسة فى ميزان التوثيق، عبد الوهاب طويلة ص ١٣٢/١٣٣ ط. دار السلام بالقاهرة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
(٣) نفسه ص ١٣٤.
(٤) نفسه ص ١٣٥.

ولكن الفرق بينهما هو بُعد الأنبياء عن المعابد، وانقطاع صلاتهم بالهيكل أو القرابين، ويتضح التمييز بأن الكهانة وظيفة تعارض النبوة فى كثير من الأوقات(١)، كما كان النزاع بينهما قائمًا دائمًا، حيث كان الكهنة يحقدون على الأنبياء لتدخلهم فى الشئون الدينية محاولين الانفراد بهذا المنصب «وليس الخلاف الذى حدث بين عيسى - عليه السلام - وكهنة الهيكل إلا حلقة من حلقات مماثلة بين الأنبياء والكهنة»(٢).

وينتسب الكهنة إلى أبناء ليفى - أحد أبناء يعقوب - عليه السلام - ولا يَصِلُون إلى الكهنوتية إلا بعد تدربيات ومعرفة الطقوس والأسرار الدينية لإثبات الاستحقاق لهذا المنصب، ومن طريقهم تُقَدَّم القرابين كما تُقَدَّم لهم العشور من نتاج الضأن، وأصبحت ثروتهم مقدسة وشخصيتهم الوسيلة إلى الله، فصاروا أقوى من الملوك فى كثير من الأحوال(٣).

هذا، وقد كان المجتمع الكهنوتى الذى يدير شئون اليهود الواسطة بين الناس وبين الله، فلا تُقبَل التوبة ولا القرابين إلا إذا باركها الكاهن، وقد جاء عيسى - عليه السلام - للقضاء على نفوذهم، ولكن للأسف أصبح القساوسة بعده يمثِّلون نفس الدور الذى مثَّله كهنة اليهود من قبل.

وجاء الإسلام ليُبطِل ذلك كله، واستقرت فى العقيدة الإسلامية حقيقة النبوة الصادقة، حيث أورد القرآن الكريم قصص الأنبياء والرُّسُل وصفاتهم وأخلاقهم ورسالاتهم، وتحققت فى شخصية الرسول ﷺ صفات النبى الخاتم.

وبحسب اصطلاح أحد الدارسين لعلم مقارنة الأديان، يرى أنه «فى الإسلام، كل إنسان هو كاهن نفسه، بمجرد أن يكون مسلمًا، هو الإمام والخليفة فى عائلته، وهذا انعكاس للجماعة الإسلامية كلها»(٤).

---

(١) أبو الأنبياء - عليه السلام - للعقاد، كتاب اليوم ١٩٥٣م.

(٢) اليهودية د/ أحمد شلبى ص ٢٠٢ مكتبة النهضة ١٩٨٨م.

(٣) السابق ص ٢٠٣ باختصار.

(٤) الإيمان والإسلام والإحسان فى مقارنة الأديان، فرتجوف شيئون ص ٧٢ ترجمة نهاد خياطة - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

ثالثاً: المنهج الاستدلالى للإسلام مستمد من مصادره:

بناءً على الدراسة المُستَوعَبَة للأدلة بالكتاب والسنة يستخلص ابن تيمية أن القرآن اشتمل على أصول الدين وعلى البراهين والآيات والأدلة اليقينية، والرسول ﷺ أنزل عليه الكتاب والحكمة، والحكمة كما فسَّرها غير واحد من السلف، هى السُّنة، أو هى معرفة الدين والعمل به، لذلك فإن الكتاب والسُّنة وافيان بجميع أمور الدين[1].

ويعتمد ابن تيمية فى استنتاجاته على آيات من الكتاب، لأن الله تعالى علَّم الإنسان البيان، كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۞ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وقال: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ والبيان: بيان القلب واللسان، كما أن الصمت والبَكَم فى القلب واللسان، كما قال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

والميزان التى أنزلها الله مع كتابه ميزان عادلة، تتضمن اعتبار الشىء بمثله، وخلافه - فتسوِّى بين المتماثلَينِ وتُفرِّق بين المُخْتَلِفَينِ بما جعله الله فى فطر عباده وعقولهم من معرفة التماثُل والاختلاف.

ولذلك، يوصف هذا المنهج بأنه شرعى عقلى باعتبار أن الدليل الشرعى مستمَد من الشرع، وأنه متَّفِق مع العقل أيضًا. هذا فضلاً عن الصفة الجامعة للشريعة لمصالح الدنيا والآخرة، فهى جامعة لكل ولاية وعمل فيه صلاح الدين والدنيا، والشريعة إنما هى «كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وما كان عليه سلف الأمة فى العقائد والأحوال والعبادات والأعمال والقياسات والأحكام والولايات والعطيات[2] وظلت هذه القاعدة المنهجية ثابتة لم يمسّها تقلب الأزمان أو تعاقب العصور حتى عصرنا هذا، فقد قام فى العصر الحديث موريس بوكاى - الطبيب النفسى الفرنسى - بدراسة مضامين الآيات القرآنية المتصلة بظواهر كونية، كخلق السموات والأرض، أو خلق الإنسان وأطوار حياته، منذ كونه جنينًا فى بطن أمه، أو ممالك النبات والحيوان والطيور والحشرات أو الأرض بجبالها ووديانها وأنهارها ومحيطاتها

---

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية جـ ١٩ ص ١٦٩ وما بعدها باختصار.

(٢) السابق ص ٣٠٨.

وبحارها. واستخلص بوكاى من دراسته توافق القرآن مع معطيات العلم الحديث، مستبعداً تماماً اتصالها بمعلومات عصر التنزيل، ومؤكداً بالأدلة أنها تتضمن ما عرفه العلماء المتخصصون - كلٌ فى مجاله - فى العصر الحديث، وبذلك أصبح الاستدلال بالقرآن الكريم نفسه من أنسب الطرق - بل أفضلها - للنفاذ إلى عقول أهل العصر الحاضر الذى احتل فيه العلم ومنجزاته النصيب الوافر فى حياة الإنسان. يقول بوكاى (إن أول ما يثير الدهشة فى روح من يواجه مثل هذا النص لأول مرة هو ثراء الموضوعات المعالجة، فهناك الخلق وعلم الفلك وعرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض، وعالم الحيوان وعالم النبات والتناسل الإنسانى. وعلى حين نجد فى التوراة أخطاء علمية ضخمة لا نكتشف فى القرآن أى خطأ. وقد دفعنى ذلك لأن أتساءل: لو كان كاتب القرآن إنساناً، كيف استطاع فى القرن السابع الميلادى من العصر المسيحى أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة؟)[1] أما الدارس لتاريخ النصرانية العقائدى فسيقف على منهج مخالف تماماً، إذ اعتمد رجال الكنيسة على الفلسفة اليونانية لشرح العقائد النصرانية: ففى كتاب (سقراط إلى سارتر)، يقول المؤلفان: فالكتب المقدسة أصبحت تؤيدها تعاليم أرسطو «ذلك المسيحى الميتافيزيقى الذى لم يسمع بالمسيحية قط»، ويقصدان بذلك أن المسيحيين - وفى مقدمتهم القديس توما الأكوينى - ألبسوه ثوب العقيدة، أو أنهم غلَّفوا العقيدة النصرانية بفلسفته، وهذا بالضبط ما عنياه بقولهما فى الفقرة التالية من الكتاب نفسه. (لقد جيء بفلسفة أرسطو من العالم الوثنى إلى العالم المسيحى لتثبيت العقيدة الأساسية للفقه الكاثوليكى .. إن الأقنوم الثانى (الكلمة) قد تجسّد فى المسيح، فالصورة عند أرسطو هى ألوهية المسيح، والمادة عند أرسطو هى (لحمه) ويؤكد وجود الله (تعالى) لا عن طريق الإيمان القلبى بل عن طريق العقل ... إنه الفيلسوف القدّيس يذود عن الدين بقوة البراهين الفلسفية)[2].

كذلك يذكر بارتولد أن مبشرى النصارى اضطرُّوا إلى استخدام الأدلة الفلسفية فى نزاعهم مع الفلسفة الوثنية والفلسفة الغنوستية «فظهرت مذاهب دينية فلسفية

---

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاى دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٩م. ويُنظر الصفحات من ١٦٣ إلى ١٧٤ من هذا الكتاب.

(٢) من سقراط إلى سارتر، هنرى توماس ودانالى توماس ص ١٠٠، ١٠٤، ١٠٧ ترجمة عثمان نويه، الأنجلو المصرية ١٩٧٠م

متنوعة كان أعظمها في الإسكندرية وأنطاكية، فأما الذى فى أنطاكية فيعتمد على أرسطو وأما الذى فى الإسكندرية فيعتمد على أفلاطون»[١].

رابعًا: المسلمون دينهم واحد:

ويعنى بذلك اتفاقهم على معرفة أصوله وأركانه وفرض العمل بها، وربما لا يعرف المسلمون هذه الميزة فى دينهم إلا إذا قارنوا بين تصورهم لدينهم وتعريفهم له مع اختلاف مذاهبهم الفقهية وبين عقائد النصارى، فقد ظلت الحضارة الغربية محصورة وراء قضبان المفاهيم الدينية التى عرفتها منذ اليونان وهى:

١- دين اليونان والرومان.

٢- النصرانية.

٣- دين الإصلاح وهو وصف لما أدخله لوثر على النصرانية.

٤- الدين الطبيعى من اختراع أوجست كونت[٢] وسُمِّى أيضًا بمذهب الألوهية الطبيعية، أى إقامة عقيدة على أساس طبيعى بالاستغناء عن الوحى والتعاليم المنزَّلة.

وقد انعكست آثار هذا الخليط على التصورات والمفاهيم للدين مما يجعله مجموعة من الأفكار والنظريات تتزاحم فيه الموروثات من المجتمعات الوثنية اليونانية، وزادها غموضًا اختلاف النصارى فى تصورهم للألوهية، والقصور فى تعريف النبوَّة وتقديرها حق قدرها، ثم الانشقاق عن الكنيسة الكاثوليكية بواسطة مارتن لوثر وكالفن وتعدد الأناجيل.

ولا نعثر على تلك العقبات فى طريقنا للبحث فى الإسلام، إذ لو أزاح الباحث عن نفسه عقبات العقائد الموروثة، ونحَّى عنها التعصب الدينى وتحرر للبحث عن الحقيقة بإخلاص، فسيسهل عليه الوقوف عليها من أكثر الطرق، لأنه بالرغم من تنوُّع طرق المسلمين ومذاهبهم - كما يذكر ابن تيمية - إلا أن دينهم واحد، كلٌّ

---

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية ف. بارتولد ص ٤٧ ترجمة حمزة طاهر دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٣م.

(٢) الإسلام تشكيل جديد للحضارة، الأمينى ص ٣١، ٣٤ ترجمة د/ مقتدى حسن ياسين مراجعة د/عبد الحليم عويس دار العلوم بالرياض ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

منهم يعتقد ما يعتقده الآخر، ويعبده بالدين الذى يعبده، ويسوغ أحدهما للآخر أن يعمل بما تنازع فيه من الفروع .. وتلخيص الأمر فى هذا المقام إنما هو تفضيل قول وعمل على قول وعمل، بالأقوال والأعمال المختلفة لابد فيها من تفضيل بعضها على بعض عند جمهور الأمة(١).

ونأتى بشهادة نصر بن يحيى المهتدى للإسلام، - وكان قسيسًا - إذ تحقق بنفسه أن اختلاف المسلمين يقتصر على فروع الدين، بعد اتفاق جماعتهم على إلهم ومعبودهم، وأنه - عز وجل - واحد لا شريك له ولا ولد له، خالق الخلق كلهم، ثم اتفاقهم على نبيهم - محمد ﷺ وعلى القرآن المجيد، وأنه كتاب الله المنزَّل على نبيه ﷺ، لا يختلفون فى ذلك «فإذا صحَّ اتفاقهم على هذه الأصول كان ما سواها سهلاً لا يقع معه كفر ولا يبطل به دين وإنما البلاء العظيم الاختلاف فى المعبود»(٢).

خامسًا: ازدهار العقيدة الإسلامية فى ضوء الاكتشافات العلمية:

أحدث المذهب المادى - بسبب سلطان النظام الماركسى - بعض البلبلة الفكرية فى نظرية المعرفة، إذ افترض أن المادة الظاهرة أمامنا هى الحقيقة النهائية أو الوحيدة ولكن سرعان ما أسفرت البحوث العلمية عن تهافت هذا الفرض أمام عدَّة براهين، نكتفى منها باثنين:

١- تطور الوسائل العلمية فى البحث، واستخدام المخترعات الحديثة التى ضاعفت قدرات الأسماع والأبصار - كاللاسلكى والتلسكوب والمجهر - فتضاعفت الموجودات مَا كان يعرفها الإنسان بإدراكاته الحسِّية الفطرية وحدها، وفى هذا المجال يقول د. أحمد زويل «يقسّم علماء الكيمياء والفيزياء الكائنات إلى كائنات مرئية وكائنات غير مرئية، الكائنات المرئية هى التى يمكن رؤيتها رغم اعتراف العلم بوجود حياة فى هذه الكائنات لوجود أثر تدل عليه، فهى تتحرك وتتناسل وتموت . . . » . . إلى أن يقول «واستطعت تصوير حركة (الجُزىء) التى

---

(١) دقائق التفسير جـ٢ ص ٣٢٦ جمع وتحقيق د/ محمد الجليند دار الأنصار بالقاهرة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٢) النصيحة الإيمانية، نصر بن يحيى ص ٥٥ تقديم وتحقيق د/ أحمد حجازى السقا مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

تثبت بما لايدع مجالاً للشك أن الجُزيء كائن حي يعيش ويتنفس ويتحرك »، أى أنه أثبت وجود حياة الجُزيء باعتباره أهم مكونات الحياة وأصل « المادة »[1].

وبهذا البرهان القطعى تحوَّلت المادية إلى « خرافة »!

كذلك أثبت العلماء المتخصصون بتجاربهم « أن الحقيقة فى شكلها الأخير غير قابلة للمشاهدة، ويمكن أن تُستنبط مظاهرها فقط »[2]، ويقرِّب لنا أحد العلماء هذا التصور بما تنص عليه الحقيقة الخامسة فى ميكانيكا الكم، أن « العالم يخضع لنوع من التفسير المنطقى مغاير للتفسير البشرى له »[3].

٢- الاتجاه الملاحظ فى التاريخ العلمى، وخلاصته أن القضايا العلمية أخذت منذ بداية هذا القرن طابع العموميات، وأصبحت النظريات المعتمدة سابقًا على الفرضيات والإدراكات الحسِّية حالات خاصة ضمن نظريات أعم وأكثر شمولية، ويقول الدكتور/ محمد الحسينى بعد سرده للتاريخ العلمى للنظريات « فهناك إيمان الآن يكاد يكون مشتركًا بين جميع علماء الفيزياء بأننا نتجه بُخطى واضحة نحو نظرية شمولية واحدة كافية لتفسير جميع الظواهر أو الحقائق الكونية بل أصبحت تأخذ طابعًا غيبيًا بدرجة كبيرة »[4].

وما دام العلم قد أثبت استحالة مشاهدة الحقيقة فى شكلها الأخير، فإن ذلك يقوِّض دعائم المذهب المادى من أساسه، ويعضد عقيدة الإسلام بالإقرار بأن الإنسان لا يمكن أن يشاهد الله - عز وجل - أو عالم الآخرة فى الحياة الدنيا.

ونأتى أخيراً بشهادة أحد علماء الفيزياء المرموقين حيث يشرح فكرة الخلق من العدم بأسلوب علمى، فيقرِّر أن عدداً متزايداً من علماء الكونيات يعتقدون اليوم أن القيمة الأكثر احتمالاً لكثافة المادة والطاقة فى الكون هو القول بأن كتلة الكون

---

(١) مقال بعنوان (العالم المصرى أحمد زويل يعيد أمجاد حضارة العرب الزاهرة) اكتشف زمنًا غير زماننا المعهود، حصل به على أكبر وسام علمى فى العالم - بقلم محمود أبو الفيض المنوفى الحسينى، ص٣٠ مجلة التصوف الإسلامى محرم ١٤١٩هـ/مايو ١٩٩٨م.

(٢) واقعنا ومستقبلنا فى ضوء الإسلام، وحيد الدين خان ص ٢٤٦.

(٣) الحقيقة المطلقة، الله والدين والإنسان ص ١٢٣ د/ مهندس محمد الحسينى إسماعيل - مطابع الأهرام ١٩٩٥م.

(٤) نفسه.

تنتهى فى مجموعها إلى الصفر على وجه التحديد، ويضيف إلى ذلك أنه «إذا كانت كتلة الكون هى الصفر فعلاً وهى يمكن التحقق منها امبريقيًا «تجريبيًا» فإن الكون يشارك حالة الخواء - أى خاصية (انعدام الكتلة) وظهر منذ عشر سنوات استقراء جود الذى يعتبر أن الكون عبارة عن تقلبات كمية للخواء، وهى حالة من اللاشيئية فى المكان والزمان خُلقَت من العدم»[1].

وهكذا جاءت الكشوف العلمية كالبيِّنات، تفتح أعيننا على هذه الحقائق، وتمد العقائد الإسلامية بما يؤهلها للنفاذ إلى عقل الإنسان وهو يستقبل القرن الواحد والعشرين لها.

سادسًا: حقيقة النبوة ودلائل صدق نبينا محمد ﷺ:

وسنتوسع فى شرح الاستدلال على صدق نبوة نبينا محمد ﷺ، لكن نشير فقط هنا إلى أمرين:-

(أ) إحدى بشارات الكتاب المقدس:

فقد ورد بإنجيل يوحنا أن المسيح - عليه السلام - قال «إن أركون العالم سيأتى، وليس لى شىء».

والأركون بلغتهم - كما يذكر ابن تيمية - عظيم القدر، فقول المسيح عليه السلام «أركون العالم» إنما ينطبق على عظيم العالم، وسيد العالم، وكبير العالم.

(ب) دوره ﷺ فى تغيير العالم:

ومن المعلوم باتفاق أهل الأرض - كما يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لم يأت بعد المسيح من ساد العالم، باطنًا وظاهرًا، وانقادت له القلوب والأجساد، وأطيع فى السر والعلانية، فى محياه وبعد مماته، فى جميع الأعصار وأفضل الأقاليم شرقًا وغربًا أحد غير محمد ﷺ، فإن الملوك يطاعون ظاهرًا لا باطنًا، ولا يطاعون بعد موتهم، ولا يطيعهم أهل الدين طاعة يرجون بها ثواب الله فى الدار الآخرة، ويخافون عقاب الله فى الدار الآخرة، بخلاف الأنبياء وربما يأتى معارضون ليقولوا: إن وصف ابن تيمية صحيح فى عصره وما قبله حيث ساد المسلمون العالم عسكريًا وحضاريًا وثقافيًا ونفوذًا، فأين هم الآن؟

---

(١) المسلمون والعلم د/ محمد عبد السلام (حائز على جائزة نوبل) ترجمة د/ ممدوح كامل الموصل - كتاب الغد بالقاهرة ١٩٨٦م.

وقد أجاب ابن تيمية ضمناً على هذا التعليق فى تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ [الفتح: ٢٨].

ورأى شيخ الإسلام أن ظهوره على الدين كله بالعلم والحجة والبيان، إنما هو بما يظهره من آياته وبراهينه، وذلك إنما يتم بالعلم بما ينقل عن محمد ﷺ من آياته التى هى الأدلة، وشرائعه التى هى المدلول، والمقصود بالأدلة، فهذا قد أظهره الله علماً وحجة وبياناً على كل دين، كما أظهره قوة ونصرا وتأييداً على كل دين(١).

أما قوله: «لم يأت بعد المسيح من ساد العالم، باطناً وظاهراً وانقادت له القلوب والأجساد ... إلخ.

فقد تأيّد بالمنهج الذى اتبعه الباحث الأمريكى مايكل هارت بكتابه «الخالدون مائة - أعظمهم محمد ﷺ» حيث أجاب بدوره على الدهشة التي سيبديها البعض بوضعه للرسول ﷺ على رأس القائمة فقال «وربما شيئًا غريبًا حقًا - أن يكون الرسول ﷺ في رأس هذه القائمة، رغم أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين، وربما غريبًا أن يكون الرسول - عليه السلام - هو رقم واحد فى هذه القائمة، بينما عيسى عليه السلام هو رقم ٣ وموسى عليه السلام رقم ١٦».

ولكن لذلك أسباب، من بينها أن الرسول ﷺ كان دوره أخطر وأعظم فى نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد شريعته أكثر مما كان لعيسى عليه السلام فى الديانة المسيحية، وعلى الرغم من أن عيسى عليه السلام هو المسئول عن مبادئ الأخلاق وهو أيضاً المسئول عن كتابة الكثير مما جاء فى كتب «العهد الجديد».

أمّا الرسول ﷺ فهو المسئول الاول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصوله الشرعية والسلوك الاجتماعى والأخلاق وأصول المعاملات بين الناس فى حياتهم الدينية والدنيوية كما أن القرآن الكريم قد نزل عليه وحده وفى القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه فى دنياهم وآخرتهم(٢).

والكلام عن النبوة متشعب المسالك والطرق يقتضى الحديث عن التعريف

---

(١) الجواب الصحيح جـ٤ ص ٢٤٣. ابن تيمية.

(٢) ص ١٧ من كتاب (الخالدون مائة) ترجمة أنيس منصور، المكتب المصرى الحديث بالقاهرة ١٩٨٤م.

بأنبياء الله تعالى ورسله وأدلة صدقهم وطبيعة رسالتهم وشرائعهم والحكمة من بعثهم والتمييز بينهم وبين الأنبياء الكذبة أو الكهنة وغير ذلك من قضايا أخذت مكانتها فى كتب علماء المسلمين كأحد المداخل الرئيسية لمنهج دراسة الأديان والعقائد.

ولعل المختصر الذى أورده نجم الدين البغدادى (٧١٦هـ) يغنينا عن الإسهاب حيث عالج فيه:

١- حقيقة النبوة، فإنها وحى صادق نافع للناس تكشف عن الغيب الذى يعجز الإنسان بقدراته وملكاته الذهنية عن معرفته.

٢- وجودها: فلا منازع فيه عند أهل الملل الثلاث حيث إن الله تعالى أنعم على عباده بالنعم الكثيرة، وكلها دالة على رحمته وحكمته وعنايته، كوضع الحواس الخمس وباقى الأعضاء فى جسم الإنسان مثلا، فإن إرسال من يهديهم إلى طريق السعادة الأبدية، ويكف شر بعض بنى آدم عن بعض لينظم أمرهم - أولى.

وما دل عليه التواتر أن جماعة من الرجال أعلنوا أنهم رسل الله تعالى وأيّدوا ذلك بمعجزات ظهرت على أيديهم.

فإذا ثبت بهاتين الحجتين إثبات نبوة الأنبياء والرسل فهما بعينهما تثبتان نبوة محمد ﷺ.

ويضيف إلى ذلك البغدادى قوله: «أما الأولى فلأنه بُعث على فترة من الرسل طويلة، وقد أكل العالم بعضه بعضاً - خصوصاً العرب فى جاهليتها وغاراتها - وكانوا يعبدون الأوثان، والنصارى: الصلبان، والفرس: النيران، وغير ذلك من المنكرات، فأزال الله به ذلك وأبدل الناس به خير ما ينبغى .. وأما الثانية: فلأنه ثبت بالتواتر الكامل الشروط أنه - عليه السلام - ادعى للنبوة وظهرت على يديه معجزات خارقة ... ثم توفى ﷺ على أوضح سنن، وأظهر طريقة، وأزكاها وأزهدها فى الدنيا، ودعا الناس إلى ذلك..»(١).

---

(١) الانتصارات الإسلامية - فى علم مقارنة الأديان - نجم الدين البغدادى الطوفى ص ٤٩ دراسة وتحقيق د/أحمد حجازى السقا دار البيان بمصر سنة ١٩٨٣م.

وقد عرض ابن تيمية للمعانى المتعددة لكلمة (الفارقليط)، ليستخلص منها أنها كلها تنطبق على نبينا ﷺ.

فإن معنى « الفارقليط » إن كان هو الحامد أو الحمَّاد أو الحمد أو المُعزّ، فهذا الوصف ظاهر فى محمد ﷺ فإنه وأمته الحمّادون الذين يحمدون الله على كل حال، وهو صاحب لواء الحمد والحمد مفتاح خطبته ومفتاح صلاته.

وأما من فسره بالمعز فلم يعرف قط نبى أعز أهل التوحيد لله والإيمان كما أعزهم محمد « ﷺ » فهو أحق باسم المعزّ من كل إنسان.

وأما معنى المخلّص، فهو أيضًا ظاهر فيه فإن المسيح هو المخلص الأول، كما ذكر فى الإنجيل، وهو معروف عند النصارى أن المسيح صلوات الله عليه قد سمى مخلصًا، فيكون المسيح هو الفارقليط الأول، وقد بشّر بفارقليط آخر فإنه قال (وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطًا آخر، يثبت معكم إلى الأبد) فهذا بشارة بمخلص ثان يثبت معهم إلى الأبد، والمسيح هو المخلص الأول »[1].

سابعًا:

إعادة الإنسان إلى وضعه الصحيح بعد انحرافات العقائد والفلسفات الأخرى، فمع التأكيد على عظمته وكرامته، فإن الإسلام يقرّ بواقعيته وحقيقته، فلا يحاول أن يجعل منه ملاكًا، بل جعل الإنسان إنسانًا (مع تحقيق التوازن فى الغرائز، أو توفير نوع من التوازن بين الجسم والروح، بين الدوافع الحيوانية والدوافع الأخلاقية – وهكذا من خلال الوضوء والصلاة والصيام وصلاة الجماعة والنشاط والملاحظة والنضال والتوسط – يواصل الإسلام عمل الفطرة فى تشكيل الإنسان)[2].

******

تم الكتاب بحمد الله تعالى وتوفيقه

---

(٢) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح لابن تيمية جـ٤ ص ١٦ ط المدنى بمصر.

(١) ص ٣١٣/٣١٤ من كتاب (الإسلام بين الشرق والغرب) الرئيس على عزت بيجوفيتش.

المراجع

(أ)

١ ـ ابن أبي الربيع : سلوك المالك في تدبير الممالك ، تحقيق د/ حامد ربيع ، دار الشعب بالقاهرة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م .

٢ ـ أبو المجد حرك : الفيلسوف المسلم دار الفتح ، مدينة نصر القاهرة ١٩٨٥م .

٣ ـ د / أحمد شلبي ـ أديان الهند الكبرى ـ مكتبة النهضة ١٩٧٦م

ـ المسيحية " " ١٩٦٥م

ـ اليهودية " " ١٩٧٢م

ـ الحروب الصليبية (بدؤها مع مطلع الإسلام واستمرارها حتى الآن) مكتبة النهضة ١٩٨٦م

٤ ـ الراغب الأصفهاني ـ تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ـ سلسلة الثقافة الإسلامية . ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م .

٥ ـ الراغب الأصفهاني ـ الذريعة إلى مكارم الشريعة ـ مراجعة وتقديم طه عبدالرؤوف سعد ـ مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م

٦ ـ الشرستاني ـ الملل والنحل ـ تحقيق / محمد سيد كيلاني طبعة الحلبي ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م .

٧ ـ انيس منصور : ديانات أخرى دار الشروق ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٨ ـ النبوة والأنبياء في ضوء القرآن ـ المختار الإسلامي سنة ١٩٧٤م

٩ ـ رسالة سيرة النبي الأمين ﷺ ـ إلى إنسان القرن العشرين ـ دار حراء المحلة الكبرى ١٣٩٩هـ

١٠ ـ أحمد ديدات العرب وإسرائيل ـ شقاق أم وفاق ـ ترجمة على الجوهري ـ دار الفضيلة بمصر ودبي ـ ١٩٩٠ م .

١١ ـ أحمد عبدالغفار عطار ـ الديانات والعقائد في مختلف العصور .

١٢ ـ أحد ديدات هل الكتاب المقدس كلام الله ؟

١٣ - ترجمة نورة أحمد النومان - مكتبة أبو القاسم - جدة .

١٤ - المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان (بين الشيخ ديدات والقس سوجارت) جمع وترتيب د/ أحمد حجازي السقا وتقديم الشيخ الغزالي - مكتبة زهران بالأزهر ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٥ - أحمد إدريس تاريخ الإنجيل والكنيسة دار حراء بمكة المكرمة ١٩٨٧م .

١٦ - المهندس أحمد عبدالوهاب النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام - مكتبة وهبة بمصر ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩ م .

١٧ - أنور الجندي : المخططات التلمودية اليهودية والصهيونية دار الاعتصام ١٩٧٧م .

١٨ - إبراهيم خليل أحمد : محمد ﷺ - في التوراة والإنجيل والقرآن مكتبة الوعي العربي بمصر .

١٩ - إبراهيم خليل أحمد : إسرائيل فتنة الأجيال - مكتبة الوعي العربي سنة ١٩٧٠م .

٢٠ - د / إبراهيم فؤاد عباس : الماسونية تحت المجهر دار الرشاد جدة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٢١ - ابن تيمية : الحسبة ومسئولية الحكومة الإسلامية) تحقيق صلاح عزام - دار الشعب بالقاهرة فبراير ١٩٧٦م . النبوات - المطبعة السلفية بمصر .

٢٢ - ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح . مطبعة المدني بالقاهرة - بدون تاريخ .

٢٣ - بُغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية . تحقيق د / موسى بن سليمان الدويني - مكتبة العلوم والحكم ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٢٤ - ابن مفلح : مصائب الإنسان من مكائد الشيطان تحقيق على رحمي . دار مرجانة للطباعة بمصر ١٩٨٠ م .

٢٥ - أبو الحسن الندوي : بين الدين والمدينة . مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م . الأركان الأربعة - دار القلم بالكويت ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧ م .

٢٦ - أسعد التميمي : زوال إسرائيل حتمية قرآنية ط المختار الإسلامي بمصر .

٢٧ ـ اسينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ترجمة وتقديم د/ حسن حنفي ومراجعة د/ فؤاد زكريا المطبعة الثقافية ١٩٧١م .

٢٨ ـ ابن حزم الفصل الأول في الملل والنحل – مكتبة المثنى– بغداد .

٢٩ ـ ابن الجوزي صيد الخاطر– تحقيق عبدالقادر عطا ـ مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٩م .

٣٠ ـ العامري : الإعلام بمناقب الإسلام ـ تحقيق د/ أحمد عبدالحميد غراب ـ دار الكاتب العربي بمصر ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

٣١ ـ السموؤال بن يحيى المغربي : إفحام اليهود تقديم وتحقيق د/ محمد عبدالله الشرقاوي ـ دار الهدية بمدينة نصر ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

٣٢ ـ القرافي ـ الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاخرة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(ب)

٣٣ ـ برنارد لويس : (الغرب والشرق الأوسط) ترجمة نبيل صبحي ـ كتاب المختار ـ بدون تاريخ سلسلة نحو طلائع إسلامية واعية .

٣٤ ـ بسام سلامة : الإيمان بالغيب ـ مكتبة المنار بالأردن ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

(ت)

٣٥ ـ د/ توفيق الطويل : أسس الفلسفة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥م .

(ج)

٣٦ ـ جامع الرسائل ـ تحقيق د/ محمد رشاد سالم// نقض المنطق ـ تصحيح محمد حامد الفقي ـ مكتبة السنة المحمدية بالقاهرة ـ فتاوى ابن تيمية (الرياض) الرد على المنطقيين ـ تحقيق عبدالصمد شرف الدين (المكتبة الإمدادية بمكة المكرمة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م .

٣٧ ـ جوستان لوبون : سر تطور الأمم . ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا . مطبعة المعارف بمصر ١٣٣١ هـ ـ ١٩١٣م .

٣٨ ـ جوستان لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ترجمة عادل زعيتر ـ ط الحلبي بمصر ١٩٧٠ م .

٣٩ ـ د/ جمال حمدان : صفحات من أوراقه الخاصة ـ إعداد وتقديم د/عبدالحميد صالح حمدان ـ ط دار الغد العربي سنة ١٩٩٦م .

(ح)

٤٠ ـ د/حامد ربيع: الإسلام والقوى الدولية ـ دار الموقف العربي ـ القاهرة ١٩٨١م.

٤١ ـ د / حسن ظاظا : الفكر الديني اليهودي : أطواره ومذاهبه ـ دار القلم بدمشق ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ودار العلوم بيروت .

(خ)

٤٢ ـ خميس البكرى : د / رشدي فكار في حوار متواصل حول مشاكل العصر مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م .

(ر)

٤٣ ـ رحمة الله الهندي ـ إظهار الحق ـ تحقيق د/ محمد أحمد ملكاوي . الرئاسة العامة للإدارات والبحوث العلمية بالرياض ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

٤٤ ـ رجاء جارودي : الإسلام دين المستقبل . ترجمة عبدالمجيد بارودي ـ دار الإيمان بيروت ـ دمشق سنة ١٩٨٣م .

٤٥ ـ د/ رشدي فكار : الشباب وحرية الاختيار كتاب (المختار) بدون تاريخ رقم(٤) سلسلة نحو طلائع إسلامية واعية .

٤٦ ـ ريجينا الشريف : الصهيونية غير اليهودية ـ جذورها في التاريخ الغربي . ترجمة أحمد عبدالله عبدالعزيز سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت (رقم ٩٦) ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥ م .

(ز)

٤٧ ـ د/ زغلول النجّار : من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ـ تقديم أحمد فرّاج . ـ مكتبة الشروق بالقاهرة ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .

٤٨ـ د/ زينب عبد العزيز: تنصير العالم (مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثاني) دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

(س)

٤٩ ـ سعد بن منصور بن كمونة اليهودي : كتاب تنقيح الأبحاث للملل الثلاثة : اليهودية والمسيحية والإسلام تقديم د. عبدالعظيم المطعني ط . دار الأنصار بالقاهرة .

٥٠ ـ سعيد أيوب : المسيح الدجال : قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى ـ دار الاعتصام بالقاهرة سنة ١٩٨٩م .

٥١ ـ سليمان الندوي : الرسالة المحمدية المطبعة السلفية .

٥٢ ـ سليمان مظهر : قصة الديانات ـ دار الوطن العربي بدون تاريخ .

٥٣ ـ سهيل ديب : أ ـ التوراة بين الوثنية والتوحيد دار النفائس ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

ب ـ التوراة : تاريخها وغايتها دار النفائس ١٤٠٦هـ .

(ع)

٥٤ ـ عبدالأحد داود : محمد ﷺ في الكتاب المقدس ـ ترجمة فهمي شما ـ مراجعة وتعليق أحمد محمد الصديق ـ من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية بقطر ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٥٥ ـ د / عبدالحليم محمود : أوروبا والإسلام ط . دار الشعب بالقاهرة سنة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .

٥٦ ـ د/ عبدالرحمن بدوي :

١ ـ الدفاع عن القرآن ضد منتقديه ـ ترجمة كمال جاد الله .

٢ ـ الدفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره ـ ترجمة كمال جاد الله ـ الدار العالمية للكتب والنشر بالقاهرة ـ ١٩٩٩م .

٥٧ ـ عبدالله الترجمان (القس أنسلم كورميدا) : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب تقديم وتحقيق وتعليق د/ محمود على حماية ـ دار المعارف بمصر ١٩٨٤م .

٥٨ ـ د/ عبدالعزيز حمودة : المرايا المحدبة ـ من البنيوية إلى التفكيك ـ سلسلة كتاب عالم المعرفة ـ الكويت (رقم ٢٣٢) . ذو الحجة ١٤١٨هـ ـ إبريل ١٩٩٨م .

٥٩ ـ د / عبدالواحد وافي : الأستار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ـ ط مكتبة نهضة مصر ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .

٦٠ ـ د / عبدالودود شلبي : رسالة إلى البابا بولس السادس . ط دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٨م .

٦١ ـ عرفات كامل العش : رجال ونساء أسلموا ـ دار القلم ـ الكويت ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م .

٦٢ ـ د/ عبدالستار فتح الله سعيد : معركة الوجود بين القرآن والتلمود .

٦٣ ـ على بن ربن الطبري : الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ ـ تحقيق عادل نويهض ـ دار الآفاق الجديدة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م .

(ف)

٦٤ ـ فؤاد بن عبدالرحمن الرافعي ـ حقيقة اليهود ـ دار القسام ـ بالكويت ـ رجب ١٤٠٦ هـ .

٦٥ ـ د/ فؤاد حسنين : التوراة الهيروغليفية ـ ط دار الكتاب العربي ـ بالقاهرة ـ بدون تاريخ .

٦٦ ـ كارين آرمسترونج :

١ ـ معارك في سبيل الله (الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام) ترجمة د/ فاطمة مصر و د/ محمد عناني ط سطور ٢٠٠٠م .

٢ ـ (محمد ﷺ) نفس المترجمين ـ سطور ١٩٩٨ م .

(ك)

٦٧ - كمال أحمد عون : اليهود من كتابهم المقدس ، أعداء الحياة الإنسانية - دار الشعب القاهرة ١٩٦٩م .

٦٨ - كولن ولسن : ما بعد اللامنتهى - ترجمة يوسف شور - منشورات دار الآداب بيروت - أبريل ١٩٨١م.

(ل)

٦٩ - ليفي بريل : فلسفة أوجست كوين - ترجمة د/ محمود قاسم و د/ السيد بدوي - مكتبة الأنجلو - بدون تاريخ .

(م)

٧٠- محمد أبو زهرة : الديانات القديمة - دار الفكر العربي ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ م .

٧١ - محمد أسد : الإسلام على مقدمة الطرق ترجمة د / عمر فروخ - دار العلم للملايين - بيروت .

٧٢ - د/ مهندس محمد الحسيني اسماعيل - الحقيقة المطلقة - الله والدين والإنسان - مطابع الأهرام ١٩٩٥م .

٧٣ - محمد تقي العثماني : ما هي النصرانية ؟ مكتبة دار العلوم - كراتشي ١٤٠٣هـ

٧٤ - د/ محمد جابر عبدالعال : في العقائد والأديان - الأديان الكبرى المعاصرة - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧١م .

٧٥ - محمد جلال كشك : المواجهة الأبدية بين الإسلام والغرب مجلة (رسالة التوحيد) ربيع ثان ١٤٠٦هـ - القاهرة .

٧٦ - د / محمد جمال الفندي : السموات السبع - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٣ م .

٧٧ - محمد خليفة التونسي : الخطر اليهودي : بروتوكولات حكماء صهيون - مكتبة دار التراث بمصر ١٩٧٧م - تقديم عباس محمود العقاد .

٧٨ - محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي - المطبعة السلفية .

٧٩ ـ محمد عبدالله السمّان مفتريات اليونسكو على الإسلام المختار الإسلامي ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م .
٨٠ ـ مصطفى حلمي ـ ابن تيمية والتصوف ـ دار الدعوة بالإسكندرية .
٨١ ـ محمد عبدالرحمن عوض : الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة . دار البشير بالقاهرة ١٩٨٦م .
٨٢ ـ د/ محمد على البار ـ المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ـ دار السعودية ـ جدة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٨٣ ـ د/ محمد عبدالله دراز : الدين : بحوث ممهدة لدراسة تاريخ] الأديان ـ دار القلم بالكويت ١٣٩٠هـ .
٨٤ ـ محمد عزت الطهطاوي : محمد ﷺ نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن ـ مكتبة النور بمصر الجديدة ١٩٨٦م .
٨٥ ـ د/ محمد على أبو ريان : أسلمة المعرفة ـ العلوم الإنسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية ـ دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ١٩٩٧م .
٨٦ ـ محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح ـ دار الشروق ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
٨٧ ـ د/ محمد يحيى : في الرد على العلمانيين ـ ورقة ثقافية : الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
٨٨ ـ د/ محمود حماية : ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان ـ دار المعارف بمصر ١٩٨٣م.
٨٩ ـ د/ محمود قاسم : كتاب مبادئ علم الاجتماع لروجيه باستير ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١م .
٩٠ ـ محمود أبو الفيض المنوفي : الدين والفلسفة والعلم ـ دار الكتب الحديثة ـ بالقاهرة بدون تاريخ.
٩١ ـ د/ مصطفى حلمي :
١ ـ الصحوة الإسلامية ، عودة إلى الذات ـ ط دار الدعوة بالإسكندرية .
٢ ـ الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة ـ دار الدعوة الإسكندرية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

٩٢ ـ محمود عباس العقاد :

١ ـ (مايقال عن الإسلام) ط دار الهلال بمصر ١٩٧٠م .

٢ ـ الصهيونية العالمية ـ مكتبة غريب ـ القاهرة ١٩٦٨م .

٩٣ ـ محمود عباس العقاد ؟ (الله) بحث في نشأة العقيدة الإلهية ـ دار المعارف بمصر ١٩٤٩م .

٩٤ ـ د / محمود عبدالله : موقف الإسلام من المعرفة والتقدم الفكري (كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة)

٩٥ ـ د/ محمؤد حمدي الجريس : الإسلام يتحدى المذاهب والأديان ط دار التراث العربي ١٩٧٦م .

٩٦ ـ د/ مصطفى محمود سقوط اليسار ـ دار المعارف بمصر ١٩٩١م .

٩٧ ـ موسى جارالله : الوثيقة في نقد عقائد الشيعة ط لاهور ـ باكستان ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

٩٨ ـ موريس بوكاي التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ترجمة الشيخ حسن خالد . ط المكتب الإسلامي ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ـ وط دار المعارف بمصر ١٩٧٩م .

(ن)

٩٩ ـ نجم الدين البغدادي الطوفي (٧١٦هـ) : كتاب الانتصارات الإسلامية في علم مقارنة الأديان تحقيق د/ أحمد حجازي السقا مطبعة دار البنيان بمصر ١٩٨٣م .

١٠٠ ـ نديم الجسر : القرآن في التربية الإسلامية مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م .

(هـ)

١٠١ ـ هادفيلد : علم النفس والأخلاق ـ ترجمة محمد عبدالحميد أبو العزم ومراجعة د/ عبدالعزيز القوصي ـ مكتبة مصر ١٩٥٣م .

١٠٢ ـ د/ هادي حسين جمود : منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية مطبعة عصام ببغداد ١٩٨٤م ـ دار القادسية .

(و)

١٠٣ ـ ويل ديورانت : قصة الفلسفة ـ ترجمة أحمد الشيباني منشورات المكتبة الأهلية ـ بيروت .

١٠٤ ـ واصف الراعي :كنت نصرانياً ـ مطابع الفرزدق ـ الرياض ـ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٠٥ ـ وحيد الدين خان :

١ ـ الإسلام يتحدى ـ ترجمة د. عبدالصبور شاهين .

٢ ـ قضية البعث الإسلامي ـ المنهج والشروط ـ ترجمة محسن الندوي ومراجعة د. عبدالحليم عويس ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م .

١٠٦ ـ وجيه أبو ذكرى : الإرهابيون الأوائل ـ جيراننا الجدد ـ المكتب المصرى الحديث بالقاهرة ١٩٨٧م .

(ى)

١٠٧ ـ يواكيم برنز : بابوات من حي اليهود ـ ترجمة خالد عيسى دار حسَّان ـ بدمشق ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

الفهـــرس

الفصل الثالث

البوذية

الفصل الرابع

الزرادشتية (أو المجوسية)

الفصل الخامس

اليهودية

الفصل السادس

النصرانيــة